



صورة تمثال لأبي القاسم الفردوسي

انظر صفحة ٢٧٧

مقتطف نوفمبر ١٩٣٤

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء الثالث من المجلد الخامس والثمانين

١ نوفمبر سنة ١٩٣٤

٢٣ رجب سنة ١٣٥٣

العمل وطول العمر

الصلة بين عمل الانسان ومدى حياته

تمهيد

العمل الذي يعملهُ الانسان والاحوال التي يعمل فيها والاجور التي يتقاضاها عليه ، تعيين ظروف معيشته ومعيشة اهله الذين يعولهم ، كالبيت الذي يسكنونه والملابس التي يرتدونها والطعام الذي يفتنون به واوقات الراحة وضروب الرياضة التي يتمتعون بها . فعمل الانسان يكاد يكون اهم العوامل في صحته ومدى حياته . خذ مثلاً على ذلك القسيس الانكليزي او الاميركي ، فانه يتوقع بحسب ما دلّت عليه جداول الاحصاء ، ان يبلغ من العمر عتياً وهو ممتّع بصحة جيدة ونشاط ذهني ، ما كانا ليتاحا له لو اختار عملاً آخر في الحياة . ويليهِ في ذلك المعلم واصحاب المهن الحرة والكتابية بوجه عام . ويقابلهم في الطرف الآخر من الجدول المعدّن ومن اليهم من العمال . فمدى عمر هؤلاء قصير بوجه عام ، ومتوسط الوفيات بينهم يفوق متوسطها العام ضعفين او ثلاثة اضعاف على ان الصلة بين عمل الانسان ومدى حياته ، ليست صلةً محدودة كصلة العلة بالمعلول . فالتمتع بالصحّة الجيدة في الشيخوخة او الاصابة بالحوادث العارضة قبل الوفاة ، تتوقف على عوامل مختلفة متفاوتة في تأثيرها ، علاوة على عامل العمل الذي نقوم به . فثمة القوة الجسمية التي نلها والبيئة التي ننشأ وترعرع فيها واحوال الاسرة ونصيحتها من الثروة . فاذا كان دخل الاسرة يسيراً وجب عليها ان تكتفي باليسير من الطعام ، والخفيف من الملابس ، وغير الصحي من المساكن .

والعمال من الطبقات الفقيرة يمضون في العمل ، بعد ان تصبح حالتهم الصحية تقتضي الراحة والعلاج وذلك خشيةً منهم ان ينقطع ايرادهم بانقطاعهم عن العمل . ولذلك زى انه ليس بالامر اليسير على الباحث ان يعيّن مدى تأثير العمل نفسه في امراض الناس وطول اعمارهم ومعدل وفياتهم من ناحية ، ومدى تأثير احوالهم المعاشية في ذلك كله من ناحية اخرى

ولكن لا ينكر احد ان احوال المعيشة ترتبط في الغالب بنوع العمل الذي يمارسه الانسان . انما يتعذر على الباحث ان يفرد كلاً من هذه العوامل العامة على حدة ويخصّه بنصيبه من الأثر في صحة الانسان ومدى عمره . الاّ ان دراسة جداول الاحصاء في شركات التأمين على الحياة ، تثبت ان لهذه العوامل غير المباشرة أثراً لا يمارى فيه

ففي احصاءات الشركات الاميركية يقسم حاملو عقود التأمين الى فريقين عامّين . الاول وجلّ افرادهم من الذين يرتزقون بالعمل في المصانع والمناجم والنقل بالسكك الحديدية والسيارات العامة والتراموايات وغير ذلك . واجورهم قليلة في الغالب واحوال معيشتهم ضيقة . اما الفريق الثاني فاجورهم اكبر واعمالهم اقلّ خطراً واحوال معيشتهم ميسرة بوجه عام او هي الى السعة والترف . وجلهم منصرف الى العمل في المهن الحرة او التجارة وينتظم في سلوكهم العمال الزراعيون والميكانيكيون . فاذا قابلنا « توقع الحياة » (Life expectancy) في الفريق الاول بما يقابله في الفريق الثاني ، وجدنا ان افراد الفريق الثاني يتوقعون حياة اطول من حياة افراد الفريق الاول . فخال عقد التأمين في الفريق الثاني ينتظر وهو في سن العشرين ان يعيش حتى يبلغ التاسعة والستين . اما حامل عقد التأمين من الفريق الاول فلا ينتظر ان يعيش بعد السنة الثانية والستين أي ان مدى حياته يقل سبع سنوات عند مدى حياة الآخر . وهذا سببه في الغالب الاحوال المعاشية الناشئة عن عمله وطبيعة العمل نفسه . والمقصود هنا بطول الحياة او « توقع الحياة » المتوسط لطائفة كبيرة من الناس ودراسة الاحصاءات الرسمية الانكليزية تؤيد هذه النتائج

❖ الاعمال الحرة والكتاتبية ❖

❖ القسوس والمعلمون ❖ — فال موضوع من اية الناحيتين نظرت اليه ، تخرج من بحثك فيه بنتيجة عامة هو ان الرجال والنساء الذين يمارسون المهن الحرة او الاعمال التجارية والكتاتبية في المنشآت والشركات ، يفوق توقعهم للحياة ، توقع عمال المناجم والمصانع ومن اليهم ، وذلك لان احوال معيشتهم اسهل ، ولان طبيعة الاعمال التي يمارسونها اخف وطأة على صحة الانسان

فلاحصاءات التي تشمل مدى طويلاً من الزمان ، تثبت ان معدل الوفيات بين القسوس البروتستانت ، منخفض جداً ، لا يبلغ نصف متوسط الوفيات بين العمال بوجه عام . ويزيد متوسط الوفيات بين القسوس الكاثوليك على متوسط اخوانهم البروتستانت ، ولكن الاحصاءات

البريطانية ، تدلُّ على ان متوسط وفياتهم ، يظلُّ مع ذلك ، اقلَّ كثيراً من المتوسط العام . ويؤخذ من هذه الاحصاءات ان الانتحار يكاد يكون غير معروف في هذه الفئة من الناس كباعث من بواعث الوفاة — وهو المنتظر طبعاً — وان الوفيات بالسرطان اقلُّ بينهم منها في اية فئة اخرى من اصحاب المهن الاخرى التي تناولها البحث

ثم ان المعلمين فئة اخرى من فئات المشتغلين ، التي متوسط وفياتها قليل جداً . بل انه يكاد يكون اقل من متوسط الوفيات في اي فريق آخر من الناس ما عدا القسوس . وان نسبة الاصابة بينهم بالعوارض accidents اقلُّ من نسبة هذه الاصابات في سائر مستخدمي الحكومة في مدينة نيويورك . وقد كان الظنُّ ان متوسط الوفيات بالسل بين المعلمين كبير اي انه فوق المتوسط العام . ولكنه على الضد من ذلك اقل من المتوسط قلة لا بأس بها ، وان اهمَّ الاسباب في تعطيلهم عن العمل كان الانفلونزا والتهاب الشعب الرئوية والامراض العصبية . على ان الباحث لم يتمكن من اثبات ان الاصابات الكثيرة بينهم بالنورستينيا ، ناجمة مباشرة ، عن عمل التعليم . ومما لا ريب فيه ان عمل التعليم ، يرهق الاعصاب ، ولكن ذلك لا يكفي لعزو كثرة اصابات النورستينيا بين المعلمين الى عمل التعليم . يؤيد هذا ان طائفة كبيرة من المشتغلات بالاعمال الكتابية ، ظهرت بينهنَّ اصابات النورستينيا بالقدر الذي ظهرت فيه في طائفة المعلمين — وجلُّ طائفة المعلمين من النساء كما لا يخفى . والاحصاءات الانكليزية تبين ان معدل الوفيات بين المعلمين اقلَّ كثيراً من المتوسط العام

﴿ الاطباء والمرضات ﴾ — ويزيد متوسط الوفيات بين الاطباء على متوسطها بين القسوس والمعلمين . بل ان متوسط عمرهم لا يزيد على المتوسط العام ، اكثر من سنة واحدة . وهذا يبعث على الدهشة ، لان الاطباء كطائفة مختارة من الناس ، اقوى أجساماً واقصد ذكاءً وأعلى مقاماً اجتماعياً من سواد الناس . ولكن عدم الانتظام في ساعات عملهم ، ووجوب استعدادهم لتلبية ما يطلب منهم في الحوادث والعوارض ، في أية ساعة من ساعات الليل او النهار ، وتعرُّضهم لمختلف الاجواء من حر وبرد وجفاف ومطر — وخاصة اذا كانوا من اطباء الارياض — يعدل الميزات الاولى التي يمتازون بها . واكثر بواعث الوفيات بينهم ، الانفلونزا والالتهاب الرئوي . بل يمكننا ان نحسب هذين المرضين مما يتصل خاصة بصناعة الطب ، لان الطبيب كثير التعرض لهما في خلال تأديته عمله اليومي . وبلي هذين المرضين في اطباء اميركا مرض القلب وداء البول السكري . بل ان الاحصاءات الاميركية تبين كذلك ان معدل حوادث الانتحار بينهم أعلى قليلاً من المتوسط العام . ولكن معدل حوادث الانتحار بين اطباء انكلترا وويلس ، يبلغ ضعفي المعدل العام . اما وفيات اطباء الاسنان فأقلُّ من وفيات الاطباء واكثر من وفيات طائفة المشتغلين بالاعمال الحرة والاعمال الكتابية

يقابل ذلك ان وفيات الممرضات قليلة . ولعلَّ ذلك سببه ان الممرضات في الغالب عوانس ، والمعروف ان معدل وفيات العوانس قليل . بل لقد يكون معدل وفيات الممرضات اقل من معدل

وفيات العوانس بوجه عام . وقد تناول الكتاب الاوربيون موضوع وفيات الممرضات وتعرضن للعدوى بالسل لتريضهن المصابين به . ولكن اصحاب الرأي في اميركا يختلفون في ذلك ، لان طائفة من المنشآت التي يعالج فيها المسلولون تعتمد على ممرضات مسلولات . ولكن الرأي العام السائد ان صناعة التريض لا تعرض الممرضات للعدوى لتوفيرها وسائل الوقاية في المستشفيات والمصحات الكبيرة . وعلى كل يؤخذ من بعض المباحث التي اجريت في هذا الصدد ، ان معدل الوفيات بالسل بين الممرضات يزيد ٣٣ في المائة ، عن معدله في جماعة عامة من النساء في العمر نفسه

العمال واطار اعمالهم

من الجلي ان اصحاب الاعمال الحرة والمشتغلين بالاعمال الكتابية لا يتعرضون لاطار خاصة تتعمل بطبيعة عملهم ، كالعوارض التي يتعرض لهم عمال المصانع ، او استنشاق غبار يضر بالرئتين ، او غازات سامة ، او العمل في احوال مرهقة من البرد او الحر او الرطوبة او غير ذلك . فهناك طوائف كثيرة من العمال لا تنعم بما ينعم به القسوس والمعلمون والاطباء والممرضات وموظفو الحكومات والشركات والمصارف ، لانهم يتعرضون لحد هذه العوامل او لطائفة منها ، فتضعف صحتهم وتقصّر مدى حياتهم

العوارض الصناعية — واهم المخاطر التي يتعرضون لها ، هي العوارض accidents التي تحدث في المصانع . ففي الولايات المتحدة يموت كل سنة ٢٤ الفاً من الناس بهذه العوارض الآلية . وتحدث عوارض اخرى على درجات متفاوتة من الخطر ، بحيث تمنع المصابين عن القيام باعمالهم مدداً تقصر او تطول بحسب شدة الاصابة وخفتها . فاذا قدر عدد ايام العمل الذي تخسره المعامل في اميركا بسبب هذه الحوادث المختلفة بلغ نحو ٣٠٠ مليون يوم عمل فكأن هذه الحوادث تبقي مليون عامل عاجزين عن العمل ، على مدار السنة . وتقدر الخسارة الناجمة عن هذه الحوادث في اجور العمال ، بنحو مائتي مليون جنيه . ويضاف اليها ما ينفق على معالجة هؤلاء المصابين ، وما يستنزله من اجرة العامل بعد شفائه ، لنقص كفاءته بعد الحادث عنها قبله . ويلى ذلك ان نحو ثلاثة آلاف عامل من كل مليون عامل يعملون في المناجم ، يموتون بعوارض تحدث لهم في خلال قيامهم بعمل التعدين . وحوادث السكك الحديدية المختلفة التي تقع لعمالها البالغين مليوناً وثلاثة ارباع المليون ، تقضي على ١٥٠٠ عامل كل سنة . وكذلك يموت كثيرون من الخطاين بما يقع عليهم من الانقراض الكبيرة ، ومن البنائين وسواقي السيارات وغيرهم بحوادث ناجمة عن طبيعة اعمالهم

وقد حاول اصحاب هذه الاعمال على حدة وباشتراك مع الحكومة ، اصلاح الحال ومع ذلك لا تزال الحال تبعث على التبرم . فتوسط الذين يقتلون في حوادث مناجم الفحم ، يفوق متوسط الوفيات بين الكتبة والموظفين عشرة اضعاف . وتوقع الحياة بين معدني الفحم ، في سن العشرين ينقص عشر سنوات عن توقع الحياة عند عامة الناس . اي اذا توقعنا انا وانت — ونحن في سن

العشرين — ان نعيش حتى نبلغ الخمسين ، فعَدَدُ الناجين لا يتوقع ان يعيش بعد الاربعين ، ومن قبل عمل المعدنين ، اعمال اخرى يستهدف اصحابها الموت بما اطلق عليه اسم العوارض

الصناعية Industrial accidents

✽ الطيران ✽ — وقد بلغ من شدة المخاطر التي يتعرض لها الطيارون ان رفضت شركات التأمين في البدء تأمينهم على حياتهم ، او جعلت اقساط التأمين عالية ، اعلى جداً من الاقساط العادية في التأمين على الحياة . ولما كثر عدد الناس الذي اتخذوا الطيران صناعة لهم ، او وسيلة عادية للانتقال عنيت شركات التأمين بتحديد مدى الخطر على الحياة الذي يتعرض له الانسان في خلال الطيران . فحسبت بعض الشركات حساباً على اساس وفاة عشرة طيارين في كل الفطيار ، وزادت القسط السنوي على تأمين قدره الف ريال ، عشرة ريالات ايضاً . ثم ثبت ان هذا المبلغ لا يكفي في تأمين سائقي الطيارات على حياتهم . والمقرر الآن ، ان سواقي الطيارات النظاميين يختلف متوسط وفياتهم في السنة من ٢٥ الى ٥٠ في الالف . حتى اذا كان الرقم الاقل ، اقرب الى الصواب كان متوسط وفياتهم اربع اضعاف متوسط الوفيات في جماعة عامة من الرجال في عمرهم . وقد ثبت ايضاً ان الخطر الذي يتعرض له المسافر بالطيارة على خطوط نظامية معترف بها لا يذكر ، ولذلك لا يزداد القسط السنوي على تأمينه وقد حاول اولو الامر في الولايات المتحدة الاميركية ، ابتداء وسائل كثيرة لتوقي هذه العوارض وتناجها ، فنقص متوسط الذين يقتلون من موظفي سكك الحديد ، من ١ : ٣٥٧ سنة ١٨٨٩ الى ١ : ١١٣٦ في سنة ١٩٢٨ . ونقصت كذلك الحوادث في مصانع الحديد والصلب وخفت شدتها ، وقل ما تضيعه على العمال من ايام العمل . ولكن النتائج بوجه عام ليست مما يصح السكوت عليه ، بل انها لا تبعث على الرضا . وذلك في الغالب ، للتبدل الدائم في اساليب الصناعات المختلفة . فقد تستنبط اليوم طريقة لتوقي خطر من الاخطار في احد الاعمال الصناعية فيتبدل اسلوب العمل في الغد ، ويأتيك بمخطر جديد ، لا تجدك في اتقائه الطريقة القديمة

✽ الغبار ✽ — اما الغبار فيلي العوارض الصناعية ، خطراً على حياة العمال . فغبار الصخور يحتوي على قدر كبير من السلكا ، وهو كثير الضرر ، يقصر اعمار طائفة كبيرة من العمال في صناعات مختلفة كقطع الاحجار ، واستخراج تبر المعادن المختلفة من الصخور ، واستخراج صخري الاردواز والفرانيت من محاجرهما ، وصقل الجرانيت وغير ذلك من الاعمال المماثلة لها . والواقع ان متوسط الوفيات بين هذه الطائفة من العمال ، هو اعلى متوسط عرف في شركات التأمين ، لان العمل يجمع في بعض الاحيان بين التعرض للعوارض ، واستنشاق هذا الغبار الضار في آن واحد ، كما يقع في تعدين الذهب والفضة والنحاس ، وبوجه خاص في تعدين الرصاص والزنك . فمتوسط الوفيات بينهم يربو ثلاثة اضعاف او اكثر على المتوسط العام . وتوقع الحياة لاحدهم وهو في العشرين ينقص من ١٣ الى ١٤ سنة عن «توقع الحياة» العام . اي اذا كان توقع الحياة لموظف بـ ٦٠ في العشرين من عمره ،

ثلاثين سنة ، فتوقع الحياة لاحد هؤلاء العمال لا يزيد على ١٧ او ١٨ سنة . وقد اثبتت الاحصاءات البريطانية ، ان أعلى معدل للوفيات ، هو معدل الوفيات بين معدني القصدير والنحاس ، المعرضين لغبار الصخور الصلدة التي يقطعونها . فمعدل الوفيات بين هؤلاء المعدنين يفوق اربعة أضعاف معدل الوفيات العام ، ومعدل الوفيات بالسُّل بينهم يفوق ١٢ ضعفاً المعدل العام للوفيات بالسُّل

والسُّل الرئوي دائم كثير الانتشار بين هذه الطائفة من العمال ، فكان دقائق الغبار ، تنفذ الى نسيج الرئتين ، فتحدث احتكاكاً ميكانيكياً — او كيميائياً على ما يرجح الآن — يعقبه تحجر في النسيج ، يجعل الرئة هدفاً صالحاً لعمل باشلس الدرن . وقد اثبت بحث اجري بين قاطعي الغرائب في ولاية فرمونت الاميركية ، ان متوسط الوفيات بالسُّل بينهم ، يفوق عشرة اضعاف متوسط الوفيات بالسُّل في الولاية عاملاً . والظاهر ان الآلات التي تستعمل الهواء المضغوط التي يعتمد عليها الآن ، تثير الغبار الحافل بدقائق السليكا ، أكثر من الآلات اليدوية القديمة ، وهذا يعمل ما ظهر من زيادة في حوادث السُّل الرئوي . وقد ثبت ان هناك انواع اخرى من الغبار عدا غبار الصخور ، يصحب ما يرى في بعض طوائف الناس من ارتفاع متوسط الوفيات ، مثل الحلاقين وصناع الاثاث والنجارين والخبازين وعمال مصانع الغزل والنسيج ومصانع الاحذية او التبغ . ولكن متوسط الوفيات بين هؤلاء ، لا يبلغ في حالة من الاحوال ، ما يبلغه في عمال المحاجر وما اليها

وهناك نوع من الغبار ، يظهر انه يقي من الخطر ، بدلاً من ان يعرض الحياة له . فمن المشهور في جميع انحاء العالم ، ان متوسط الوفيات بالسُّل بين معدني الفحم اقل من معدل الوفيات به بين الذكور بوجه عام . فمتوسط الوفيات بالسُّل الرئوي في انكلترا وويلس بين سنة ١٩٢١-١٩٢٣ كان ينقص ٢٥ في المائة في الذكور الذي يتباين عمرهم من ٢٠ سنة الى ٦٥ ، عن متوسط جميع الذكور بين هذين السنين . وما يصحح على معدني الفحم يكاد ينطبق كذلك على عمال مصانع الاسمنت . وقد ذهب بعضهم ، الى ان غبار الجير كغبار الفحم ، له اثر في الرئتين ، يقي من السُّل . ولكن ذلك لم يثبت ثبوتاً علمياً بعد . ولا ريب في ان البحث العلمي الطبي على اساس المناعة التي يتمتع بها معدنو الفحم وعمال مصانع الاسمنت ، يسفر عن خير عظيم

☞ السموم والغازات السامة ☞ — ان امتصاص بعض المواد السامة ، مثل الرصاص والزئبق والفسفور والنحاس والزرنيخ والبنزول واكسيد الكربون الاول وغيرها من المواد المستعملة في الصناعات المختلفة ، هو الباعث المباشر لمرض بعض عمال هذه الصناعات وموت بعض آخر . ومن قبيل هذه السموم ، الاشعة السينية ، التي يتعرض لها الاطباء والمرضات في بعض المصحات والمستشفيات ومعامل البحث العلمي . كذلك العمال الذين يشتغلون في صنع موافىء الساعات المضئية ، يتعرضون للاصابة بما يعرف باسم « التسمم الراديومي » . ومن المتعذر الآن معرفة مدى الاصابة بالسموم المختلفة الناشئة عن طبيعة العمل ، لغموض الاعراض في هذه الاصابات من حيث صلتها بالعمل

نفسه ، حتى ليصعب على جمهور الممارسين من الاطباء تبينها وتشخيصها ولذلك يهمل التبليغ عن بعضها مع ان القوانين تقتضي بذلك . ولكن بعض الولايات انشأ من عهد قريب قوانين لتعويض العمال الذين يصابون بامراض ناشئة من عملهم ، فينتظر ان تقضي هذه القوانين الى معرفة اتم بهذه الناحية من علاقة العمل بالصحة وطول العمر

ومع قلة المعلومات التي تمكن الباحث من تعيين اثر السموم الصناعية في معدل الوفيات ، تقرر شركات التأمين الاميركية ، ان معدل وفيات الدهانين ، المعرضين دائماً للرصاص — لانه يدخل في تركيب طائفة كبيرة من اصناف الدهان — أعلى من المعدل العام ، وان اثنين في المائة من وفياتهم سببها التسمم بالرصاص . اما في انكلترا ، فالتسمم بالرصاص ، يسبب وفاة كثيرين من البرادين . والمشتغلون بصهر القصدير ، يتعرضون لدخان اكسيد الزنك (القصدير) فيصابون بداء يعرف « بداء صاهري القصدير » واليه يرد وفاة كثيرين منهم بامراض الجهاز الهضمي والسل والتهاب الرئة . ولا ريب في ان الغبار يشترك مع هذه الادخنة في الاصابات التي سبق ذكرها

التعرض لاختلاف الحرارة — تقتضي بعض الاعمال ، على القائمين بها ، ان ينتقلوا فجأة من مكان دافئ شديد الدفء الى مكان بارد شديد البرد . ومن هؤلاء المشتغلون بمصانع الحديد والصلب والخزف والزجاج ، وغرف الآلات البخارية في السفن . فهؤلاء العمال معرضون لأمراض الجهاز التنفسي ، ومعدل الوفيات بينهم ، بالتهاب الرئة ، عال جداً . والواقع ان الوفيات بهذا الداء بين العمال في مصانع صب الحديد ، اعلى منه في أية فئة اخرى من العمال . اما العمال في مصانع النسيج ، حيث يتعرضون للحرارة والرطوبة معاً ، فيصابون بعلل لا يمكن تحديدها وانما يبدو اثرها في ارتفاع معدل الوفيات بينهم . ومنهم من ينحصر عمله في اعمال يطلق فيها البخار من احواض وصناديق ، فيتعرضون للروماتزم المزمن او لالتهاب شعب الرئتين المزمن او لاضطراب في الدورة الدموية

التعب والاجهاد — لقد اثبت الدكتور ريموند پرل فساد القول بأن العمل لا يقتل احداً . فأثبت من درسه لتقرير مصلحة الاحصاء ، ان الاجهاد الجسماني ، يقصر حياة الرجل بعد الاربعين من العمر . قال : من المعروف ان حياة العبيد في السفن الحربية الرومانية والعمال في مصانع الصين ، وعمال مزارع الارز في جاوى ، قصيرة لكثرة ما ينفقونه من الطاقة في اعمالهم . فثمة صلة معينة في معدل وفيات الذين اربوا على الاربعين من العمر ، ومقدار الطاقة التي ينفقونها في اعمالهم . وقد ثبت من بحث ٢٢ الف عامل في مصانع الحديد بانكلترا ، ان الامراض اكثر تفشيًا بين طوائف العمال الذين يقتضي عملهم منهم اتفاق قدر كبير من الطاقة في جو حار ، منها بين الذين عملهم اسهل والجو الذي يعملون فيه اقل حرارة . وثبت من بحث آخر ان تعب القلب الناشئ عن الاجهاد في العمل كثير بين الجنود والحمالين والمعدنين والحدادين . ولا يخفى ان الفتق من الاصابات التي تكثر بين رافعي الاحمال الثقيلة

مراحل الحياة عبر الزمان

للسر جيمز جينز

كشفت علماء الطبيعة من عهد قريب عن طريقة تمكنهم من تبين الصفحات المتوالية في كتاب الارض وتعيين تواريخها تعييناً على جانب من الدقة يسترعي النظر ولا يمحضُ
فقد رأى كل قارئ لهذه الكلمات ساعة من تلك الساعات التي تتألق في الظلام الحالك فيستدلُّ صاحبها بهذا التألق على مواقع عقاربها . ولكن البحث الوافي في هذه الآلات الدقيقة . يثبت لنا ان تألقها ليس فعلاً مستمراً ، بل هو سلسلة من الانفجارات المتوالية توالياً سريعاً فيظهر التألق كأنه مستمر . وكل انفجار سببه تلاشي ذرة من ذرات الراديوم ، او بالحري تحوُّلها . لأن ذرة الراديوم لا تتلاشى فعلاً ، ولكنها تتحوَّل على مرَّ الزمان الى صنف خاص من الرصاص ، يدلُّ عليها والغريب ان تحوُّل الراديوم الى رصاص ، يمضي على وتيرة واحدة وبسرعة واحدة ، ولذلك يستطيع العالم ان يقيسه في مخبره . فاذا استطعنا ان نعرف مقدار ما على عقارب الساعة من الراديوم والرصاص الناشئ عن تحوُّل الراديوم مكننا معرفة سرعة التحوُّل في الراديوم الى رصاص ، من قياس عمر الساعة . وكذلك نستطيع ان نقيس عمر صخور الارض ، بالاسلوب نفسه
فأنا اذا اخذنا شرائح من صخري الميكا والتورمالين ، ونظرنا اليهما بالمكروسكوب ، رأينا فيهما احياناً نوعاً من الهالات هو عبارة عن حلقات متراكزة وفي مركز الهالة ذريرة من مادة مشعة ، تنحلُّ او تتحوَّل ، بسرعة معينة ، على مثال تحوُّل الراديوم في ميناء الساعة . وقد تكون هذه المادة مبنية من عنصر الاورانيوم او عنصر الثوريوم او منهما معاً . فحلقات الهالة ناشئة عن انحلال هذه المادة المشعة

وفي مستطاع العلماء ان يحدثوا هالات من هذا القبيل في المخبر ، مؤلفة من حلقات متراكزة ، فيمكنهم ذلك من فهم اسرار حدوثها في الصخرين المذكورين او غيرها من الصخور
وقد ثبت من امثال هذه التجارب ، ان لون الهالات ، يشتدُّ قتاماً ، بزمي الزمان ، ولذلك يستطيع العالم احياناً ان يقدِّر عمر الصخر من لون الهالات التي يتبينها فيه
بيد ان هناك صخوراً ، تحتوي على عنصر الاورانيوم او الثوريوم ، ولكن لا تبدو فيها

ظواهرات الهالات هذه ، فعند ذلك يعتمد العالم الى التحليل الكيميائي ؟ ليعرف مبلغ ما طرأ عليها من التحول . وهذا يمكنه من تقدير عمر الصخر ، كما يمكنه تقدير عمر الساعة من تحليل الراديوم الذي في ميناء أرقامها

فقد ثبت من تحليل بعض الصخور في كندا ^(١) انها تجمدت من نحو ١٢٣٠ مليون سنة . وثمة صخور في جهات أخرى أقدم من ذلك واطول عمراً ، ولكنها ليست أقدم كثيراً من صخور كندا ، ولا يمكن تعيين عمرها ، بمثل الدقة التي عُيِّن بها عمر تلك . ولذلك يصح أن تقول ان صخور «المغميتيت» بكندا هي الصفحة الاولى في كتاب الارض التي يمكن تعيين تاريخ دقيق لها في هذه الصفحة من الكتاب ، نقرأ ان الارض كان لها من ١٢٣٠ مليون سنة ، قشرة جامدة ، تجري عليها الانهار ، فتجرف في جريانها فتات الصخور الى البحار . بل ان الصفحات التي قبل هذه الصفحة — أو الطبقات التي تحت هذه الطبقة — تبين لنا ، فعلي التبرُّد والتجمد ، ولكننا لا نستطيع ان نعرف ما استغرقه هذان الفعلان من الزمن والمرجح انهما استغرقا ملايين من السنين . ولذلك يرجح علماء العصر ان عمر الارض قد لا يقل كثيراً عن ١٥٠٠ مليون سنة . ولا يمكن ان يزيد على ١٥٠٠ مليون سنة كثيراً ، والأول كانت المواد المشعة فيها ، قد خمدت بعد انقضاء اشعاعها ، ولما اتيج لنا نحن ان نرى ظاهرة الاشعاع الطبيعي . والراجح ان سكان الارض بعد ملايين الملايين من السنين لن يعرفوا ما هي . فاذا كانت المواد المشعة تمضي في اشعاعها وتحوُّلها على وتيرة واحدة فعمر الارض نفسها قد لا يزيد على ٣٤٠٠ مليون سنة ، والراجح انه أقل من ذلك كثيراً

فبين هذين الحدين — ٣٤٠٠ مليون سنة و ١٥٠٠ مليون — يقع عمر الارض ^(٢) . فاذا اقتصرنا في تقديرنا على الارقام « المدورة » قلنا ان عمر الارض يبلغ نحو ٢٠٠٠ مليون سنة ، فهو مائة الف مرة اطول من مدى التاريخ المدوّن ومليون مرة اطول من العهد المسيحي

وقد يتعذر على ذهن الانسان ، ادراك ما في هذه الارقام من المغازي . ولعلَّ ايسر طريقة لتصور ذلك ان نأخذ كتاباً يشتمل على ٥٠٠ صفحة ، تحتوي كل صفحة منه على ٣٣٠ كلمة ، ومتوسط الحروف في كل كلمة ستة حروف . فاذا كان هذا الكتاب يمثل عمر الارض ، فالكلمة الاخيرة فيه تمثل عهد التاريخ المدوّن ، والحرف الاخير فيها يمثل العصر المسيحي . في مدى هذا الحرف الاخير ، قامت الامبراطورية الرومانية ودالت وانتشرت المسيحية في مختلف بقاع الارض ونحوّت دول اوربا من البلدان الهمجية التي وصفها قيصر الى ما هي عليه الآن . (وبزغ في الحجاز نجم الدين الاسلامي وامتدت فتوحات المسلمين من الحجاز الى اوربا شمالاً وغرباً ، ومن الحجاز الى

(١) تعرف هذه الصخور باسم Pagmatite (٢) بعيد كتابة هذا المقال قرأنا آخر تقدير لعمر الارض
اذا هو ١٧٢٥ مليون سنة

اوربا عن طريق شمال افريقيا). في مدى هذا الحرف الصغير، ولد ومات ستون جيلاً من الناس. اما مدى حياتي وحياتك ايها القارئ، فقد لا تفوز بمثل لها في هذا الكتاب بأكثر من نقطة صغيرة فاذا شئنا ان نقرأ في هذا الكتاب ما سبق الكلمة الاخيرة (اي ما سبق عهد التاريخ المدوّن) وجب ان تكون قشرة الارض كتابنا، الذي نقرأ، وما فيها من طبقات الصخور والتراب. وجانب كبير من الصفحات في كتاب القشرة الارضية قد جعّد وتكسر بمرور الزمن عليه، ولكن الصفحات لا تزال في الغالب مرتبة بحسب تواليها الزمني، وبعضها يحمل في طياته هناك وهنا، ما ينبئ عن تاريخه فلنتصور اننا بسطنا هذه الصفحات المجمعدة فاذا نقرأ فيها؟

قبل الـ ١٠٠٠ مليون سنة كانت الارض لا تزال خالية من الحياة، آخذة في التبرّد والتجمد والاستقرار، ومضت على ذلك نحو مائة مليون سنة. ثم قلب صفحة أثر صفحة من الاحداث الجولوجية، في ذلك العهد السحيق، الى ان نقع في الصفحات التي تاريخها يرجع الى حوالي ١٢٣٠ مليون على طمي يحتوي على آثار الكربون. ويرى بعض الجولوجيين في ذلك بعض الدليل الاستنتاجي على ان البحار كانت تحتوي على طائفة من الاشكال الحية البسيطة. ثم نمضي في قلب الصفحات فلا نقرأ فيها، في الغالب الا عن احداث جولوجية، حتى نصل الى الصفحات الخاصة بالمدة التي بين ١٠٠٠ مليون سنة و ٥٠٠ مليون سنة فنجد بقايا حفريات في الصخور، يرى فيها الجولوجي بقايا الاحياء في ابسط مظاهرها. ثم حوالي المدة التي تقع قبل ٤٠٠ مليون سنة، نجد الحياة وقد كثرت اشكالها وتعدّد بناء هذه الاشكال. بل اننا نجد بقايا ديدان وحيوانات بحرية هلامية تعرف بقناديل البحر، وهي لا تختلف كبير اختلاف عن اشكالها المعهودة الآن

ثم تنقضي ملايين السنين، فاذا فتحنا عندها صفحات في كتاب الارض وجدنا حفريات تشبه شياً كبيراً بعض نباتات العصر الحديث. نحسبها نباتات ولكنها لم تكن نباتات لانها كانت تعيش في اغوار البحر، وكانت اشبه بما يعرف بشقائق البحر او نجوم البحر. ولكن بعد ذلك اخذت الحياة تغزو اليابسة وفي آثار هذا العصر نرى حفريات الاعشاب الاولى والنباتات الشبيهة بالسراخس فلما كثرت النباتات على اليابسة اتخذت الارض تدريجاً شكلها الحالي. فحذور النبات تثبت دقائق التراب، وتنشئ تربة مستقرة صالحة للزراعة. ثم ان بعض الحيوان يغتذي بالنبات، والبعض الآخر يغتذي بطوائف الحيوان الاول

كان هذا مفتتح العصر الذي سيطرت فيه الزحافات الضخمة على الارض. ومن اشهر هذه الزحافات حيوان يدعى Dimetrodon Gigas وقد كان عذاءة لاحمة (Carnivorous) ضخمة الجثة، عاشت قبل ٢٥٠ مليون من السنين. ومن العجيب ان بعض الاشكال البسيطة التي ظهرت في ذلك العهد، او قبيله، كالديدان وقناديل البحر واصناف الاسفنج، ما تزال باقية الى عصرنا هذا لم يطرأ عليها تغيير كبير، حالة ان الاشكال المعقدة التركيب التي ظهرت حينئذ تحولت تحولاً كبيراً

واذ نتقدم في قلب صفحات الكتاب نجد صفحات كتب عليها الجولوجيون اسم «الدور البرمي» او «الدور الترياسي» وكتب عليها علماء الطبيعة «٢٠٠ مليون سنة». في هذه الصفحات نقرأ عن احداث جولوجية ، جعلت قشرة الارض وبدلت من شكل سطحها . ففي نصف الكرة الشمالي نقرأ عن جفاف بعض البحار ومنها المحيط الاطلنطي والمحيط الهندي وتحولها الى يابسة ، ونعلم ان جانباً فقط من المحيط الهادى ظل مغموراً بالماء . اما في نصف الكرة الجنوبي ، فيقول الجولوجيون ان الارض المعروفة باسم غوندوانا Gondwana برزت فوق سطح الارض وشغلت الفسحة الممتدة من شرق اميركا الجنوبية الى افريقية فاستراليا

ويرينا الجولوجيون كذلك شقوقاً في الصخور محشودة بحفريات السمك كلها العرم (السردين) في العلب ، فكان هذه الاسماك قضت آخر ايامها حيث توجد قطرات الماء الاخيرة قبل تبخرها

فلما انحسرت المياه عن ساحات شاسعة على سطح الكرة الارضية ، وضاق مسطح البحار الذي تبخر المياه منه ، وقلت الامطار تحول جانب كبير من اليابسة الى صحراوات . في هذه الصفحة من كتاب الارض نقرأ أن بحار اوربا الشمالية ظلت تنقلص حتى أصبحت بحيرات ملحة ، وازدادت ملوحتها بازدياد الجفاف ، ثم جفت تاركة رواسب من الملح على نحو ما نجد الآن في مقاطعتي تششير وساتفوردشير بانكلترا . فلما بدأ الجفاف في الزوال ، لم تظهر اشكال كثيرة من الاحياء التي كانت معروفة قبله ، فكان الجفاف لاشاها ، ولم يبق منها الا ما استطاع ان يلائم ملائمة سريعة بينه وبين الاحوال الجديدة . ومن هذه الحيوانات زحّاف Caeops aspidophorus استطاع ان يعيش على اليابسة بعد جفاف البحار

وبلي ذلك صفحات خاصة بالدور الجوري Jurassic وتاريخها يرتد الى عهد يمتد من ١٥٠ مليون الى مائة مليون سنة قبل عصرنا . في هذا العصر ، عادت الرطوبة الى الهواء ، وحاد المطر ينهل على سطح الارض ، واصبحت الارض من جديد صالحة للاحياء . في هذا العصر ، نشاهد الزحافات التي تخطت عهد الجفاف ، بعضها يعيش في البحر وبعضها على اليابسة ، وبعضها قد غزا الهواء . لاننا في الحفريات الخاصة بهذا العصر نقع على آثار اول الحيوانات المجنحة وقد كان لها في بدء امرها أسنان في مناقيرها . ولكن معظم الحيوانات في هذا العهد كان غير صالح لتنازع البقاء في الغالب لضخامته وعجزه عن الكر والفر

فن الحيوانات التي عاشت في اميركا قبل حوالي الف مليون سنة حيوان يدعى Triceratops وهو نموذج للحيوانات التي كانت تعتمد على دروعها الدفاعية في الكفاح . فقد كان له ثلاثة قرون طول كل منها بضع اقدام ، فكان عليه اذا هوجم ان يقف « وظهره الى الجدار » منتظراً عدوه المهاجم ان يتمزق على قرونيه . وكان حيواناً ضخماً طوله نحو عشرين قدماً وعلوه نحو تسع اقدام .

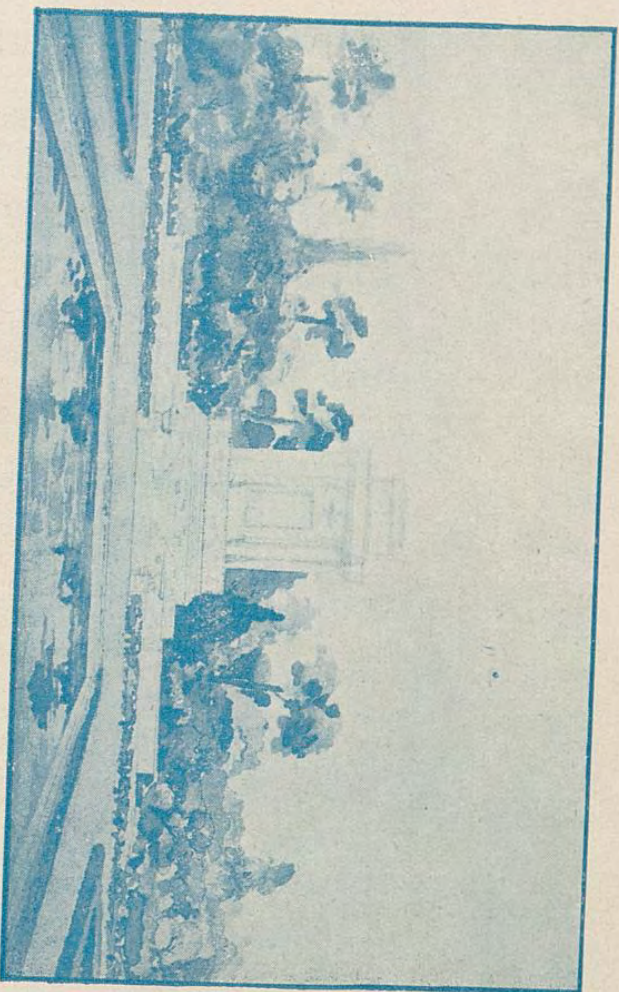
وكان لا يزال زحافاً في بعض خصائصه وكانت انثاء بيوضاً . ولما كانت طرق الهجوم والدفاع لا تزال بدائية فإن هذه الحيوانات لم تكن في حاجة الى كثير من الذكاء ولذلك تجد ان جمجمة هذا الحيوان كان طولها ست أقدام ولكن دماغه كان لا يفوق دماغ الحريرة في حجمه

ومن هذه الحيوانات العجيبة الزحاف المجنح Pterodactyl وقد كانت المسافة بين اطراف جناحيه نحو ١٨ قدماً . ولكن اجنحته كانت اضعف من ان تشيل جسمه الضخم في الهواء ، وارجله اضعف من ان تحمله على الارض . ويصوره لنا العلماء جاثماً على رأس صخرة او اكمة ، ثم اذا به فجأة يلقي بنفسه في الهواء ، فيسبح فيه بفعل تياراته ، على نحو طيران السابحات في الهواء الآن gliders فينقض على فريسته ثم يعود ادراجه ، متثاقلاً الى رأس الصخرة . فكان حياته كانت محاولة مستمرة ان يتعلم الطيران من دون ان يصيب قسماً كبيراً من النجاح

اما الحيوان المعروف باسم diplodocus فكان من اضخم الحيوانات التي ظهرت على الارض . كان علوه نحو ٣٠ قدماً فوق سطح الارض ، ولذلك يرجح ان وزنه كان يختلف من ٤٠ طنّاً الى ٥٠ طنّاً . وقد بلغ من ضخامة جثته ان ارجله كانت تعجز عن حمله ، لذلك فضل ان يعيش في البطائح (المستنقعات) حيث كانت عنقه الطويلة المستدقة تمكنه من تناول غذائه . والواقع انه كان يحتاج الى قوة رفع الماء لكي يستطيع تحريك جثته الضخمة لذلك قلنا ان هذه الحيوانات واشباهها كانت غير صالحة لمعترك البقاء ، فأخلت مكانها لحيوانات اخف حركة وألمع ذكاء

فاذا قلبنا صفحة هذا العهد بعد انقراض هذه الحيوانات انفتحت امامنا صفحة الحيوانات الثديية (الببونة) وهي في صفاتها العامة تشبه الثدييات المعاصرة . فالحيوان المعروف باسم Arsinoitherium كان يعيش في مصر من نحو ٢٥ مليون سنة . كان اصغر من جبابرة العهد السابق ، ولكنه كان مع ذلك في حجم الكركدن او الفيل الصغير . ومنه نشأ الفيل الحديث . وكان هناك نوع الببر ، وهو حيوان اصغر من سلف الفيل ، شرس الطباع ، حاد الناب كان يقطن آسيا واوربا من نحو عشرة ملايين سنة . وكان في حجمه مثل الببر الكبير او الاسد الكبير ، وكان له في فكيه نابان طويلان حادان ولكنهما كانا يعوقانه عن اطباق فكيه ، والعلماء يعجبون كيف لم يمت هذا الحيوان جوعاً لعجزه عن اطباق فكيه ومضغ طعامه

وفي خلال المليون السنة الاخيرة ، نشأ الانسان من بعض الثدييات الشبيهة بالقردة . ان مدة مليون سنة ، تبدو طويلة جداً عند مقابلتها بمدى حياة احدنا على الارض ولكنها بالقياس الى عمر الارض ليست الا لحظة خاطفة . ومع ذلك ترقى الانسان في هذه اللحظة ، فسيطر رويداً رويداً على الحيوانات التي كان يصطادها وبوجه خاص لما تعلم الكلام من نحو ١٠٠ الف سنة



صورة تمثل التصميم الذي وضعه أحد المهندسين لقبر الفردوسي

العام صفحة ٢٧٧

مخطوط نوفمبر ١٩٣٤

الفردوسي وشاهنامته

وعظيم تأثيره في التاريخ واللغة والأدب الفارسي

رأيت ان اتقدم بنصبي الى قراء العربية وادبائها الكرام من الافضاء ببيان عن الشاعر الابراني العظيم الفردوسي وشاهنامته في الوقت الذي تقام فيه الحفلات وتعمد المؤتمرات الادبية ويحتفل العلم والادب والانسانية بمرور الف عام على ذكرام القدسية . وارى قبل الخوض في بيان عن ذلك الشاعر الخالد وقبل مواجعتنا الموضوع ان أطوِّف بالقارئ قليلاً في عوالم اللغة الفارسية وآدابها وتاريخها . ان اللغة الفارسية الحاضرة ناشئة الى حد ما عن اللغة البهلوية التي ترجع الى اللسان الفارسي القديم المسمى (آريا) او الفارسي الباستاني ، وقد انشعبت هذه من اللغة (الآرية) الأصلية ، ولذلك نجد الدولة الفارسية تعرف باسم (ايران) اشتقاقاً من الكلمة الاصلية (آريان) حيث ان لفظة « يان » هي علامة الجمع بمثابة الياء والنون في جموع اللغة العربية ، اما لفظ فارس فهو محرف في التعريب عن كلمة (پارس) الباقية بحالتها الراهنة في بعض اللغات الآرية الحاضرة . اما في اللغة الفرنسية فيسمونها (پارسان) وهي كلمة مخففة عن كلمة پارسيان وكذا يسمى برس المخففة عن پارس وقد ظلت اللغة البهلوية محافظة على صبغتها في الخط والقراءة الى ما بعد الاسلام بقرنين او ثلاثة فزون وعنها نقل ما بقي من تاريخ اليرانيين وآدابها الى اللغة العربية ثم اصبحت بعد ذلك الى القرن الخامس لغة دينية عند الزردشتيين مقصورة على جماعة الموبد والموبدان كهنة زردشت وكذلك من تعلمها من علماء الاسلام كابن سينا والبيروني وابن المقفع وغيرهم وبذلك عاشت هذه اللغة بعيدة عن متناول العامة . اما اسلوب طريقة الخط في هذه اللغة فقد بقي الى اواخر القرن الأول بعد الاسلام وتشهد بذلك مسكوكات من النقود كان التعامل جارياً بها عند العرب منذ الجاهلية وقد نقلت كتابة الدواوين بها من الفارسية في عصر عبد الملك الى العربية واهمل الخط البهلوي وشغل مكانه الخط الفارسي الحاضر الا ان اللغة الفارسية بوجه عام بقيت في ميدان الخطابة والكلام الى ان عادت ثانياً ميداناً للعلم والادب بعد الاسلام

✽ الشعر الفارسي ✽ الشعر الفارسي قديم على ما يظهر حيث كانت الموسيقى فناً تلازم الحضارة الابرانية في سلمها وفي حروبها ومعلوم ان الموسيقى تلازم الشعر وتلازمها في سائر خطواتها فلا بد ان يكون لهم مقطوعات تسير انغامها وكلمات موزونة تجاري اوزانها وفي عهد الساسانيين كما ذكر في تاريخ الادب الابراني لبعض الادباء المعاصرين كان للموسيقى وزير خاص ووجد في ذلك العصر أعظم المنين وفي مقدمتهم باربدنكيسا بامشاد فان اردشير مؤسس الدولة الساسانية قسم رجال الدولة الى ثلاث طبقات ممتازة كان الموسيقيون إحداها حتى باغت عنايته بذلك مما حدثوا عن تقسيم النغمات الموسيقية

على ايام الاسابيع وعلى فصول السنة واواخر الشهور واختلاف الليل والنهار وبقيت بعض المصطلحات الموسيقية الى مابعد الاسلام في كتب الموسيقى والادب واللغة وجرت بذلك السنة الشعراء في الاسلام ومن قرأ رسالة الفارابي في الموسيقى والمحاسن والاضداد للجاحظ وجد بعض مصطلحات موسيقية فارسية قديمة مثل زيرا افكند نهفت زير كشيده توروز ومن هذا الرقي الموسيقي على اختلاف العصور يتبين لنا ان الشعر كان ملازماً للموسيقى وان لم تكن له الاوزان الخاصة الجارية ولكن على كل حال كان يرتكز على اوزان اخرى يمكن تطبيقها على النغمات الموسيقية التي كان لها القدم الراسخة في مرافق الدولة الابرانية ومما يدل على ثبوت الشعر الفارسي ما نقل في شرح ادب الكاتب لبطلبوسي ان طليحة الاسدي من اشراف العرب اتى الى بلاط كسرى خسرو يروز في مهرجان العيد فرأى مغنياً ينشد اشعاراً عربية فلما ترجمت لكسرى لم ترقه واخذ مُغنٍ فارسي يرجع غناؤه فطرب الملك وتناول الراح. ومما يدل على علم الايرانيين بالشعر واهتمامهم به ماروى ابن قتيبة في كتاب الشعراء ان كسرى انوشروان سمع بأن الاعشى ينشد هذا البيت

ارقت وما هذا السهاد المؤرق وما لي من سقم وما لي معشوق

فقال انوشروان ، ما يقول هذا العربي ؟ ورغب في ترجمة البيت فلما فهم قال اذا لم يكن عاشقاً ولا مريضاً مع سهاد فلا بد ان يكون لصاً

وقد بين ابن المقفع في مقدمة كلیلة ودمنة ان في اليوم الذي جاء فيه برزويه بكلیلة ودمنة امر باقامة حفل احتفاء ببرزويه وكتابه وكلف الشعراء والخطباء ان يتحدثوا عن مزايا اليوم وفي هذا دلالة على ان الشعر كان ذاتاً بين الايرانيين قبل الاسلام. اما مبدأ حياة الشعر في العصر الاسلامي فقد اختلفت الآراء في اول شاعر ف قيل انه أبو العباس المروزي وقيل انه أبو حفص احوص السعدي السمرقندي وقيل انه حنظله باد غيسى وليس في الوقت ولا موضوع المقال متسع لتحقيق ذلك

ومما لا خلاف عليه ان اول شاعر بكل معنى هذه الكلمة ، والذي رُویت وحفظت عنه اشعار جيدة بقيت في عيون القصاص هو الرودي الذي نظم كلیلة ودمنة وكان مغنياً بارعاً مكثرأً من نظم الشعر وكان كفيف البصر ولم يمس على بدء الشعر الفارسي الاً بضع قرون حتى نبغ شعراء ضربوا اعظم الامثال في مضمار التخيل والتفكير وفي براعة الاداء والتصوير وخلدوا في صحيفة الادب الفارسي قصائدهم ومقطوعاتهم التي شهد العالم بعظمتها وسمو مكانتها وفي مقدمتهم الشاعر العظيم حكيم ابو القاسم الفردوسي الذي كان من اكبر العوامل في نهضة اللغة الفارسية وادابها الحديثة واسترداد مكانتها العالمية بين الآداب واللغات الحية

❦ الشاهنامه وعظيم تأثيرها في اللغة والآداب الفارسية ❦ الشاهنامه هي المرجع المهم في التاريخ والأدب الفارسي لجميع الأدباء والمؤرخين ، مرجع سهل على المتأخرين سبيل الشعر وهو كنز اللغة الفارسية وقاموسها الرحيب فليس هو كتاباً تاريخياً يشتمل على ذكر الملوك

والابطال وقضايا ايران وحوادثها الماضية فحسب بل هو محتوي على اغلب فنون الادب ففيه حكمة وغزل واخلاق، كما ان فيه قصص الحروب والابطال وجميع نواحي العواطف الانسانية من حب وهيام على ان ملحمة الشاهنامه لا تكتفي من الحوادث بسردها فقط ولكنها تربط العلل بعملولاتها والآثار بمؤثراتها وتشير الى اسباب الطبيعة في سائر القضايا وتتحدث عن الخصائص الاجتماعية ولا تكاد تبدأ بقصة او تختمها حتى تتوجها بالعبرة وتحذر من الاغترار بالدنيا والركون اليها وتقرنها بما يلائمها من النصائح المناسبة لوقائعها المشاكلة لحوادثها وكل هذه القصص ذات الاحداث الرائعة والقضايا المتسلسلة والحقائق العالية والافكار الرحيمة يجليها في اوضح مجاريها ويخرجها في اصدق صورها فتجد القصة مكتوبة منظومة وتحس بها كأنها واقعة مشاهدة تراها رأي العين وتتحقق من مناظرها وابطالها كأنك تعيش معهم وتحيا بينهم في اسلوب قريب ايضاً تتعشقه كل نفس ويستمرئه كل ذوق وهذا ما جعل الشاهنامه نشيد الخاصة والعامة على السواء واتخذ أنيس المحافل فهو يبعث كوامن العواطف والاحساسات ويحمل النفس على التحلي بالشجاعة وركوب الاخطار وقوة العزيمة والاصطبار على نوائب الايام وقد اجمع علماء الشرق والغرب على رأي واحد تجاه الشاهنامه هو اعتبارها أدباً عالمياً وشعراً في اسمى طبقة لم يتوجه اليه احد بنقد ينال من سمائها عدا البروفسور براون في مؤلفه فقد ذكر في مؤلفه في الادب الفارسي ان الشاهنامه ليست في المستوى العظيم من الشعر ثم انه لا يحدد مكانتها في اللغة والادب والتاريخ. على ان مستر براون هو الذي انفرد بهذا الشذوذ وهذا التفرد الغريب في نقده، ولكن اجماع علماء الامم وادباء العالم مع تبان الاذواق والنزعات على تقديرها والحنافاة بها هو اعظم رد على نقد المستر براون واكبر برهان على القيمة التي حازها الفردوسي وليس بضارته بعد ذلك شذوذ فرد وانفراد رأي. على ان كل شعب اعلم بادبه وخصائص الشعر فيه واقدر على التمييز بين الغث والthin فان ألحانه الفنية تقتضي امتزاجاً تاماً بالبيئة التي صدر عنها ذلك الفن ونشأت فيها تلك الصور الابدية وليس من شك في ان مثل براون يعوزه الاتصال الكافي بالفرس من جهات عديدة. فع احترام رأيه فان هذا الرأي خارج عن الصواب ولا سيما اذا لاحظنا ان شعراء عديدين حاولوا تقليد الفردوسي ونظموا الحوادث والملاحم فما بلغوا شأوه ولا ظفروا من محاكاته بطائر ونحن لا ندعي ان كل بيت في الشاهنامه هو بيت القصيد فان سفرأ جامعاً مثل هذا الكتاب فيما حوى من حوادث وقصص واسعة الاطراف لا يخلو ان تكون بعض اشعاره خيراً من بعض واعتراف الشعراء انفسهم وهم اولى الناس بتقدير انفسهم، فيه غناء عن الدفاع عن مقام حرمتها

وهذه ترجمة بعض نوايغ الشعراء في حق الفردوسي. يقول حكيم الانوري ما ترجمته :

مرحبا بمشاعر الفردوسي في مقامه النوراني الرفيع فما كان الفردوسي استاذاً ونحن تلاميذه بل كان اله الشعر ونحن عبيده. ثم يقول ابن يميني : ان الطابع الذي نقشه الفردوسي على دنائير الكلام لم يتح للشاعر فارسي انه كلام هبط من الثريا الى الثرى فصاعد الفردوسي ورفعته من الثرى الى الثريا

يقول النظامي : الفردوسي هو الشاعر التاريخي والعالم الطوسي هو الذي زين بالشعر وجه الكلام كما زين بالحلي وجه العروس

ثم قال السعدي ما اجل اقوال الفردوسي الطاهر الاصل فلتهبط شآبيب الرحمة على ترابه الطاهر
 ﴿ترجمة من الشاهنامه﴾ لعل اكثر ما يهتم له الاديب معرفة رأي هذا الرجل العظيم في الحياة وها هي ترجمة بعض كلماته الحكمية والاخلاقية التي تتضمن رأيه فيها ايضاً
 ماذا تريد من الحياة الطويلة المدى وهي مقفلة الاسرار والغيوب فلها ترسيك اولاً بشهد
 اللذات ولا تسمعك الا ارق النغمات فتظنها قد بذلت لك كل حبها وهي لا تعبس في وجهك فأت
 بها فرح تبذل لها ودائع قلبك واسرار نفسك ثم تلعب معك دوراً بعد ذلك يترك قلبك دامياً
 هكذا هذه الحياة المنقضية فلا تبذر فيها الا بذور الخير

تعال بنا ، لا نودع هذه الحياة بسوء ، ولكنن مجدين في ان ننال منها يد الخير ، لاشيء من الخير
 والشر يبقى ابدئاً ، فاجل بنا ان يكون الخير هو الذكرى بعدنا ، ان كنز الدنانير وقصور الذهب لن
 تكون لك بنافعة ولكن الكلام هو الذكرى الباقية فلا تظن الكلام امرأ هيناً
 ان افريدون فرخ ما كان ملكاً ولا كان مخلوقاً من مسك وعنبر
 ولكن بالعدل والجود وجد هذه الذكرى فكن جواداً عادلاً تكون انت افريدون

اني أحب من الحياة زاوية اجد واجتهد فيها لجمع زادي لا تؤذي غلة تجر الحبة الى قراها
 فان لها روحاً والروح حلو لذيد انه لحجري القلب اسوده من تكون غلة منه في ضيق

أتيها الحياة كلك وهم وانتفاخ لا يكون العاقل بافعالك طروباً اذا نظرت الى افعالك
 لا أجد فيها الا خيالا وما احسن الذي يجعل الذكر الجميل فيك اثرأ سوائاً أعبدأ كان أو ملكاً

لا تركز الى هذه الحياة ولا تأمن بسر أرك لها فان لها في كل حين طرازاً من اللعب جديداً
 ترفع واحداً من مجرى الاسماك الى مسرى القمر وتخفص الآخر من السماء الى الهاوية

ان الحياة عبرة وحكمة فلماذا يكون نصيبك فيها الغفلة لقد اكرت تشاغلوك بالحياة وحرصك عليها
 حتى مضى اصحابك عنك وبقيت وحدك في تشاغلوك

انظر يمينا ويساراً ولا أعرف اول الدهر من آخره هذا يعمل سوء فتأتيه الحياة عفواً ذلولاً
 وآخر يعمل الخير محضاً فلا يلتقي منها الا كدرأ لا تؤذ روحاً ولا تغضب منك قلباً
 فان هذا الدهر ليس ابدئاً كما انه ليس صالحاً كان كذلك وسيمضي هكذا
 هكذا يصنع هذا الفلك الهرم يأخذ من الرضيع ثدى أمه

[البقية في باب الاخبار العلمية]

[بقلم مرتضى الحسيني الفاضلي الايراني]

التطفل في الاحياء

للمبر مصطفى الشربالي

رحم الله طفيلاً الكوفي فلقد خلد اسمه في كتب الادب ومعاجم اللغة بفراط نهمه وشدة حرصه على لذية المآكل ، واستسهاله غشيان الولائم دون ان يدعى اليها ، حتى ظن بعضهم انه اول من اتى هذه الفعلة الخبيثة ، وحتى نسي الناس الورش وهو التطفل والوارشين وهم الطفيليون . وطفيل هذا ليس بأول من دمر على الولائم ليصيب من طعامها ، ولا بأول من دمق على المشارب ليوغل في شربها . وكل حي على هذه الارض طفيلي ابن طفيلي شاء ام ابى الا اذا استطاع ان يعيش في عزلة عن الناس وعن الحيوان وعن النبات وهو ما لا تأذن به عيشته على هذه الكرة الارضية . ورب طفيلي يفيد اكثر مما يستفيد كاسحق الموصلي الشهير اذ يحكون انه دخل بلا اذن على جمع فيهم فينة اضرب على عود فلم ترقه حالة اوتاره فاقترح اصلاحها فتبرم الحضار وقالوا له طفيلي وتقترح وهو المثل المعروف ، لكن الموصلي اسمعهم بعدها ما قامهم واقعدهم حتى جن جنونهم فكانت صفتهم هي الراححة . وقد يورد التطفل صاحبه موارد التلف كقصه ذاك الذي رأى جماعة يسرون او يسار بهم في الطريق فظنهم ذاهبين الى وليمة فاندس بينهم فاذا بهم يقادون الى القتل . ولم يفلت صاحبنا من السيف والنطع الا بعد لاي ولكن ليس جميع الطفيليين على هذا لأن الطفيلي في غالب الحالات يأخذ منك اكثر مما يعطيك وهو اذا قصر همه على اشباع بطنه او ارواء غليله من فضلات زائدك او شرباك كان امره اهن من ان يعتد به او ان يؤبه له . غير ان هنالك الوارشين على مالك كالمرابين وسماسرة السوء واللصوص من التجار ولا سيما بعض الاجانب منهم ، والوارشين على علمك وأدبك وآثار قلمك ينقلون خباياها وينتحلون منها ويتحلون بها وانفق راغم ، والوارشين على بلادك يتمتعون بخيراتها ويسعدون في جناتها ويسخرون السفلة من ابناء جلدتك في استصفاء دماءها وسرقة اعلاقتها . ولا حد يا صاح لاعمال الوارشين من ابناء آدم فمنهم من لا يقل عملهم عن عمل التينيا وهي الدودة العريضة اذ تستقر في امعائك تشاطرك كل ما تهوي به على فك ، او عمل الدودة التي تستولي على عضلك ، او عمل الديدان الاسطوانية او المعقوفة عند ما تتكاثر في دقاق امعائك وتمتص زائدك ودمك ، او عمل الجراثيم التي لا عداد لها وهي تنمو في انحاء جسمك وتتكاثر بسرعة البرق فتولد فيك الامراض التي تعرفها ، وربما قضت عليك وقذفت بك الى العالم الثاني في ايام او في ساعات معدودات ما لم تكن جلدأ منيع الجانب عليها بوسائل الكفاح ، ففي هذه الحال ربما اقلت من برائتها كما تقلت من برائن الطفيليين من ابناء آدم اذا تحليت بالصفات التي ذكرتها وكنت جديراً بالبقاء

ولا يذهبن بك الظن الى ان الانسان والحيوان منفردان بهذه الاعمال الشائنة ، ففي دوحه النبات

انواع كثيرة تقوم افرادها بأعمال التطفل على مختلف اشكالها . فمن هذه الاعمال ما لا ضرر فيه كأن تطلب بعض النباتات المعترشة شجرة او سلكاً او حائطاً او عصي تصعد عليها لتقترب من اشعة الشمس ومن خالقها العلمي الاعلى . وهذه النباتات كبيرة العدد يعرف القراء كثير منها كاهليون المعترش وصنوف من القرع واللوبياء والجلبان العطر وحشيشة الدينار وشب الليل والكرمة وغيرها . ويكون لها اسلاك تسمى عطفات او حوالق تعتمد بها دعامتها وتسير لغايتها صعوداً الى العلاء فلا هي تضر بمضيفها ولا هي تبخل على الانسان بأزهارها المنعشة او بأوراقها الجميلة او بأثمارها اللذيذة

ويا ليت كل الطفيليات كانت كهذه اذن لسهل امرها وهان شأنها ولما استحقت هذا الاسم القبيح . ولكن هنالك نباتات متسلقة ثقيلة الظل شديدة الوطأة على الشجرة المضيفة ، كالبلابل مثلاً فهو اذا التفت على شجرة تشبث بكل شق دقيق من اغصانها وسوقها كأنه يخاف ان تقلت منه فيصبح مقعداً . وتراه ينمو على تلك الشجرة ويلتصق بها حباً وشغفاً دون ان يمتص شيئاً من نسغها ، بل يكسوها بأغصانه وأوراقه ويمنع عنها الشمس والهواء فتستجير من ثقافته بالفلاح صاحب الارض فان اجارها سلمت والا عاشت هزيلة او هلكت مع المالكين . وكفى في الناس من تقلد كالبلابل اذا انت لم توصل دارك دونهم قتلوا وقتك وضيقوا انفسك وأثاروا اعصابك وقصروا عمرك

وليست هذه النباتات طفيليات حقيقية لانها وان زلت ببناء جلدتها ضيوفاً ثقيلة الظل فهي لا تستطعمها ولا تستقي منها . وثمة ما هو اشد منها فظاعة كالكشوث الذي يسميه الشاميون والمصريون «الهالك» فهو ينمو على بعض البقول وعلى الورد ونبات السياج وغيرها ويلتف عليها بأغصانه الخيطية وينشب فيها ممصات دقاتاً ولا ينفك يمتص نسغها ويعتذي به حتى تهزل وتبيد . وكالجمعفيل والدونون اذ ينشبان اظفارها في جذور ما يصادفانه من الزروع فيغتذيان من نسغها ويعيشان برغد من دم الغير بلا مشقة ولا عناء . وكنبات الهمدالة او الدبق فلكن شاهدناه على اشجار اللوز زاهياً ينعم بطل (نسغ) هذه الشجرة وهو اسعد خلق الله حالاً . فهل جال بخاطره انه يعيش من دم هذه الشجرة المباركة . وهب انه ادرك فظاعة عمله افتراه يرتدع عن الاضرار بها وهو لا يستطيع ان يعيش الا من زاد الآخرين وكل هذه الطفيليات لاتعد شيئاً مذكوراً اذا قيست ببعض فطور مجهرية تتكاثر في نسج بعض الزروع والاشجار وتولد فيها امراضاً شديدة الوطأة لاتقل عن الامراض التي تحدثها الجراثيم بالانسان . ومن هذه الفطور تلك التي تولد صدأ الحبوب واسوداد الزروع وتعفن الكرم وغيرها من الامراض التي تعد بالآفات وبعد ارايت ان الحياة جلاذ وجهاد ، وان كل حي طفيلي ابن طفيلي على اختلاف وطأته . وهل لك ان تفسر لنا لماذا جعلت الاحياء على هذا الشكل ولماذا لا تعيش بهنائة ما لم تتكالب على الرزق وما لم تتفان وراء متع الحياة وما لم يُبذل بعضها بعضاً في الدقيق والجليل من الشؤون ؟ هذه امور دقت عن متناول الفهم . ويقولون ان فيها حكمة لا يدركها الا الذين انقشعت الغشاوة عن بصائرهم . فهل انت من هؤلاء النفر الملهمين لتكشف لنا القناع عن احاجي هذا الوجود المعجيب ؟

الحيوان في عصر الآلة

خطبة رجل من فجر التاريخ

الاختراع من الصفات التي يتميز بها هذا العصر . ولكن العصر الذي اخترعت فيه الكتابة والمجلات والإبر ، واستنبط الصفر والقمح والنقد كان من أعظم العصور أثراً في التاريخ ، لأن تلك المخترعات والمستنبطات وغيرها كانت اوثق صلة بأصول التحضر وarkan العمران من المصاييح والسيارات ومثاقب الحديد ومجمعات الشعور ومطريات الجلود ومذيعات الانباء

خذ مثلاً على ذلك الرجل الذي « اخترع » البقرة . فقد يصعب علينا الآن ان نتصور بيتاً ليس فيه زجاجة لبن حليب . ولكن في العصور المتغلغلة في جوف القدم ، كان اصعب على الانسان ان يتصور بيتاً فيه لبن حليب ، دع عنك الزجاجة . فقد كان اسهل على الرجل ان يقدم الى زوجه باقة من الزنابق على ان يأتيها بوعاء من اللبن . وليس ذلك لقلّة اللبن ولكن لتعذر الحصول عليه . فقد كان يملاً ضروع طائفة من الحيوانات ولكنها كانت برية شرسة فلا يحاول رجل ان ينتزع منها لبنها الا ويصاب بأذى عندها ولد عبقرى — عبقرى جرب التجارب بالحيوانات كما نجربها نحن بالمواد الكيميائية . وفي ذات مساء طرأ على فكره خاطر عجيب قوامه الحصول على اللبن الذي يطلبه عند بابه كل صباح

كان تحقيق هذا الخاطر من اعسر الامور . أي الحيوانات اصلح ما يكون لهذا العمل ؟ ففي بعض نواحي الارض كان بعض الناس قد جرب الحيوان المعروف بالكسلان الذهبي . وهو حيوان فيسج الخلقه ، كانوا يحفظونه في الكهوف ويحبونه عند الامكان . ولوانهم نجحوا في تجربتهم هذه لحل الكسلان في الراجح محل البقر في مروجنا وصور مصورينا وقصائد شعرائنا

غير ان الكسلان كان لا يصلح لهذا . فهو يصاب في الصيف بامراض جلدية ، ويشخر في الليل ، وفي ليله طعم كريبه كأن فيه أثراً من السمك . ولو انحصر الاعتراض عليه في الوجوه المتقدمة لها ان الامر . ولكن الكسلان كان غير مزواج بل كان يكتفي بزوجة واحدة . والتقيّد بزوجة واحدة في الحيوانات الزراعية ، ليس في مصلحة الفلاح . فلما تبين الاقدمون ان كل كسلان لا بد لها من زوج خاص بها ، انصرفوا عن محاولة تربية هذه الحيوانات للفوز باللبن الذي تدره اناسها

عند ذلك التفت العبقرى الى حيوان نعل ، لا يبدو على ظاهره انه اصلح لهذا الغرض من الكسلان المنبوذ . كان شرساً ، صلب القرون ، يجفل لأهون الاسباب ، بعيداً في شكله وطباعه

عن البقرة كما هي الآن ، بُعِدَ تبر الحديد عن إحدى المدرّعات . ولكن ذلك العبقرى رأى فيه بعين الخيال ، حيواناً يصحُّ أن يكون « الآلة » التي ينشدها لتجهزهُ بالبن امام داره كل صباح هزىء به الناس ودعوه خيالياً لا يقيم للواقع وزناً . كيف يستطيع ان يصيد هذا الحيوان الشرس النفور ؟ ان البحث عن التبر في الارض ، معقول لان التبر لا ينتقل من مكان الى مكان . اما صيد هذا الحيوان حياً ثم تأنيسه واستدرا لبنه ، فعمل من وراء القدرة البشرية . انه يرفس وينطح ولا يستقرُّ له قرار . ومع ذلك خُلِّ اعتمادنا اليوم في اللبن الذي نشربه صغاراً وكباراً ، ونأكله جنباً مختلف الالوان ، وندخله في صناعات لاحصر لها ، انما يستدرُّ من البقرة التي « اخترعها » ذلك العبقرى وما لبث مفكّر آخر حتى « اخترع » الدجاجة . ذلك انه لم يكتفِ بالبحث عن البيض الصغار في الحراج ، فاختر طائفة من الطير الخفير الجبان ، واقنعهُ بالتربية والعناية بهجر الحراج وسكنى القينان . و « اخترع » غيره في آسيا الجمل للنقل وآخر الحصان للعدو والانتقال السريع قابل بين هذه المخترعات ومخترعاتنا نحن ! ان مخترعاتنا ولا ريب زادت في رفاهتنا ، ولكنها في الوقت نفسه زادت في متاعبنا . ولو انه اتيج لأحد هؤلاء المخترعين القدامى ، ان يزور الارض الآن لأخذ بالعجائب التي اجترحنا . ولأخذ كذلك بالجهد المضني المحتّم علينا الآن . فاذا تملى قليلاً من هذا المشهد الذي يدهشه ويحيره التفت وقال : انني لا أستطيع ان افهم كيف ترضخون لهذا وامامكم مملكة الحيوان . فلماذا لا تختارون منها حيوانات متنوعة ، فتروضونها على القيام بأكبر جانب من العمل المحتوم عليكم ؟ انني لا افهم لماذا تحسرون هذه الاعمال في الرجال . ومن الحيوان اصناف كثيرة يمكن تعويدها ان تقوم بها ؟

فتأنس قليلاً الى ملاحظة الرجل . ويأنس هو منك هذا الاناس فيمضي في قوله :
 « ... ولست ادري ... بل لعلنا كنا في العصور السابقة ابرع منكم واوسع حيلة . خدمنا على ذلك الضأن . فأنها بعد اختراعنا لها شبت عن الطوق في الطبائع المطلوبة منها وكثرة تناسلها وزيادة ما تتطلبه من الخدمة منا . ولكننا لم نلن لها ، ولا رضىنا بها اسيداً ونحن عبيداً ، « فاخترعنا » كلب الرعاة ليراعها ويحرسها

« ولكنني لا افهمكم . تدعون انكم احرار من قيود التحزب لفكرة سابقة وتضحكون من اسلافكم الذين رفضوا ان يقبلوا البخار مسيراً لعربات الانتقال بدلاً من الخيل . فأضحك من دعواكم هذه . لأنه اذا جاء رجل لكم لماذا لا تستعملون الدببة بدلاً من الرجال في تعدين مناجمكم ضحكتم منه وهزأتم بما يقول . ولكن اذا كان لنا في تلك العصور القديمة ان نأخذ الخيل البرية الشرسة ، وروضها حتى تتخلّى عن بعض طبائعها الشرسة كالرفس والعض والنفار ، فنحولها الى حيوانات مطوعة تحمل اعباءنا وتطيع اشارتنا — اذا كان لنا ذلك في العصور القديمة فاحر بكم ان نحولوا الدب الى حيوان يعدن الفحم من دون صعوبه كبيرة

« انني اسلمت بانكم لاتستطيعون ان تستعملوه في التعدين كما هو الآن . ولكن انظروا اليه
نظركم الى الصلصال في يد الخزاف . فهو حيوان في عقله ذكاء ، وفي عضلاته قوة . ويستطيع ان
يستعمل مخالبه كما يستعمل الانسان يديه . انكم لاتستطيعون ان تخلقوا منه بالتناسل حيواناً اربع في استعمال
يديه من الدب الحاضر . وهذا اكثر مما وجدناه في الحيوان الذي خلقنا منه البقرة في عهدنا البعيد
» وانما يظهر ان آخر ما تتجه اليه انظاركم هو استعمال الحيوان . فاذا وجد احد روّادكم نوعاً
جديداً من الحيوان عاد بنموذج منه الى حديقة من حدائق الحيوانات ، او جاء بجملده الى بيته
او احدى المتحفّات . ولو انكم جريتم في استعمال المعادن على هذه الخطّة ، لاكتفيتم بتعليقها على
الجدران او عرضها في المتحفّات او تصويرها بالفوتوغراف

« وما يحيرني عنايتكم الشديدة بالجوامد ، وانصرافكم عن الاحياء

« للمخترعين ثلاثة ميادين - ميدان الجوامد - وميدان النبات - وميدان الحيوان . فلماذا
لا « تبتكرون » حيوانات جديدة . فأنتم بحاجة كبيرة الى ما تستطيعون اختراعه في هذا الميدان
الثالث من ميادين الاختراع ؟

« بل مما يزيد حيرتي ، رضاكم عند القيام بالعمل المضيئي ، من دون ان يسعى احد لالغائه او
الاستغناء عنه ، بالقائه على عواتق الحيوانات التي تبتكر لهذا الغرض خاصّة . ان مخترعيكم يتحدثون
بالغاء العمل ، او تقليله . فما هو السبيل الذي يسلكونه الى تحقيق غرضهم ؟ يبتكرون آلات
جديدة ، تدبر من تلقاء نفسها الآلات القديمة ، والآلات الجديدة يعهد في ادارتها الى الرجال او
النساء . فلماذا يجب عليهم ان يبتكروا آلات لا يديرها الاّ الناس ؟ لماذا لا يحاولون ان يبتكروا
آلات يمكن ان تدبرها الحيوانات ؟ او لماذا لا يحاولون ان يبتكروا حيوانات جديدة تصلح لادارة
آلاتكم ؟ ولو انكم عشتم في العصر الذي استنبطت فيه العجلات ، لما خطر على بالكم - بناءً على
نصرتكم الآن - ان تستعملوا الخيل لجرّ العربات ، بل لجرّ رتموها بأنفسكم ولظلمتم تمرّونها
فروناً حتى يستنبط البخار فيغنيكم عن جرّها على الاطلاق . ولكننا نحن اخترعنا الجياد قبل العرب ،
وكذلك البغال والثيران والحمر . فحوّلنا العربّة ذات العجلات نعمة للناس ، لا لعنة . ان مئات
من انواع الحيوانات تصلح للاستعمال في آلاتكم ، بالتمرين والترويض والانتخاب التناسلي . ان
تطبيع الجياد البرية يستغرق بضعة أسابيع ، ولكن تطبيع الأطفال يستغرق سنين طويلاً . وليس
نعمّة أي خوف ، من ان ينقلب الحيوان المطبّع فلا يقوم بالعمل الذي تعودّه وتمرّن عليه . ولا بدّ
ان يجيء يوم يهزأ فيه حفدتكم من اسرافكم في اطلاق الحرية للحيوانات القوية الصبورة ، تنفق
وفها جزافاً في الحراج والبطائح والسهول وانتم تعملون حتى كدتم ان تأتوا على نفوسكم بالعمل المضجر
المضيئي ثم تتدمرون من مصيركم !

كذلك ختم القادم من فجر التاريخ خطبته في ابناء العصر الحاضر

إذا اخذنا باقتراح ذلك الخطيب البليغ ، رأينا انقلاباً كبيراً قد أتى على مناخنا ومصانعنا . بل رأينا قبل هذا انقلاباً عظيماً في حروبنا . فالحروب اول ما تتأثر بالاختراعات الجديدة . فاذا تعلم الناس ان يستعملوا الحيوانات في إعداد الجيوش ، فقدت الحرب ، بعض فظائرها التي يأبأها الانسان . كان امرأه الهند في العهد السابق للانكيز هناك يستعملون الفيلة في الحرب . فلماذا لا ننشئ فرقاً من النمورة ، تتخصص في الهجوم على الخنادق ، واسراباً من النور لالقائه القنابل من الجو . فالمسألة مسألة تمرين ، ونحن لانستطيع ان نحكم الا بعد ان نجرب !

اوخذ مثلاً آخر . فقد ألّف العالم الاقتصادي البلجيكي — لاسيليري La Sellerie — كتاباً قال فيه : ان ملايين من الأفدنة الصالحة لرعي الماشية في الاقطار الباردة الشمالية ، لا تصلح لذلك من الوجهة الاقتصادية ، لأن الأبقار مثلاً تحتاج الى حظائر مدفأة ، وان ما يقتضيه بناء هذه الحظائر وتدفعها من النفقة ، يجعل العمل من الناحية المالية عملاً خاسراً . ولكن هذا المؤلف لم يلق باله الى طريقة عمد اليها الانسان في فجر التاريخ . ذلك انه ليس من المحتوم علينا ان نربي الأبقار في المناطق الشمالية الباردة لان الأبقار من اصل استوائي ويتعذر عليها تحمل البرد الشديد في تلك الاصقاع . ولكن لماذا لانبحث نوع آخر من الماشية يستطيع ان يتحمل البرد . ولعل افضل هذه الحيوانات التي تصلح لمثل هذا الغرض هو ثور المسك . لا ريب في ان ثروة طائلة تدر على الرجل او الجماعة التي تستطيع ان تلائم ثور المسك لاحوال المعيشة هناك فيسهل تكثيره فيها . ولحم ثور المسك لحم جيد ، لا يفوقه لحم البقر ، وصوفه ناعم كالشعر ولا يتقلص عند الغسل . ومع ذلك فانسان هذا العصر لا يفكر ، الا في الصعوبات التي تقوم في وجهه من هذه الناحية . فيقول ان ثور المسك لم يؤنس . وهو على كونه حيواناً برياً ليس على الاطلاق حيواناً شديداً الشراسة . اننا نجرب التجارب بغير المعادن والمركبات الكيميائية ، مع ان التجربة بحيوان ثور المسك ، تنطوي على لذة وفائدة انطواء التجارب الكيميائية على الاقل

وما قولك في بعض المراعي الافريقية . ففي هذه المراعي حيوان بري يعرف بالاييلند . تأنسه سهل وطعم لحمه لذيق . ولكن الناس لم يروا فيه الا حيواناً للصيد . فابادوه او كادوا من منطقة واسعة مساحتها ثمان مائة الافدنة . ثم جاءوا بالأبقار والثيران لتعيش هناك فباعت تجربهم بالخبية والخسارة . لأن هذه الحيوانات لم تستطع الثبوت في وجوه ذباب تسه تسه

واذا صح ما توقعه منا سلفنا العظيم ، واستعملنا بعض الحيوانات لادارة بعض الآلات ، وجب علينا ان نستنبط وسيلة للتفاهم معها . وهذا امر ميسر اذا عرفنا كيف نعالجها . فبدلاً من ان نحاول تعليم الحيوانات النطق يجب علينا — ونحن بارعون في أصول اللغات واساليبها — ان نفهم لغاتها هي ، فنحكيها فيها ونفهمها ما نريد

هذه لمحة خاطفة من نواحي هذا الموضوع الفتيان نسوقها للتفككة والاعتبار في آن واحد

القضاء في السودان

ظليل الخورى

القاضي بمحاكم السودان سابقاً

القضاء الجنائي : تنمة^(١)

نما يلاحظ ان ترتيب الجرائم في القانون السوداني قد توخيت فيه البساطة القصوى ففار الشارع السوداني فوزاً باهراً بتوضيح ابواب القانون وترتيبها ترتيباً منطقياً جامعاً مانعاً خالياً من الارتباك والتقييد والاعلاق . وابوابه ثمانية وعشرون باباً وهي — مقدمة تبحث في سريان القانون على الاشخاص والاماكن — ايضاحات عامة وتعريفات — والمسؤولية الجنائية وتشمل حق الدفاع عن الارواح والاموال والشرف — والعقوبات — والافعال المشتركة — والتحريض — والشروع في ارتكاب الجرائم — والمؤامرة الجنائية — والجرائم ضد الحكومة — والفتنة — والجرائم المتعلقة بالقوات العسكرية — والجرائم ضد الراحة العمومية — وجرائم الموظفين والجرائم ضدهم — والازدراء بسلطة الموظفين القانونية — وشهادة الزور والجرائم المتعلقة باقامة العدل العام — وجرائم النقود المسكوكة والنقد والورق — وجرائم الطوابع الرسمية — والجرائم المتعلقة بالاوزان والمقاييس والمكييل — والجرائم الماسة بالصحة العمومية والامن والراحة والحشمة والادب — وجرائم القسوة على الحيوانات والجرائم المتعلقة بالدين — والجرائم الماسة بالجسم الانساني وتشمل الجرائم الماسة بالحياة وبسبب اسقاط الحوامل واضرار الجنين وتعريض الاطفال للاخطار ومعاملتهم بالقسوة واخفاء الولادات والاذى والاعاقة والاعتقال بدون حق والقوة الجنائية والتهجم والخطف والتشغيل الجبري والاعتصاب والجرائم المخالفة للطبيعة الواقعة على الشخص وهتك العرض — والجرائم الواقعة على المال وتشمل السرقة والسلب والنهب والسطو والامتلاك الجنائي بدون حق وخيانة الامانة وتسلم المال المسروق والاحتيال اي النصب والاساءة اي اضرار الاموال والتعدي الجنائي — والجرائم المتعلقة بالمستندات وبعلامات الملكية وبعلامات اخرى — والاخلال الجنائي بعقود الخدمة — والجرائم المتعلقة بالزواج والزنا بالمحارم — والقذف — والارهاب والسب والتكدير الجنائي والسكر . وبما امتاز به قانون العقوبات السوداني الامثلة المحسوسة التي يضعها في آخر المواد الصعبة وهذه الامثلة بمثابة شرح عملي للمواد واليك مثلاً واحداً على هذا تستدل منه على قيمة هذا الشرح للمحاكم ولرجال القضاء

المادة ٨١ — اذا اشترك جملة من الاشخاص في ارتكاب فعل جنائي فيجوز ان يكونوا مرتكبين جرائم مختلفة بواسطة ذلك الفعل

مثال — هجم عمرو على زيد في ظروف تهيج شديد تجعل قتله لزيد قتلاً جنائياً لا يبلغ القتل العمد فعاون بكر عمرواً على قتل زيد بدون تهيج وهو اي بكر في نفسه ضغن على زيد ويقصد قتله ففي هذه الحالة يعتبر بكر مرتكباً للقتل العمد وعمرو مرتكباً فقط القتل الجنائي الذي لا يبلغ القتل العمد وان كانا قد اشتركا كلاهما في تسبب موت زيد

وينتج عن هذا ان عمرواً قد يعاقب بالحبس سنة مثلاً فقط وان بكرأ قد يعاقب بالاعدام

تشكيل المحاكم الجنائية — المحاكم الجنائية السودانية خمس درجات — المحكمة الكبرى والمحكمة الصغرى ومحكمة القاضي من الدرجة الاولى ومحكمة القاضي من الدرجة الثانية ومحكمة القاضي من الدرجة الثالثة — وتشكل كل من المحكمتين الكبرى والصغرى من ثلاثة قضاة وهاتان المحكمتان لهما اختصاص بالحكم في الجرائم الكبرى كما سيبين . والمحاكم الثلاث الاخرى مؤسسة على نظام القاضي المنفرد والقضاة الجنائيون من ثلاث درجات كما هي الحال في القضاء المدني ويعتبر مدير المديرية ونائب المدير وقاضي المحكمة العليا المدنية وقاضي المديرية المدني والقاضي الجزئي المدني من الدرجة الاولى قضاة جنائيين من الدرجة الاولى بحكم وظائفهم وكذلك يعتبر المفتش ومساعد المفتش والقاضي الجزئي المدني من الدرجة الثانية قضاة جنائيين من الدرجة الثانية ويعتبر القاضي الجزئي المدني من الدرجة الثالثة والمأمور ووكيل المأمور قضاة جنائيين من الدرجة الثالثة . وقد يدعش القارئ اذا قلت له انه لا يوجد في السودان في الواقع محاكم جنائية متفرغة للنظر في القضايا الجنائية فملوظفون الذين يمارسون القضاء الجنائي السوداني هم المحكام الاداريون او متولو السلطة التنفيذية اي المدير ونائبه ووكيله والمفتش ومساعد المأمور ووكيله والقضاة المدنيين فوق اعماهم الادارية والقضاة المدنية وعلاوة عليها ينظرون في القضايا الجنائية ويحكمون فيها بحسب ما خولهم القانون . كما انه لا توجد محكمة كبرى او محكمة صغرى جنائية ثابتة بل تشكل هاتان المحكمتان عند الاقتضاء من ثلاثة قضاة من القضاة المدنيين ومن المحكام الاداريين الذين هم قضاة بحكم وظائفهم — والقضاء الجنائي هو في الواقع تحت اشراف مديري المديرية أي هم الذين يشكلون المحاكم وهم الذين يوزعون الأعمال والمدير يرأس بنفسه المحكمة الكبرى او يرأسها قاض من الدرجة الاولى يندبهُ المدير وبشروط ان يكون واحد على الاقل من قضاة المحكمة الكبرى الثلاثة قاضياً من الدرجة الاولى اما المحكمة الصغرى فيشترط ان يكون احد قضاتها من الدرجة الثانية — وكما سبق لا توجد في السودان محكمة مخصوصة للقضاء الجنائي وحده الا في مديرية الخرطوم حيث وجد ولا يزال يوجد حتى الآن محكمة جنائية منفردة للقضاء الجنائي يجلس فيها قاض من الدرجة الاولى منفرد وهو الذي يرأس المحكمة الكبرى والمحكمة الصغرى عند الاقتضاء — اما اختصاص هذه المحاكم الخمس فعرفته على غاية من السهولة

والبساطة فقد ذيل قانون التحقيق الجنائي بعدة جداول او قوائم او بيانات فالجدول الاول منها ذو ست خانات الخانة الاولى ذكرت تحتها نمره المادة من قانون العقوبات والخانة الثانية ذكرت فيها خلاصة الجريمة المنصوص عنها بالمادة والخانة الثالثة عنوانها « هل يجوز للبوليس القبض بدون أمر أم لا » والخانة الرابعة عنوانها « هل يجوز في اول الامر اصدار امر قبض ام ورقة حضور » والخانة الخامسة عنوانها « العقوبة » والخانة السادسة عنوانها « المحكمة ذات الاختصاص الادنى التي تحكم في الجريمة » فتمت رفعت القضية كان من السهل جداً ابراجعة هذا الجدول معرفة المحكمة المختصة وقد ذكرت المحكمة ذات الاختصاص الادنى اي اصغر محكمة يجوز لها الحكم في الجريمة وهذا لا يمنع محكمة اكبر من النظر والحكم في الجريمة

وكما انه لا يوجد في السودان محكمة جنائية مخصوصة فكذلك لا يوجد ما يسمونه في مصر محكمة نقض وايرام او ما يسمونه في سوريا ولبنان محكمة تمييز (ولفظه تمييز هذه لفظة اخذها الاتراك عن اللغة العربية كما اخذوا كثيراً غيرها فعبثوا بها وبغيرها وأخرجوها عن معانيها الأصلية ثم عاد العرب واسترجعوها معبوثاً بها) — ولا محكمة استئناف خاصة وانما يستأنف بعض احكام القضاة المنفردين واحكام المحكمة الصغرى الى المدير وتستأنف احكام المحاكم الكبرى الى الحاكم العام وسواء استؤنفت احكام الحاكم الصغرى والكبرى ام لم تستأنف فينبغي رفعها الى المدير او الى الحاكم العام لنقضها او لابرامها او لتعديلها على ان للحاكم العام طلب اية قضية جنائية لمراجعتها ومستشار الحاكم العام في المسائل الجنائية هو رئيس القضاء فترسل الاحكام الى الحاكم العام عن طريق رئيس القضاء

ويتولى في السودان ضباط البوليس اعمال التحري في الجرائم ثم يحيلونها الى القضاة الذين يتولون التحقيق وبعد ذلك تحال الى المحكمة المختصة وليس في السودان نيابة كما في مصر والذي يقوم بأعمال النيابة هو المحامي العام الملحق بالمصلحة القضائية والذي هو بمثابة قلم القضايا العام للحكومة السودانية او هو في الواقع مستشار الحكومة القضائي ولا يشبه النائب العام في مصر او المدعي العام في غير مصر على ان المادة ٢١١ من قانون التحقيق الجنائي السوداني تنص على انه يجوز ان يتولى الادعاء المحامي العام او اي شخص يعينه المحامي العام لينوب عنه او اي شخص يعينه المدير او المفتش او المشتكي او محام معين من قبل المشتكي

ومما يلاحظ ان التقادم او سقوط العقوبة او سقوط الحق باقامة الدعوى العمومية لا وجود له في السودان فليس في قانون التحقيق الجنائي نص على سقوط اية عقوبات ولا على سقوط الحق باقامة الدعوى العمومية وما دام لم يوضع نص كهذا تبقى العقوبات قائمة ويبقى الحق باقامة الدعوى قائماً وفي القضاء السوداني توسع في الجرائم التي يجوز الصلح فيها وقد ذيل قانون التحقيق بجدول حصرت فيه الجرائم التي يجوز الصلح فيها وذكر الاشخاص الذين تجوز لهم المصالحة وعدد هذه

الجرائم تسع وعشرون منها إحداث الأذى والتهجم والتعدي الجنائي والتعدي المنزلي والاخلال الجنائي بعقد الخدمة والزنا واغواء المرأة المتزوجة او خطفها او حجزها والقذف والسب وامتهان شرف المرأة بالاشارات او الالفاظ

وفي القضاء السوداني نظام العفو وهو غير العفو المنوط بالحاكم العام عن المحكوم عليهم وهذا العفو يعرضه المدير او المحكمة او قاضي التحقيق في الجرائم المختص بالحكم فيها المحكمة الكبرى او الصغرى او الجرائم التي عقوبتها الحبس الذي اقصى مدته سبع سنين ، على المجرم بشرط ان يفشي افشاء تاماً وصحيحاً جميع الظروف التي يعلمها والتي تتعلق بالجريمة وارتباط كل شخص اضر بها سواء كان فاعلاً أصلياً او محرراً فاذا قام بتعده بافشاء كل ما يعلم ولم يكذب ولم يخف امرأ ذا شأن عفى عنه عفواً تاماً . اما اذا لم يقم بتعده فاخفى عمداً امرأ جوهرياً او أدى شهادة كاذبة جازت محاكمته عن الجريمة التي عرض عليه العفو من أجلها

وفي السودان نصوص خاصة للوقاية والحماية قبل وقوع الجرائم فيصح للقاضي اذا بلغه ان شخصاً ما يمتثل ان يرتكب اخلاً بالامن او اقلها بالراحة العمومية ان يستحضره ويحجره على تأدية تعهد بكفالة او بغير كفالة بحفظ الامن الخ . وله ان يفعل مثل ذلك لمن عرف عنه انه معتاد ارتكاب الجرائم او هو خطر الى حد يجعل تركه طليقاً بدون ضمان تهديداً للهيئة العمومية . وله في بعض الاحوال اذا رأى ان ثمة ما يدعو الى الخوف من ارتكاب اخلاً بالامن الخ وانه لا يمكن ان يمنع ذلك الا بالقبض العاجل على شخص ما ان يأمر بالقبض عليه ويطلب منه تعهداً بالحفاظة على الامن — والقاضي لا يحق له طلب التعهد الا بعد التحقيق عن صحة ما بلغه

ومن الجرائم ما تحصل المحاكمة فيها بصورة ايجازية وهي مبينة في ذيل قانون التحقيق في جدول خاص . وفي المحاكمات الاجازية لا تدون شهادة الشهود ولا تحرر ورقة اتهام وانما يدون باختصار غرة المحاكمة واسم المتهم واسم المشتكى والجريمة وتاريخ ارتكابها ومكانه وتاريخ الشكوى او التبليغ واسماء الشهود ورد المتهم نعم أم لا والحكم بأسباب موجزة . وهذه الاحكام لا تستأنف وانما يجوز التظلم منها الى المدير الذي له ان يؤيدها اذا رآها موافقة للقانون او ينقضها اذا رآها مخالفة له وهو في هذه الحالة يفعل ما تفعله محكمة النقض والابرار

هذا ما رأيت ذكره عن القضاء الجنائي في السودان وسواء من جهة الجرائم والعقوبات او من جهة نظام المحاكم فما لا شك فيه ان القضاء الجنائي السوداني يمتاز عن غيره مما هو قائم في سائر الاقطار المجاورة بوضوح مواده وترتيبها ترتيباً مبنيّاً على المنطق والعقل وببساطة تشكيل السلطات القائمة على تنفيذه وكل ذلك يؤدي في الجملة الى سرعة الفصل في القضايا الجنائية وكلما تشعبت مصالح العباد في السودان بالتطور تبينت مزايا هذا النظام السهل وقدّرت المحكمة الفاتكة من وضعه بالطرق التي وضع فيها

فناء المادة بتشعع الطاقة

بقلم نفوس الحار

فيما كنت أقرأ الكتاب القيم Astronomy and Cosmogony للعالم الكبير السير جيمز جينز رأيت رأيه في فناء المادة بتشعع الطاقة Radiation of Energy لا يتفق تمام الاتفاق مع نظرية تكون (بناء) الذرة من بروتونات Protons ومن كهارب Electrons تدور حولها — هذه النظرية التي لا يزال علماء اليوم وهو من جملتهم مجمعين عليها. والسر جيمز ممتاز بسعة علمه ودقة نظره الفلسفي ووضوح افكاره في كتاباته الرائقة بحيث لا يهيم ففكر منها على القارئ المطلع. وله نظريات ومكتشفات علمية تجعله في صف كبار علماء التاريخ وفلاسفته

وهو في كتبه شارح نظرية البروتون والكهرب شرحاً وافياً لا يدع غموضاً ولا لبساً في فهمها وشروحه تتفق مع ما قرأته لغيره من العلماء في شرحها وتقرير الرأي الأرجح فيها بعد غربلتها وتنقيحها واعتبار أي تنقيح آخر^(١) مما ظهر ضعيفاً لا يعتمد عليه إلى أن يظهر من الملاحظات والاختبارات العملية ما يؤيده. وقضيتا بناء الذرة Atom ومصير المادة تلوحان في بال كل دارس ومطلع في أيامنا هذه التي تنقف فيها عدد كبير من الناشئة تثقيفاً علمياً. ولذلك اعتقد أن بسطهما بأسلوب واضح يلد لقراء المقتطف وشرحهما يظهر ما لاحظته من الشك في التطابق بينهما

تكوين الذرة أو بنائها

يحمل بيان هذه النظرية هكذا : — كانت الذرة Atom الكيماوية حتى أوائل هذا القرن تعد أصغر وحدة للمادة غير قابلة للتجزئة. والجزيء Molecule يؤلف من ذرات مختلفة في الوزن الذري أصغرها وأخفها ذرة الهيدروجين التي تعد الوزن الأولى أي أن وزنها واحد عدداً وأثقلها ذرة الأورانيوم ووزنها ٢٣٨ مرة كوزن الهيدروجين. والتفاعل الكيماوي يحدث بتبادل الجزيئات ذراتها أو باتحاد جزيء بجزيء آخر أو بجزيئات أخرى اتحاداً كيماوياً. وهذه الذرات لا تختلف في الوزن فقط بل تختلف في خواصها الكيماوية أيضاً. والمعروف منها إلى الآن ٩٢ صنفاً (عنصراً) وربما اكتشف في المستقبل غيرها أيضاً. وإنما في الشمس والنجوم الأخرى ذرات ليست موجودة في أرضنا ومعظمها أثقل جداً من الأورانيوم الذي هو أثقل عناصرنا والذي اشتق راديوم من مادام كوري منه ومن أسرته البولونيوم والثوريوم والأورانيوم. هذا كان معتقد العلماء حتى أواخر القرن الماضي وفي أوائل هذا القرن بعد ظهور الراديوم ودرسه جيداً ظهر أن الذرة وإن كانت أبسط أجزاء المادة

(١) إشارة إلى ما علم حديثاً عن دخول النوترون والپوزيترون في بناء نواة الذرة

او وحدتها التي لاتتجزأ كـيـاويـاً — ظهر انها تقبل التجزئة كهربائياً. فهي مؤلفة من صنفين من الدقائق: الصنف الاول البروتون وهو ذو شحنة كهربائية موجبة او ايجابية والثاني الكهـرب (الكـترون) وهو ذو شحنة سالبة او سلبية. واصناف الذرات الاثنان والتسعون تختلف بعضها عن بعض بعدد ما في كل منها من البروتونات والكهارب. يفهم هذا جيداً اذا شرحنا كيفية وجود هذه البروتونات والكهارب في الذرة ذرة الهيدروجين مؤلفة من بروتون واحد فقط وكهرب واحد فقط يدور حول البروتون. وبعد الهيدروجين تكون الذرة مؤلفة من اكثر من بروتون وكهرب. ووزنها الذري يدل على ما فيها من البروتونات. فالأكسجين مثلاً وزنه الذري ١٦ ففيه ١٦ بروتوناً والاورانيوم وزنه الذري ٢٣٨ ففيه ٢٣٨ بروتوناً. ولا اعتبار لوزن الكهـرب لانه جزء من ١٨٤٠ من وزن البروتون مع انها يكادان يتساويان في الحجم. وبروتونات الذرة متجمعة في وسطها ومجموعتها تسمى نواة. والكهارب بعدد البروتونات في الذرة بعضها متحد ببروتوناتها وبعضها بعيد عنها يدور حول النواة. فحجم الذرة ليس حجم نواتها (مجموعة البروتونات) بل يشمل اقصى افلاك الكهارب التي تدور حول النواة والفراغ الذي بين الكهارب والنواة ليس بالحقيقة فراغاً مطلقاً بل يشغله جو كهربيسي موجي وزيادة الايضاح نقول بعبارة اخرى ان لكل بروتون كهرباً يقابله بالشحنة الكهربائية. فاذا كان الكهـرب متحداً مع بروتونه اي داخلاً في بناء النواة، نعبّر عن اتحادهما بالزواج. فنقول البروتون متزوج كهربهً وحينئذ يكونان متنافيين كهربائياً Neutral اي ان سلبية هذا نفت ايجابية ذلك فلا شحنة هناك. وفي الكتب المدرسية العربية يعبرون عن هذا التنافي بلفظ «تعادل» Neutrality. وقد يكون البروتون اعزب خاطباً اي ان كهربه غير متحد به بل هو بعيد يدور حول النواة (مجموعة البروتونات) كسيار يدور حول الشمس حسب سنة الجاذبية تماماً. ويستفاد مما تقدم ان بعض الكهارب متحدة ببروتوناتها (مزوجة) وبعضها بعيدة عنها (مخطوبة) وحينئذ تكون النواة برمتها ذات شحنات ايجابية بعدد ما فيها من البروتونات العزباء. وذات شحنات سلبية بعدد ما فيها من الكهارب السيارة المخطوبة. وانما الذرة المشتملة على الجميع تعتبر متعادلة Neutral وفي احوال لا يسع المقام تفصيلها تكون الذرة ناقصة كهرباً او اكثر وتسمى Ion وسلخ الكهـرب منها يسمى Ionization ففي هذه الحالة تعتبر الذرة ايجابية الشحنة لان ايجابيتها تزيد على سلبيتها. وزيادة الايضاح نضرب الامثلة التالية: ذرة الهيليوم تحتوي على ٤ بروتونات اثنان منها متزوجان كهربيهما والاثنان الآخريان اعزبان خاطبان لان كهربيهما بعيدان يدوران في فلك حول النواة (مجموعة البروتونات الاربعة). لذلك وزن الهيليوم الذري ٤ ورقه في جدول العناصر الذري ٢ لان كهاربه السيارة ٢ وذرة الصوديوم تشتمل على ٢٣ بروتوناً منها ١٢ مزوجة كهاربها و ١١ عزباء كهاربها تدور حول النواة. لذلك وزنها الذري ٢٣ ورقها في الجدول المذكور ١١. وذرة الاورانيوم تشتمل على ٢٣٨ بروتوناً (كعدد وزنها الذري) منها ١٤٦ متزوجة كهاربها والبقية ٩٢ عزباء كهاربها تدور حول النواة و ٩٢ هو رقمها في الجدول. والاورانيوم

آخر عنصر فيه^(٢). وهنا قد يسأل القارئ كيف تدور الكهارب العديدة حول النواة . والجواب انها تدور في أفلاك كما تدور السيارات في أفلاك حول الشمس بعضها ضمن بعض كفلك عطارد ضمن فلك الزهرة . وهذا ضمن فلك الأرض الخ ولكن الفرق بين النظام الشمسي والنظام الذري ان كل فلك في النظام الشمسي يشغله سيار واحد فقط . فلا ترى سيارين في فلك واحد حتى ولا في فلكين على بعد واحد من الشمس ولو متقاطعين . ولكن في النظام الذري ترى ان الكهربين الاولين الاقربين الى النواة يشغلان فلكاً واحداً متقابلين (وربما كانا يشغلان فلكين على بعد واحد متقاطعين) ثم تلي فلكيهما منطقة ذات ثمانية أفلاك على بعد واحد من المركز ولا بد من تقاطعها ثم منطقة ثالثة فابعة مثلها وبعد ذلك منطقة ذات ١٨ واخرى ذات ٢٨ فلكاً الخ . وتصوير افلاك الكهارب على هذا النحو يفسر درجات الالفة الكيماوية Valencey التي يفهمها الكيماويون جيداً . ومن رام التوسع في هذا البحث فليطالع في الكتاب القيم Introduction to Modern Physics by F. K. Richtmyer

الفصل الحادي عشر ولا سيما صفحات ٤١٨ وما بعدها . ولا محل هنا للتوسع في هذا الموضوع لانه خارج عن دائرة بحثنا . وانما لا بد من بيان نقطة ذات شأن وهي ان الكهارب غير مقيدة بالافلاك بل يمكن ان يثب الكهرب الواحد من فلك الى فلك اقرب للنواة او أبعد عنها بحسب حشر الطاقة فيها او اشعاعها لها . فاذا طرأ على الذرة ما حشر فيها كما (Quantum) من الطاقة تباعد الكهرب من فلك الى فلك وراءه . وكل كهرب سيار يسير على هذا النمط فتتعاقب الكهارب على الافلاك هكذا واذا طرأ ما الزم الذرة ان تشع كماً من الطاقة وثب الكهرب الى فلك ضمن فلكه . وسائر الكهارب تحذو حذوه بالتتابع . فاضافة طاقة الى الذرة تضخم حجمها (اللهم حيث لا ضغط) بحيث تتباعد الكهارب عن النواة الى افلاك قصية عنها . واذا قضي على النواة ان تشع كمات من الطاقات تقلصت الذرة الى ان تعود الى حجمها الطبيعي . ولا محل هنا لبيان الطوارئ التي تطرأ على الذرة لحشر طاقة فيها او لاشعاعها اياها . لان هذا الموضوع متشعب الاطراف لا يمكن ان يشرح في مقال او بضع مقالات . فما ألمعنا اليه منه كاف لغرضنا في هذا المقال

كيفية اضمحلال الذرة

تقدم القول ان البروتون المتزوج كهربية لا يحسب ذا شحنة كهربائية لا موجبة ولا سالبة لان شحنة كل من الزوجين نفت الاخرى فهما متعادلان Neutral . ولكن البروتون الذي لا يزال اعزب ولكنه خاطب كهرباً دائراً حول النواة (التي فيها البروتون المذكور نفسه) يعد موجب الكهربائية وكهربية الدائر حوله يعد سلبى الشحنة . وكل منهما يجذب الآخر . وانما الذرة برمتها تعد متعادلة الشحنتين . ولما كان البروتون اثقل مادة من الكهرب ١٨٤٠ مرة فلا يحسب حساب لجذب الكهرب له كما انه لا يحسب حساب لجذب الأرض للشمس (الا نظرياً) لصغرهما بالنسبة الى

عظمة الشمس . لذلك بقوة جاذبية البروتون للكهرب يدور الكهرب حول مركز الذرة الذي تمثله

النواة بسرعة مطابقة لناموس المسارعة الجاذبي هكذا $m = \frac{S}{\text{ش}} = \text{أي المسارعة} = \frac{\text{مربع السرعة}}{\text{البعد عن المركز}}$

فكلما انحشرت الطاقة في جو الذرة (الكهرطيسي) أي تخزنت فيه قلت مسارعة الكهرب فيبتعد بحسب هذا الناموس عن المركز . ولكن اذا جعلت الذرة تشع كمّات Quanta من الطاقة نشطت حركة الجوّ المذكور فيتسارع الكهرب . ولنفرض الآن ان ذرة كذرة الهيدروجين وجدت في ظرف طارئ يقضي عليها ان تشع طاقتها التي في جوها الى ان تفرغ منها كلها تماماً فبحسب هذا القانون يعجل الكهرب متسارعاً في دورانه الى ان يهبط الى بروتونه كما يهبط الحجر الى الارض وحينئذ يضمحلان معاً — البروتون والكهرب — يضمحلان اذ يتحولان الى طاقة متشعة

يقول السير جيمز جينز في صفحة ١٣٦ من كتابه الذي اشرت اليه في صدر هذا المقال . ولا يهمننا ان كان هذا الاضمحلال يحدث في الحال او بسلسلة تحوُّلات (من حال الى حال) تستغرق وقتاً طويلاً او قصيراً . ويحتمل جداً انها لا تحدث بسرعة بل على التوالي كأنها تذوب ذوباناً لا كما يذوب الثلج بحرارة من الخارج بل كما يذوب الراديوم بتفكك في داخله

وفما ان هذا التشعُّع الناتج من اضمحلال البروتون والكهرب صادر من داخل النجم كالشمس مثلاً ينحسر في ذرات اخرى في سبيله ثم تشعه منها — ينحسر ويُشعُّ مراراً لا يحصى عددها ، تشعه الواحدة الى الاخرى الى ان يخرج من سطح النجم وينطلق في الفضاء . ويظن ان الاشعة الكونية Cosmic Rays التي لا تزال لغزاً للعلماء هي ذرات مندثرة من سُدم و اجرام قصية يكثر فيها الاشعاع للسبب الآتي ذكره : و اضمحلال الذرات على هذا النحو هو اطلاق لمقادير عظيمة من الطاقة . وانما قلة الذرات المندثرة يكفل للنجم العمر الطويل . معدل هذا الاضمحلال في الشمس مثلاً ذرة واحدة في 10^{17} (اي واحد الى يساره ١٧ صفراً او ١٠ مضروبة بنفسها ١٧ مرة) من الذرات مثل هذا الاضمحلال لا يحدث الا في الذرات الثقيلة جداً كالراديوم والاورانيوم والثوريوم التي تكثر فيها البروتونات والكهارب فتكون اقل استقراراً من الخفيفة او اكثر تقلقلاً فتندثر منها بعض بروتوناتها وكهاربها على نحو ما تقدم وصفه . وفي اعماق الشمس من العناصر التي لا وجود لها في ارضنا ما يبلغ ثقلها اضعاف اضعاف ثقل الاورانيوم الذي هو أثقل عناصر ارضنا . وفي تلك العناصر يحدث اندثار البروتونات والكهارب على نحو الاندثار الذي يحدث في الراديوم واسرته . وفي اجرام اخرى من العناصر ما هو اثقل جداً من عناصر الشمس الثقيلة . وكلما كان العنصر ثقيلاً كانت ذرته عرضة للتفكك واندثار بعض بروتوناتها

تعارض النظريتين

هذا هو مجمل نظرية السير جيمز جينز في فناء الذرة او المادة . فالنقطة التي في هذه النظرية

تعارض مع نظرية تكوين الذرة هكذا : — اذا كان سقوط الكهرّب الى بروتونه (بحيث تفني شحنة الواحد شحنة الآخر) يفضي الى اضمحلال الاثنين معاً في لمة او لمعات تشعّع فلماذا لا يضمحل البروتون المتزوج كهربه في النواة (مجموعة البروتونات) ؟ ما الذي ابقى على حياته وحياة كهربه بعد فناء شحنتيهما او انطلاقهما امواجاً في الجو الذري الكهرطيسي ؟ . لم اجد في شرح جينز ولا شرح غيره ممن قتلوا هذا الموضوع بحثاً ما يستخرج منه بيان لهذا التناقض بين النظريتين . وبعد تفكيري في هذه المسألة لاحت لي فكرة تصالح بين النظريتين ولا تتعارض مع سلسلة بناء الذرة ممازعه اقطاب العلم بشأن بناء الذرة ارس كل ذرة او نظام (مجموعة) ذرات او مجموعة مجموعات انما هي في حركة دورانية على الدوام بمقتضى سنة الجاذبية العامة . فالبروتون يدور على نفسه كما تدور الشمس على محورها والارض كذلك . والنواة (مجموعة البروتونات) تدور على نفسها ايضاً . والكهرّب فيها هو يدور حول النواة يدور على نفسه ايضاً دورة محورية ^(١) . والفوتون ^(٢) احد الوحدات الصغرى النهائية ، التي ينحل اليها الكهرّب والبروتون تدور على نفسها وهي مندفعة في الفضاء تشعّعاً ومادام البروتون يدور على نفسه فلا يمكن ان يكون كهربه المتحد به (في رأيهم) متجداً به حقيقة لأن دوران البروتون على نفسه يحدث جواً كهرطيسيّاً حوله ولو على بعد قليل بسرعة تناسب مع سرعة البروتون فالكهرّب الذي حسبه متزوجاً بروتونه لا يزال يدور حوله كأنه وبروتونه نظام مستقل في داخلية . ولكنه مشترك بنظام عام هو نظام النواة كله . وأما الكهرّب المطلق الذي لم يتزوج بروتونه فلا يدور حول بروتونه وحده بل يدور حول النواة (مجموعة البروتونات كلها) . هذا هو الفرق بين الكهريين : (الكهرّب الزوج والكهرّب الحر المخطوب)

فكان النواة ليست مجموعة بروتونات « مكبوسة » بعضها مع بعض كتلة واحدة بل هي مجموعة انظمة في اول درجة من النظام . وانما يقوم ضد هذه النظرية امر يتراءى انه مفسد لها وهو ان كهراب البروتونات المتزوجة كلها سلبية اي من جنس واحد في الشحنة الكهربائية فتدافع بعضها مع بعض وهو امر ليس من مصلحة النواة اذ يجعلها مقلقة عرضة للتفكك لاقط ضغط يكف عنها . على ان هذا الامر هو في الظاهر معارض للنظرية ولكنه بالحقيقة يؤيد كيفية اضمحلال البروتون وكهربه لان الذرات التي هي عرضة للاضمحلال هي الذرات الثقيلة المقلقة لانها عديدة البروتونات المتزوجة — لأن كهرابها قريبة لها جداً والضغط يسبب بطء دورانها ، وبالتالي بطء دوران كهرابها حولها . فلا يطارىء من الطوارئ تقع هذه عليها ويحدث التنافي في الشحنة فالاضمحلال الذي شرحه السير جيمز جينز كما خُصته عنه . وسبب الضغط عليها وجودها في اعماق الجرم لتقلها . ناهيك عن ان تنافر كهرابها النواتية (التي مع بروتونات في النواة) يسبب تقلقلها ويسهل تفككها

(١) الكهرّب ينحل الى ١٠٠٠٠ فوتون والبروتون = ١٨٤٠ كهرّباً اذن = ١٨٤٠٠٠٠٠ (٢) فوتون انظر صفحة ١٥٣ الى ١٦١ من كتاب جينز The New Background of Science

داعى الحياة

يخفق القلبان ، بل تهفو الشفاه منذ ان ضمتك في شوق يداه
منذ ان رنَّ صداها قبلة نهلت منها وعلت شفقاته
وارتوت روحا كما بل ظمئت برحيق القبلات المشتهاه
بل رحيق الخلد قد طاب جناه وسرى فيه حلاه وشذاه

يخفق القلبان ، بل تهفو الشفاه حين يلتقى ناظريك ناظراه
حينما يستعمر الحبُّ جوى يكتوي القلبان من حر لظاه
فيرجى كل ثغر قُبلة هي بردٌ للحنايا والشفاه
منلما يطلب ربًّا ظامئًا ينظر الماء ولا يبلغ فاه

يخفق القلبان بل تهفو الشفاه كلما بشرَّ بالحب الهُداة
كلما نادى المنادي حيَّ هَلَا يقطف المحروم ما طاب جناه
ما لمحرومين لم يستمعا ؟ ذلك الصوت الذي دوى صداه
ايه هيَّا ، فلنُجب داعي الشفاه فهو داعي الحب او داعي الحياه

سبر قطب

وراء كمامة الغاز

[هذا المقال ملخص فصل للكتاب الانكليزي بقولي نكاز في كتابه « المشهور » « Cry Havoc » وهو الكتاب الذي عالج فيه موضوع الدعاية للحرب والسلام وصناعة الاسلحة ومؤتمرات نزع السلاح بأسلوب يقرب دقائق هذه المباحث من اذهان العامة]

كان الوقت بعيد الظهيرة ، والجو قاتم مريب ، لما سرت في طريقي الى زيارة شركة « أنتي غاز لمتد » وهو اسم مستعار لشركة حقيقية — ومعنى الاسم شركة مقاومة الغاز سرت على قدمي لقتل الوقت لان الميعاد لم يأزف ، ولان مقر الشركة على ضفة التاميز الاخرى ، وأنا أحب ان اجتاز جسور لندن على الاقدام . ولبثت قليلاً على جسر وستمنستر ، وحدقت في النهر ، فرأيت جريانه اليوم اسرع من جريانه العادي ، وكانت الطيور تحوم فوقه ، تشيل وتحط ، والزوارق البخارية تصفر وتنفخ وترسل دخلها في الفضاء . حتى هنا لست اجد سلاماً ! ثم تابعت سيري . . . وأخيراً وصلت الى نافذة شركة (أنتي غاز لمتد) . فوقفت وحدقت . وانتي لارتاب في هل فكر مئات الالوف من المارة بأن هذه النافذة تستحق التحديق فيها . لانها لا تسترعي النظر . . . بل لمن السهل ان تحسبها نافذة لمكتب قديم من مكاتب المحاماة . وكان زجاج الجانب الاسفل من النافذة غبشاً غير شفاف . والاشياء المعروضة فيه قليلة وتنبو عنها العين . هوذا اداة لاطفاء النار ، وجهاز للتنفس ، وشيء ثالث لم أتبينه . انك لا تجد في هذه النافذة ما يدل على ان في هذه الدار ، الوسائل الوحيدة التي تستطيع لندن ان تستعملها لحمايتها ووقايتها من لعنة الغازات في الحرب المقبلة !

ماذا . . . ماذا تقول . . . الوسائل الوحيدة للوقاية . . . ولكن اين الجيش ؟ اين سلاح الطيران ؟ انما اثبتنا لك ايها القارئ العزيز ، انه رغماً عن جيش حديث مستعد ، وسلاح طيران عزيز كفاء ، لا يستطيع اية مدينة ان تدافع عن نفسها الدفاع الوافي في عصر الطيران ، واذن فهي معرضة ، لتقابل الغاز تنثر فوقها وتنفش غشاء من الغاز ، يخنق ويميت

سامت بذلك ؟ ولكن ماذا تقول في كمامات الغاز ، الكمامات التي استنبطت لتقي من الغاز القتال ؟ ان هذه الشركة على ما اعلم ، هي الشركة الانكليزية الوحيدة التي تصنع كمامات الغازات ، صنعا واسع النطاق . اذن يصح قولي السابق ، رغم اعتراضك ايها القارئ الكريم ، بأن في هذه الدار الوسائل الوحيدة التي تستطيع لندن ان تستعملها لحمايتها ووقايتها من لعنة الغازات في الحرب المقبلة فلندخل هذه الدار آمنين لنرى ما يصنع فيها لوقايتها

قرعت نافذة مكتب الاستعلامات ففتحه شاب بسام ، فأعربت له عن رغبتي فقال مرحباً — من هنا يا سيدي — فصعدنا سلماً ضيقة ، ضئيلة النور ، ودخل بي الى غرفة صغيرة ، تفتح نافذتها ، على صحن خلفي للدار ، فتحس اذا نظرت اليه بان الدار مكتب محام قديم محافظ . ولكنني رأيت بعد قليل شيئاً بدّدهمهي

ذلك اني رأيت في خزانة زجاجية لعباً ، وقد لبست جميعها كمامات الغاز ؟ فاعجبت بالفكرة . وقلت في نفسي ، ان افضل هدية لعيد الميلاد ، هي ان تشتري كل والدة لعبة لابسة كمامة غاز وتهديها الى ابنها ! وتصورت عندئذ الوفاً من اصابع الاطفال الغضة في بيوت انكلترا ، تتناول هذه الكمامات وتضعها على وجوه لعبها المحبوبة . وعند التحديق في الخزانة ، عرفت ان هذه الاشخاص ليست لعباً على الاطلاق ، وانما هي ، امثلة صنعت خاصة ، للتمثيل على استعمال الكمامة ، فبعضها للحرب ، وبعضها للمناجم

عند ذلك فتح الباب وسير بي الى مكتب الرجل الذي عهد اليه في ان يطوف بي ارجاء المعمل . فلندعه « المستر اكس » وانا في نقلي ما رأيته في هذا المعمل لا احس بتأنيب الضمير الذي احسست به عندما كتبت عن مصانع السلاح . ففي المرة الاولى كنت جاسوساً يريد ان يبيع للعالم اسرارهؤلاء الناس الذين يجنون الربح من الاتجار بوسائل الحرب ، ولكن هذه الشركة مقاومة للسلاح الذي يقصد به الى تقويل الناس وإزهاق ارواحهم . بيد ان بين مصانع السلاح وبين هذا المصنع المقاوم لفعل السلاح ، شبهاً اساسياً . ذلك ان معامل السلاح تبيع سلاحها لآبناء وطنها ولاعداء وطنها ، على السواء — فشعار اصحاب مصانع السلاح « اقتلوا من تشاغون ما زلتم تشترون سلاحكم منا » . وشعار مصنع الكمامات هذا « خلصوا من تشاغون ما زلتم تشترون كماماتكم منا » . واذ نحن مارون في دهليز قاتم رأيت كومة عالية من اقراص معدنية فقلت للمستر اكس ما هذا ؟

قال — اجزاء كمامات واقية من الغاز ؟

قلت — ولكن هذه الكومة كبيرة جداً

قال — عددها اربعون ألفاً

قلت — أصحیح ما تقول ؟ انه يسرني ، ان يبقی في انكلترا اربعون ألفاً بعد الحرب الكبرى

لانهم استعملوا هذه الكمامات

قال — في انكلترا ؟ ولكن هذه الكمامات صادرة الى تركيا !

ما اعجب الجشع الانساني ! لنفرض ان انكلترا اضطرت ان تحارب في الشرق الادنى ، فيحاول طياروها ، ان يدمروا مدينة تركية ، فيتي اهل المدينة فعل الغاز الانكليزي بكمامات انكليزية ، ويحاولون ان يسقطوا ، الطائرات الانكليزية بمدافع انكليزية ! واذ انا أفكر ، في هذا ، توقف المستر اكس ، فاذا نحن امام الكمامات نفسها لا امام اجزائها ،

وهي من اشنع ما تقع عليه العين ، وابعدها شكلاً عن الطبيعة والحياة ... وكانت هذه الكمامات معلقة، صفافوق صف . ثم التفت اليّ وقال - وهذه الكمامات صادرة الى حكومة اجنبية اخرى ! قلت للمستتر اكس : من الممكن ان تغطّي مدينة لندن ذات يوم بغشاء من الغاز قال : ذلك ممكن ... على الاقل

قلت : وهل يمكن ان يجهز كل رجل وكل سيدة وكل طفل بكمامة واقية من الغاز ؟ فتوقف قليلاً ... وفي توقفه حسبت انه يفكر فيما كنت افكر فيه من ناحيتي ، لانك اذا وجهت هذا السؤال وانت تعني ما تقول ، كان الجواب عنه في طيات السؤال نفسه . تصور الاطفال والمجانين والمرضى في المستشفيات ، وعمال النقل - تصور مدينة كبيرة يحصى سكانها بالملايين ، وقد لبس جميع ابنائها هذه الكمامات ٢٤ ساعة ! والراجع ان الرجل كان يفكر في هذا فقال : - نحن نستطيع ان نصنع اربعين مليون كمامة ، ونبيع الكمامة الواحدة بمخمسة وعشرين قرشاً قلت : أأستطيعون حقيقة ان تصنعوا اربعين مليوناً . قال : نستطيع ذلك وننجي منه ربّنا قلت : وماذا تفعل بعائلتك . قال : اول شيء افعله ، هو ان ابني غرفة في داري لا ينفذ الغاز اليها قلت : وكيف تصنع ذلك ؟ كيف تنفّس ؟

قال الرجل : تريد ان ترى كيف تمتحن كمامات الغازات التي نصنعها ؟ فقلت : يهمني ذلك فنزلنا سلام خشبية ضيقة ، ومضينا في ممر قائم واجتزنا غرفة رمادية ، وخرجنا الى صحن خلقي على جانب من القذارة . شممت رائحة لازقة حريفة متصاعدة من جوانب الصحن . وكان أمامنا ، غرفة سوداء ، تتسع لاثني عشر رجلاً ، وكان لها ثلاث نوافذ غام زجاجها ، بما تقلص عليه من رطوبة الهواء . وكان في أرضها ثلاثة ثقبوب سُدَّتْ بالفلين . وشاع في جوانبها رائحة كريهة كأنها متصاعدة من جثة نتنه

واذا انا احرق في هذه الغرفة ، سمعت سعالاً ورأني ، فالتفت فرأيت ثلاثة رجال ، قد صفوا صفّاً واحداً للتفتيش . كان اثنان منهم كهلين ، وقد لبسا حزامين عجيبين الشكل أظنهما كمامتي اكسجين من النوع الذي يستعمله المهندسون ، عند حفر الانفاق . أما الثالث فكان فتى في التاسعة عشرة من العمر . وكان هو الذي سعل السعال الذي نهني اليهم . وكان يحمل كمامة الغاز التي توردها هذه الشركة الى وزارة الحربية

استرعى هذا الفتى نظري ، لانني رأيته يرتجف من رأسه الى أخمصيه . ولماذا يرتجف ؟ فالجو ليس بارداً ، بل هو معتدل كل الاعتدال . ما حكايته ؟ وكأنه كان على وشك أن يقول شيئاً ، ولكنه لم يستطع ان يقول ، لأن صاحبي المستر اكس صهق بيديه وأصدر الأمر بلبس الكمامات فلبس الرجال الثلاثة كماماتهم . ان يدي الفتى لا تزالان ترتجفان ، حتى كاد يعجز عن ربط سيور الكمامة على قذاله

وعند ذلك فتح باب وخرج رجل مرتدياً معطفاً أبيض ، ودخل الغرفة القائمة ، وادخل فيها دائرة كهربائية ، فقفزت بضع شرارات في الظلام بين قطبيها ، وخرج هو من الغرفة مهزولاً ، وبعد دقيقة ، رأينا غماماً من الغاز الاصفر ، قد بدأ يخرج من الباب ، بعد ما ملأ جو الغرفة فقال المسترا كس ، هذا الغاز ليس من أشد الغازات سمّاً ، ولكن اذا استنشقت منه مقداراً كبيراً سقطت في الحال عاجزاً ، بيد ان تأثير الغاز الذي من هذا القبيل نفسي على الاكثر ، ويجب ان نعود الناس ان يستعملوا هذه الكمامات وفكرت في التأثير النفسي ، فتذكرت الشاب المرتجف ، وكان قد دخل الغرفة التي يملأ جوها هذا الغاز الاصفر

ثم فتح الباب ، وخرج الرجال يتعثرون وأزالوا الكمامات عن وجوههم ، فاذا وجه الفتى متمم كأنه فاقد الحياة ، فتقدمت نحوه وقلت هل لي ان أرى كمامتك ؟ قال : أريد ان تدخل الغرفة ؟

قلت : نعم ، لأرى ما هو هذا التأثير النفسي ! قال : طيب . ولكنني لم ار منه ما يشجع . قلت : ليس ثمة خطر ما من الدخول ؟ قال : لا . ليس ثمة أي خطر .. إنما كنت افكر في ثيابك ، فقد تشبع بتلك الرائحة الكريهة فقلت ان رائحة ملابسي لا تهم .. اخذت الكمامة من الشاب وكان عليها من الداخل قطرات عرق تصببت من جبينه . فوضعتها على وجهي وربطت قيودها على وسطي وقذالي وعندئذ احسست اني بعيد عن العالم . يفصل بيني وبينه حجاب صفيق ... حتى التنفس كان عسراً ، كأنك تستنشق هواء من عالم آخر

دخلت الغرفة ، واذا العالم في نظري كالكابوس يتملكك ، في الليل يثقل تنفسك ، ولا تدري كيف الخلاص منه . ولم يكن ذلك الاحساس ناشئاً عن الخوف ، لان الدخول الى هذه الغرفة ، والكمامة على وجهك لا يعرضك لأي خطر ، وإنما كان ذلك فعل التأثير النفسي ، الذي أشار اليه صاحبنا المسترا كس ، ورأيت أثره على وجه صاحبنا الفتى المرتجف الممتقع . ذلك انك تحس انك فقدت كل حيلة ، فكأنك حيوان تحيط به النيران ولا يدري ابن المفر

والآن أغمرض أيتها القارئ عينيكَ وتصور سيدة جميلة تحبها ، وقد لبست احدى هذه الكمامات تصور ان والدتك او ابنتك او زوجك قد لبست إحداها ، فهي لا تستطيع ان تتكلم إذ تلبسها ، ولا تستطيع انت ان تخاطبها اذا لبس كلٌ منكما كمامة ، بل لقد تنفر منها إذ تراها في هذا القناع المخيف ثم قل بربك كيف تستطيع امة بأسرها ، ان تتقنع ، بهذه الكمامات وتمضي في حياتها تحت هذا التأثير النفسي ، منتظرة العدو يلقي عليها الغاز من الفضاء ؟ !

تأسيس القاهرة

بقلم الكاتبة كرسويل استاذ الآثار الاسلامية بالجامعة المصرية

K. A. C. Creswell

ونقله الى العربية السيد محمد رجب بوزارة المعارف

منشأ الدولة الفاطمية — قيامها بالقىروان — الاسباب الفلكية
لغزو مصر — جوهر قائد الخليفة الرابع المعز لدين الله الفاطمي يغزو
مصر — سقوط الفسطاط — تأسيس القاهرة — اسوارها وابوابها

﴿ منشأ الدولة الفاطمية ﴾ يرجع الفاطميون ^(١) نسبهم الى عبيد الله المهدي الذي يدعون انه اخو الامام الثاني عشر الذي اختفى بسر من رأى . وهناك اقوال ^(٢) اخرى في نسبهم يقرر احدها انه كان ابناً لاحد الأئمة المختفين الذين خلقوا الامام السابع بعد موته في رئاسة المذهب الشيعي ، على انه بالرغم من الدراسة المستفيضة والاستقصاء الذي قام به دي جويه De Goeje لتحقيق هذه المسألة الهامة فان بكر Becker وريتمير Reitmeyer يتفقان في أن منشأ هذه الدولة لا يزال يحوطه الغموض والخفاء

ويرجع اعداء الفاطميين نسبهم الى ميمون القداح وكان طبيباً للعيون ثم اسس فرقة من غلاة الشيعة وتوفي سنة ٨٧٥ م خلفه ابنه عبدالله في نشر تعاليمه ، وجعل البيعة والانخراط في سلك هذا المذهب على سبع درجات ، وادعى انه امام من اسرة محمد بن جعفر الصادق . واشتهر امره في الاهواز فاصبح حتماً عليه ان يفر الى مكان آخر فذهب الى البصرة ومنها الى سامية حيث ولد له ابنه احمد وخلف احمد اياه بعد موته فارسل احد دعاته ^(٣) الى العراق فتقابل الداعي مع حمدان بن الاشعث

(١) سموا كذلك ! كاروى جامع التواريخ لانهم يعتمدون في سلطتهم الروحية والزمنية على شرف نسبهم وانهم من نسل فاطمة بنت الرسول انظر Browne

Literary History of Persia II, p 195

(٢) لمناقشة هذه المسألة انظر Quatremère

Mémoires Historiques sur la dynastie des Khalifes Fâtimides, Journal Asiatique, 3e série t II P. 97 ff

(٣) كانت رتبة الداعي في نظام البيعة عند الشيعة هي الخامسة حيث كان الانخراط في سلك هذا المذهب على سبع درجات يتنقل فيها المؤمن حتى يصل الى هذه الدرجة . انظر مقالة Carra de Vaux عن كلمة داع بدائرة المعارف الاسلامية المجلد الاول ص ٨٩٥

الذي كان معروفاً باسم قرمط فقبل دعوته واسس دولة القرامطة الذين كان ظهورهم مقدمة لظهور الفاطميين . وكان لاحد ولدان حسين ومحمد المعروف بابي الشلعلع . تخلف حسين اياه ، وبعد وفاته لم يخلفه ابنه سعيد ، بل اخوه ابو الشلعلع الذي ارسل اثنين من الدعاة الى المغرب . هما ابو عبدالله واخوه ابو العباس فاقاما بين البربر واستطاعا في فترة يسيرة ان يجمعوا حولهما كثيراً من الاتباع والمريدين من رجال البربر المساحين وان يحرزا انتصارات باهرة على زيادة الله ، آخر امراء الاغالبة الذي طرد من ملكه في سنة ٩٠٩ م . وكان للحسين ولد يدعى سعيد رباه عمه ابو الشلعلع واشهر امره في ساميه (على بعد ١٥ ميلاً شرقي حماء) بعد وفاة عمه ولكنه اضطر بعد ذلك الى الفرار الى مراكش عن طريق مصر . وكاد يقبض عليه بها ولكنه بالرغم من نجاته في مصر ، فقد وقع في قبضة رجال الحكومة في سجاسه ولم تنقذه من ايديهم الا قوات ابي عبدالله المظفرة . ولقد لقيه ابو عبدالله بكل خضوع معلناً طاعته وانه المهدي المنتظر وفي ربيع الثاني سنة ٢٩٧ هـ (يناير سنة ٩١٠) خطب باسمه في مسجد القيروان ولقب بأمر المؤمنين عبيدالله المهدي

الآن ان ابا عبدالله سرعان ما وجد ان الخليفة قد اهل شأنه فدخله الحقد ، وبدأ يثير الشكوك في صحة امامة المهدي مدعياً انه لا بد له ان يأتي بالمعجزات ليبرهن على صدق دعواه . ولكن المهدي ادرك الخطر الذي كان يحف به ففضى عليه قبل ان يستفحل امره بان دس على ابي عبد الله من قتله وبذلك خلا له الجو فحكم خمسة وعشرين عاماً امتدت فيها سلطته من فاس الى حدود مصر التي ارسل لغزوها ثلاث حملات في سنوات ٣٠١ هـ (٩١٣ م) و ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) و ٣٠٦ هـ (٩١٨ م) . وفي ذي القعدة ٣٠٣ هـ (٧ مايو ٩١٦) اسس المهدي وتوفي بها في ربيع الاول سنة ٣٢٢ هـ وكان يقيم في رقاده على بعد اربعة اميال من القيروان وقد توفي بها . خلفه ابنه ابو القاسم ، ولقب بالقائم ، وارسل جيشاً الى مصر ففتح الجيش الاسكندرية الا انه اضطر الى الارتداد امام قوات اخي الاخشيد وهزم هزيمة منكرة اثناء ارتداده

وتوفي ابو القاسم في ١٣ شوال ٣٣٤ هـ (١٨ مايو ٩٤٦ م) بعد ان حكم اثنتي عشرة سنة . فتولى بعده المنصور الذي اسس المنصورية في ٣٣٧ هـ (٩٤٨ - ٩٤٩ م) وهي الضاحية الملكية الرابعة التي بنيت بجوار القيروان

واستمر في الحكم حتى وافته المنية في شوال ٣٤١ هـ خلفه ابنه المعز وهو في الرابعة والعشرين من عمره . وكان المعز على جانب كبير من العلم والتهذيب والنشاط . وقد استطاع بمؤازرة وزيره وكبير قواده ، جوهر الصقلي ، ان يعيد النظام والامن الى جميع انحاء مملكته وكان ذلك تمهيداً لفتح مصر ، وكانت الامنية الكبرى التي كان يصبو المعز لتحقيقها والتي من اجلها شرع يجمع الاموال حتى يجمع لديه منها اربعة وعشرون مليون دينار كما قضى سنتين في حفر الآبار واقامة المنازل في الطريق الى الاسكندرية لينزل فيها الجند في اثناء مسيرهم اليها

هي الاخرى بالفشل ويقال ان هذه الكتب كانت تحتوي على النبوءة التي كانت ذائعة في ذلك الوقت وهي ان حكم العرب لبلاد المغرب سينتهي أمدّه بانتهاء القرن الثالث الهجري

ويقرر دي جويه ان هذه النبوءة بلا شك ذات صلة بالتقاء زحل بالمشتري في برج الحمل سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) وهي السنة التي شهدت فعلاً سقوط الأغلبة وظهور أمر الفاطميين وبدء حكمهم في القيروان . ومن المعروف ان الفاطميين كانوا ينتظرون ان يبدأ عهد جديد هو عهد الدين الحق ، وان يكون ذلك مقترناً بتغيرات فلكية تحدث ٣١٦ هـ (٩٢٨ م)

ويرى دي جويه أيضاً ان قيام الدولة الفاطمية في ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) قد جعل المعز لتضله في التنجيم تحت ارسنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) لاعداد حملته على مصر لاسباب فلكية أيضاً اذ يلتقي في هذا العام زحل بالمشتري في برج الحمل . وهذا يذكرنا بما فعله هولاءكو خان اذ كان في أوج مجده ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ومع ذلك لم يجرؤ على غزو بغداد الا بعد ان أكد له النجاح والنصر منجمه الشهير الطوسي

﴿ غزو مصر ﴾ ونتيجة للاضطراب الداخلي والمجاعة التي حدثت بسبب انخفاض النيل والطاعون الذي أعقب ذلك ، أصبحت مصر عرضة للغزاة الفاتحين . وكان المعز يعلم تمام العلم حالة البلاد حيث أطلعها عليها يعقوب بن كلس اليهودي الذي هاجر منها وكان في اول أمره مقرراً بأمن كافور الاخشيدي فأصدر المعز أوامره بحشد الجيوش . فتجمع له مائة الف رجل ، أمر عليهم جوهر القائد ، وجهزهم بالمعدات الكافية وارسل معهم المؤونة والعدد وآلات القتال وكل ما يحتاج اليه هذا الجيش الجرار على ظهور الدواب وسار الجيش من القيروان في ١٤ ربيع الاول سنة ٣٥٨ هـ (٥ فبراير سنة ٩٦٩ م) فوصل الى الجزيرة في ١٧ شعبان ٣٥٨ هـ (٦ يوليو ٩٦٩ م) وعبر النهر وسحق الجيوش التي أعدت لقتاله على الشاطئ الشرقي للنيل . فساهمت المدينة وسار الجيش الفاطمي المظفر في مدينة القسقاط حاملاً لواء النصر ، وعسكر في السهل الرمل الواقع الى الشمال ^(١) وكان يحد هذا السهل من الشرق جبل المقطم ومن الغرب الخليج ^(٢) وكان الخليج عبارة عن قناة تخرج من النيل شمالي القسقاط وتغر بمدينة هليوبوليس القديمة وتتصل في النهاية بالبحر الاحمر عند السويس . وكان هذا السهل خالياً من البناء الا بضعة مباني تتعلق بمحذاق كافور وديراً مسيحياً يسمى دير العظام وكان يشغل مكان مسجد الأقر وحصناً صغيراً يسمى قصر الشوك . ولا يزال اسم هذا القصر باقياً للآن يطلق على أحد احياء العاصمة

﴿ تأسيس القاهرة ﴾ وفي مساء ذلك اليوم اختط جوهر موقع القصر الذي قرر ان يستقبل

(١) هذه البقعة الآن مغطاة بالمنازل او باكوام من التراب ولا يرى بها الرمل حتى نصل الى العباسية . ومع ذلك فإن عمليات الحفر والكشف في منطقة برج الظفر (وهو يقع في الراوية الشمالية الشرقية لسور صلاح الدين) قد اظهرت ان هناك نوعاً من الرمل الاصفر الناعم على عمق سبعة امتار تحت مستوى السطح الحالي للارض وعليها ترتكز اساس بناء برج الظفر (٢) يسير ترام الخليج الآن من مسجد السيدة زينب الى الظاهر في نفس المكان الذي كان يخترقه الخليج . وقد ردم هذا الجزء في اواخر القرن التاسع عشر ويسمى هذا الشارع الآن شارع الخليج المصري

فيه المعز . وحينما أتى اعيان القسطنطينية في الصباح التالي لتهنئته وجدوا ان أسس البناء الجديد كانت قد حفرت . وبني جوهر سوراً خارجياً من اللبن على شكل مربع طول كل ضلع من اضلاعة ١٢٠٠ ياردة . وذكر المقرئ (١) انه كان لا يزال يوجد الى عصره قسم كبير من هذا السور كان يقع خلف سور صلاح الدين بنحو ٥٠ ذراعاً بين باب البرقية ودرب بطوط ثم هدم في سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) . وقد أبدى المقرئ دهشته من حجم الطوب المستعمل في هذا البناء وذكر ان طول الطوبة ذراع (٢) وعرضها ٢ ذراع . وان هذا السور كان سمكه كافياً لان يمر فوقه فارسان جنباً الى جنب ومن الغريب ان ياقوت ذكر ما يشبه ذلك في وصفه سمك جدران قصر المهديّة وهي العاصمة الاولى للفاطميين . والسبب في جعل الاسوار والخصون سمكة بهذا الشكل هو تمكين الرجال الذين كلفوا الدفاع عنها من التجمع السريع عند أية نقطة معرضة لأن يتسورها الاعداء او يهاجموها بأية طريقة اخرى . وقد كان المتبع منذ عهد الرومان ان ينشئ المحاصرون أبراجاً من الخشب متحركة تزيد في ارتفاعها عن الاسوار المراد مهاجمتها

وكانت هذه الابراج اذا أتى بها قرب الاسوار استطاع المحاصرون أن يهددوا أعالي هذه الاسوار والاستحكامات وامكنهم باستخدام الكباري المتحركة ازال بعض رجال الجيش المحاصر للاشتراك في الهجوم والاستيلاء على الحصن فاذا لم تكن هذه الاستحكامات سمكة سمكاً كافياً لم يستطع المحاصرون ان يقاوموا صفّاً واحداً من الرجال يهاجم الحصن هجمة موفقة . وكان الغرض من بناء هذا السور هو ان يحيط بقصري الخليفة ودواوين الحكومة ومساكن الحامية . وكانت هناك مباني اخرى كثيرة كبيت المال ودار سك النقود والمسكنة وضريح الخليفة ودار الاسلحة والاصطبلات الخ . ووضح ابن دقاق الغرض الذي رمى اليه جوهر . فقال انه بنى القصور لمولاه حتى يكون هو واعوانه وجيوشه معزل عن عامة الشعب . كما كانت (فيما بعد) عادة الملوك من ابناء عبد المؤمن فقد فعلوا كذلك في مراکش وتلمسان وأما كن اخرى

وقد سميت هذه المدينة في اول الامر المنصورية تيمناً باسم مدينة المنصورية التي أنشأها خارج القيروان المنصور بالله والد المعز . وقد أثار هذا التوافق بين الاسمين دهشة العلامة كاي Kay

(١) جاء في المقرئ جزء ٢ صحيفة ٢٠٥ طبع مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤ هـ ما يأتي : —
« السور الاول كان من لبن وضعه جوهر القائد على مناخه الذي نزل به هو وعساكره حيث القاهرة الآن فأداره على القصر والجامع وقد ادركت من هذا السور اللبن قطعاً وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية ودرب بطوط هدمها شخص من الناس في سنة ٨٠٣ هـ فشهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه في زماننا حتى ان اللبنة تكون قدر ذراع في ثلثي ذراع . وعرض جدار السور عدة اذرع يسع ان يمر به فارسان . وكان يبدأ عن السور الحجر الموجود الآن وبينهما نحو خمسين ذراعاً وما احسب انه بقي الآن من هذا السور اللبن شيء »
(٢) يرى فان برشم Van Berchem ان الذراع الذي يذكره المقرئ في خطه هو الذراع البلدي وهو وحدة القاييس المصرية وطوله ٥٧ر٨ سنتيمتر . وبناء على ذلك يكون حجم اللبن المستعمل ٥٨ سم × ٣٨ر٥ سم لبنة الواحدة ونحن نؤيد فان برشم في ذلك لان المقرئ يقرر ان طول الضلع الجنوبي لجامع عمرو يبلغ ١٩٠ ذراعاً على هذا الحساب نجد هذا الضلع يساوي ١٠٩ر٨٢ متراً . ولما كان طوله الحقيقي من الداخل يبلغ ١٠٩ر٢٠ متراً يكون تقدير طول الذراع البلدي بـ ٥٧ر٨ سم تقديراً صحيحاً

الذي لحظ ان انشاء مدينة منعزلة ومحصنة بهذا الشكل كان خاضعاً للسنة التي استثنىها البلاط الفاطمي من قبل وان المنصورية ولو انها لم تكن نواة لمدينة جديدة ولا حلت محل مدينة القيروان القديمة فان العاصمة القديمة كانت بلا شك النموذج الذي انشئت على مثاله مدينة القاهرة

ومن الجلي كما لحظ ذلك ريتماير أن جوهر لا بداً كانت لديه أوامر من الخليفة بأن ينشئ مدينة تكون علاقتها بالفسطاط كعلاقة المنصورية بالقيروان . ويلاحظ لهذه المناسبة ما ذكره البكري من ان بابين من أبواب المنصورية كان يطلق على احدهما باب زويلة والثاني باب الفتوح وقد اطلق هذان الاسمان على بابين من ابواب سور مدينة القاهرة التي تذكرنا في كثير من مظاهرها بتنظيم المدينة الصينية والمدينة التتية والمدينة المحرمة في بكين التي أسسها قبلاي خان بعد ذلك بثلاثة قرون . ويرى كاي انه لا يوجد ما يدل على ان جوهرأ أو سيده كان في نيته ان يؤسس مدينة جديدة بالمعنى العادي المعروف لهذه الكلمة او كان يقدر ما حدث بعد ذلك بمعنى انه ما كان يخطر ببال احدهما ان سكان تلك المدينة الثلاثية المكونة من الفسطاط والعسكر والقطائع سيجاورون بالتدريج بيت الخليفة وانه بعد ان قضى صلاح الدين الايوبي على هذه الاسرة سنة ٥٦٧ هـ (سنة ١١٧١ م) سيبلغون السور ويبننوا المساجد والمباني الخاصة على انقاض قصورها التي سارع اليها الخراب . والى ذلك الوقت لم يكن يسمح لأي فرد باجتياز اسوار مدينة القاهرة الا اذا كان من جند الحامية او من كبار موظفي الدولة . اما عن اختيار موقعها فيقول المقرئزي ان جوهرأ اراد ان تكون حصناً قائماً بين القرامطة وبين مدينة مصر لحمايتها من هجماتهم^(١) . وفي عهد دولة كالدولة الفاطمية التي قامت على الداوى الدينية والروحانيات والتي يؤمن خلفاؤها بالعلوم الخفية فان عملاً هاماً مثل انشاء مدينة لا يمكن ان يتم الا بمساعدة المنجمين . ولذلك اصدر جوهر اوامره بجمعهم وطلب اليهم ان يختاروا طالعاً سعيداً لتأسيس المدينة حتى لا يتعرض الفاطميون لان يسلبها منهم متغلب

خفرت الخنادق لبناء اسس الاسوار والجدران وثبتت فيها قوائم ربطت بحبال علق عليها اجراس حتى اذا حانت الساعة المحددة ارسل المنجمون الاشارة الخاصة بالبداية في العمل . واصر العمال ان يقفوا على تمام الاهبة لالقاء الاحجار والمونة الموضوعة في متناول ايديهم في الخنادق المحفورة عند ما تصدر لهم الاشارة بذلك . ولكن قبل ان تحين الساعة المقررة وقع غراب على الحبال الممدودة فدقت الاجراس ، فظن العمال ان المنجمين قد اعطوا الاشارة وبدءوا في العمل وكان في هذه اللحظة كوكب المريخ في الاوج وكانوا يسمون هذا الكوكب قاهر الفلك فاعتبروا هذا شؤماً ويظهر من رواية المقرئزي المضطربة ان المدينة الجديدة اطلق عليها اولاً اسم

(١) (قدم القائد جوهر بعساكر مولاه الامام المعز لدين الله مع فتي القاهرة حصناً ومعقلاً بين يدي المدينة وصارت القاهرة دار خلافة ينزلها الخليفة بحرمه وخواصه الى ان اقرضت الدولة الفاطمية الخ) (مقرئزي جزء ٢ ص ١٥٧) ... وسكنها الملوك ... الى يومنا هذا فصارت القاهرة مدينة سكنى بعد ما كانت حصناً يعتقل به ودار خلافة يلجأ اليها (مقرئزي جزء ٢ ص ١٥٧)

المنصورية^(١) وهو الاسم الذي كان يطلق على المدينة التي أسسها الخليفة الفاطمي الثالث المنصور بالله خارج مدينة القيروان . ويقول المقرئ ان المدينة الجديدة لم تعرف باسم القاهرة إلا بعد أربع سنوات حين حضر المعز الى مصر ورأى من قراءته الخاصة للطالع في هذه التسمية فألاً حسناً اذ ان اسمها مشتق من القهر والنصر ويقول ايضاً انهم بنوا السور من الطوب وسموا المدينة المنصورية حتى قدم المعز بعد ذلك بأربع سنوات (٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ ١١ يونيو ٩٧٣ م) فغير اسمها وجعله القاهرة . الا ان المقرئ بعد ذلك بسبعة اسطر يروي قصة المنجمين بطريقة تجعلنا نظن ان اسم القاهرة اطلق على هذه المدينة منذ بدء تأسيسها^(٢) . ويرجع الفضل للعلامة رافيس Ravaisse في جلاء هذه النقطة التي لم يفتن اليها « لين بول » Lane Poole في كتابه تاريخ مصر History of Egypt p. 103

وقد اخذ بيكر برأى رافيس في المقال الذي انشأه بدائرة المعارف الاسلامية عن القاهرة وقد سلم جميع الكتاب الذين عالجوا موضوع انشاء القاهرة بقصة المنجمين والغراب ولم يشكوا في صحتها . ويظهر انه غاب عن ملاحظتهم ان هناك قصة شديدة الشبه بهذه ذكرها المسعودي المتوفى (٩٤٣ م) في روايته الخرافية عن انشاء الاسكندر مدينة الاسكندرية

فقد روى ان العمال وقفوا بأمر الاسكندر في الخطوط التي حددت لانشاء المدينة وان الاوتاد دقت في الارض على مسافات في هذه الخطوط وربط بها خيط ثبت آخره بعمود من الرخام امام خيمة الملك . وعلقت بهذا الخيط اجراس وانتظر العمال اعطاء الاشارة اليهم وحين سمع العمال الاشارة باثروا جميعاً العمل في وقت واحد في اقامة اسس المدينة وكان الاسكندر يؤمل بهذه الوسيلة ان يكون واثقاً من انشاء المدينة في ساعة يسودها حسن الطالع ولكن مع الاسف حين حان اليوم والساعة المحددة شعر بثقل في رأسه ونام فوق غراب على الحبل فدقت الاجراس وبدأ العمال في العمل ، فلما استيقظ الاسكندر وعرف ما حدث قال لقد اردت شيئاً واراد الله آخر . ومن ذلك يظهر ان القصة التي رواها المقرئ كانت شائعة ومعروفة قبل انشاء القاهرة بستة وعشرين عاماً . وذلك يحول دون قبولنا رواية المقرئ الا بكثير من التحفظ . واني ارى ان ما سبق يجعلنا على حق حين نعتبرها خرافة من الخرافات

[تنشر تنمة هذا البحث النفيس في مقتطف ديسمبر القادم]

(١) — (...) وقصد جوهر الى مناخه الذي رسمه له مولاة الامام المعز لدين الله ابي تميم معد واستقرت به الدار واخطت القصر واصبح المصريون يهتفون فوجدوه قد حفر الاساس في الليل فأدار السور الابن وسميها المنصورية . الى ان قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب الى مصر ونزل بها فسميها القاهرة) مقرئ جزء ٢ ص ٢٠٤

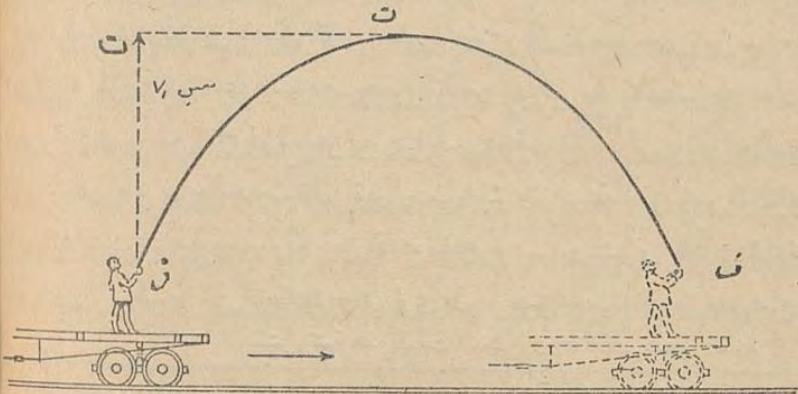
(٢) — (...) ويقال في سبب تسميتها ان القائد جوهر لما اراد بناءها احضر المنجمين وعرفهم انه يريد عمارة بل ظاهراً مصر ليقيم بها الجند وامرهم باختيار طالع سعيد لوضع الاساس بحيث لا يخرج البلد عن تسلمهم ابداً فاشاروا طالعاً لوضع الاساس وطالعاً لحفر السور وجعلوا بدائر السور قوائم خشب بين كل قائمين جبل فيه اجراس وقالوا للعمال . اذا تحركت الاجراس فقدموا ما بأيديكم من الطين والحجارة . فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك فاتفق ان غراباً وقع على جبل من تلك الجبال التي فيها الاجراس فتحركت كلها فظن العمال ان المنجمين قد حركوها فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة وبنوا فصاح المنجمون القاهرة في الطالع فضى ذلك وفاتهم ما قصدوه وقال ان المرنج كان في الطالع عند ابتداء وضع الاساس وهو قاهر الفلك فسموها اقاهرة واقتضى نظرهم انها لا تزال تحت القهر) مقرئ جزء ٢ ص ٢٠٤

لباب النسبية مبسطاً

تعريفها وقسمها - مقامها في العلوم الطبيعية

لنا فبار

زيد في قطار سريع ، يقطع تسعين كيلو متراً في الساعة . رمى كرة الى الجو فصعدت الى علو ٦٤ قدماً ، ثم عادت راجعة الى اسفل . فأين تقع ؟ أوراؤه ؟ ام امامه ؟ ام فوقه ؟
انها تقع فوقه ، لانها اكتسبت من سرعة القطار استمراراً ، لا تنزعه منها قوة الدفع السمي من يد زيد . ولكن كيف رآها زيد ومن معه في القطار ؟ وكيف رآها عمرو ومن معه في الطريق ؟
رآها زيد ورفاقه قد صعدت وهبطت في خط سمي . أما عمرو وصحبه فرأوها قد سارت في



قوس دائرة كما ترى

في شكل ١

فأي الفريقين

هو المصيب ؟ ازيد

ام عمرو ؟ تقول

النسبية ان كليهما

مصيب . هذه الحالة

تمثل لنا نظرتين .

الاولى نظرة العالماني

تبدو من زيد . والثانية نظرة النسبية تبدو من عمرو . هي صورة بسيطة ترينا موقفاً من مواقف النسبية ، التي تحسب الخط المستقيم محدباً . وبحق تفعل ذلك . فالنسبية خطوة الى الامام في تفسير ظاهرات الكون . بها حوّل اينشتين قواعد غليليو ونيوتن ، كما حوّل كوبرنيكوس قواعد بطليموس . وكما حوّل دلتون ولافوازييه قواعد الكيمياء القديمة . وكما جدّد ليل في علم الجيولوجيا . ودارون في البيولوجيا

وجاءت نظرية اينشتين متممة مسعى ميكلسن ومورلي الرامي الى اثبات حركة الارض في الاثير

بواسطة سير النور . وبالرغم من تكراره مراراً بين سنة ١٨٨٢ — سنة ١٩٠٥ — ١٩٢٥ لم يمكن ظهور اي أثر لحركة الارض في الأثير . فهل الأرض ساكنة ؟ او ان الأثير لا وجود له ؟ لا هذا ولا ذاك . فما هو اذاً تعليل الأمر ؟ لماذا لم يمكن اثبات حركة الارض بهذا الامتحان ؟

ذهب العلماء في تعليله مذاهب شتى . منها ان الأثير الملامس سطح الكرة يشترك معها في حركتها في شكل تيار . فلا يمكن ادراك حركتها فيه . ومنها ان المادة تتقلص في اتجاه حركتها . قاله فزجرالد الارلندي . وقد ابان لورنتز الهولاندي مقدار التقلص بالحسابات الرياضية وهو

$$\frac{1}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}} \text{ من قطر الارض } \dots \dots \dots 2 \dots \dots \dots$$

اما اينشتين فيقول ان التقلص ظاهري لا واقع . وخلاصة نظريته ان لا حركة مطلقة في الكون . ولا سكون مطلق كذلك

فاللادة بأجمعها من اكبر كتلة كابط الجوزاء ، الى الفوطين وهو جزء واحد من عشرة آلاف جزء من الكهر ، اقول ان جميع هذه الاجسام متحركة حركة نسبية احدها الى الآخر وقد قسم اينشتين النسبية الى قسمين : ١ — النسبية الخاصة . وموضوعها الحركة القياسية غير الدورانية . وقد اعلن هذه النظرية سنة ١٩٠٥ : ٢ — النسبية العامة وهي تبحث في جميع الحركات قياسية ومتفاوتة ودورانية . وقد اعلن هذه سنة ١٩١٥

النسبية الخاصة

اوضحها اينشتين في كتاب «نظرية النسبية الخاصة والعامة»^(١) ويمكن تلخيص كلامه في ما يأتي : زيد في قطار يسير سيراً قياسيًّا بالنسبة الى عمرو في المحطة . وهناك غراب طائر في الجو فوق القطار . فطيران الغراب حادثة طبيعية ، شهدا اثنان ، احدهما ساكن ، والاخر متحرك بالنسبة اليه في خط مستقيم غير دوراني . قال اينشتين : نواميس الظاهرة الطبيعية هي هي سواء قيست بدليل (هيكل اسناد) م او م المتحرك حركة «نسبية» الى م قياسية :

وقد اوضح ذلك هري شمديت في كتابه النسبية والكون ٦٦ — ٨٥ Relativity & The Universe وهذه صورة قاعدة النسبية الخاصة فيها : جميع الظاهرات ، ليس الميكانيكية فقط ، بل ايضاً الكهربائية والمغناطيسية والبصرية ، تحدث في فخط واحد سواء اعتبرت بدليلات ساكنة ، او بدليلات متحركة حركة نسبية الى الساكنة حركة قياسية غير دورانية :

فمن ذلك : ان سرعة النور في الفضاء ثابتة السرعة لكل مراقب ، ومستقلة عن حركة مصدرها وناظرها : اي لا فرق بين ان يكون مبعث النور متحركاً او ناظره او كلاهما . ولذلك لا يمكن اثبات حركة الارض في الاثير بواسطة سير النور ، او بغيره من الظاهرات الكهربائية والمغناطيسية والميكانيكية

وبعبارة أخرى ان العلم الطبيعي عاجز عن اثبات الحركة المطلقة . جاء في كتاب النسبية والكون ص ٧٠ - ٨٥ ذكر نتائج النسبية الخاصة

١: لا يمكن تأكيد التعاصر (التوافق) في حادثتين . فقد يراها مراقب في وسط من الاوساط انهما قد حدثتا معاً في وقت واحد . ولكن مراقباً آخر في وسط متحرك يراها متواليتين
٢: الفترة الزمانية بين حادثتين معلومتين ، قد يرد في طولها حكمان متباينان يعني ان الزمان نسبي لا مطلق

٣: الفترة المكانية بين حادثتين معلومتين يحكم على طولها احكام مختلفة باختلاف هياكل الاسناد Co-ordinates : او الدليلات . يعني ان المسافة نسبية

٤: الحجم نسبي لا مطلق . وذلك يتعارض ومبدأ نيوتن القائل بثبوت المادة
٥: الشكل نسبي . فالدائرة في عين زيد مع هيكل اسناد واحد ، قد تكون اهليلجاً في عين عمرو مع هيكل اسناد آخر . والمربع في نظر هذا قد يكون مستطيلاً قائم الزوايا في عين ذاك
نسبية الزمان (١) : اذا كان هنالك ساعتان من معمل واحد ومن تركيب واحد ومزايا واحدة في كل شيء ولكن احدهما في جيب كاتب على كرسيه ، والاخرى في جيب طيار يقطع ٦٠٠ كيلو متر في الساعة . فان الاولى تسبق الثانية سرعة وكلما زادت سرعة الوسط بطؤت حركة الساعة ، وحركة المعدة ونبض القلب — وعلى ذلك قد يولد اثنان في ساعة واحدة ويموتان في ساعة واحدة . ومع ذلك يكون احدهما قد عاش سبعين سنة والاخر قد عاش سنة واحدة لان الاول عاش في ارضنا .

والآخر في جرم سريع	القطار متحرك
الحركة جداً بالنسبة الى	متر على القطار
حركة ارضنا والمفروض	مكانه على الارض ثابت
ان سرعته ١٦١٠٠٠	متر على الارض
ميل في الثانية . فسنه	كما يراه انسان على الارض
هنالك تعدل سبعين سنة	القطار ساكن
في ارضنا	متر على الارض
	(ش ٢)

نسبية الحجم : انظر (ش ٢) فان المتر الواحد يظهر لك في حال اسرعه نصف متر

النسبية العامة

وموضوعها الحركة من حيث هي قياسية او دورانية او لولبية او غير ذلك

بسط الكلام فيها الاستاذ اينشتين في كتابه المذكور آنفاً ص ٥٩ - ١٠٥ وتمهيداً لها اوجه نظر القارئ الى : « الابعاد الاربعة »

ان فضاء نيوتن هو فضاء اقليدسي ، ثلاثي الابعاد ، طول وعرض وعمق . على هذا جرى العلماء من ايام اقليدس الى ١٩٠٥ لما ابرز منكوفسكي رأيه في عالمنا . يقول اينشتين ان المادة ساكنة في جو اقليدسي ، لا تؤلف عالماً . لان ليس عالمنا عالم جود واستقرار ، بل هو عالم حادثة ، فلا تكفي الابعاد الثلاثة لتعيين الحادثة ، بل تلزم اضافة بعد رابع اليها هو الزمان

فالجراف تسبلين وهو طائر من فريدركسهافن الى نيويورك بطريق روسيا فسيبيريا فاليسابان فالباسيفيك ، لا يمكن تعيين موقعه دون ذكر الزمان ، فلا يفيد قولنا ان الجراف تسبلين هو في طول كذا وعرض كذا وارتفاع كذا ، ما لم نقل « في وقت كذا » . لانه في كل ثانية يشغل حيزاً مختلف عما قبله

قال منكوفسكي ان الزمان وحده ، او المكان وحده ، او المادة وحدها ، وهم وخيال ، ما لم نجتمع الثلاثة معاً . (كتاب النسبية والكون ص ٩٨)

ويقول اينشتين : عالمنا امتداد زماني مكاني . وفضاء اقليدس ليس عالماً لانه ثلاثي الابعاد . فالعالم في عرف منكوفسكي : مشهد الظاهرة : ولا تكون الظاهرة دون زمان ، كما انها لا تكون دون مكان . وكلام اينشتين هذا يوافق رأي « كنت » الفيلسوف الالماني العظيم ، الذي يرى ان المكان والزمان ملاستان لا يمكن فهم شيء في عالم المادة من دونهما فعالمنا زماني مكاني رباعي الابعاد (ط : ع : س : ز) وهي احرف ترمز الى الطول والعرض والسمك والزمان على الترتيب

بدأ اينشتين الكلام في النسبة العامة في الفصل الثامن عشر من كتابه . قال : لقد كان مبدأ النسبية الخاصة محور ابحاثنا السالفة . وخواه ان « كل حركة هي نسبية » وسواء اتخذنا المحطة او القطار المتحرك حركة نسبية موقفاً لنا ، فالنواميس العامة هي هي بحكم الاختبار ، المبني على هيكل اسناد غليلي ، ساكناً او متحركاً حركة قياسية . ولا يشمل الاجسام المتحركة حركات متنوعة . كما نعني بالنسبة العامة . وفي هذه نواميس الظواهر الطبيعية هي هي سواء قيست بدليل اسناد م او م المتحرك نسبياً « اية حركة اينما كان »

وبعبارة اخرى : جميع الاجسام ساكنة الدليلات (هياكل الاسناد Co-ordinates) او متحركتها (اي نوع من الحركة) هي صالحة لوصف الظواهر الطبيعية (اي لتأليف النواميس الطبيعية العامة مهما يكن نوع حركتها) وتلا ذلك كلامه في الفصل ١٩ في منطقة الجذب gravitational field وهنا يصدم نيوتن صدمة عنيفة . بأن الجاذبية والاستمرار سيان . قال : افلتنا حجراً من يدنا فسقط على الارض . ولماذا ؟ الجواب العادي عن هذه المسألة هو : ان الارض جذبتة . ولكن الطبيعيات الحديثة تصوغ الجواب في صورة اخرى . لان درس الظواهر الكهروطيسية درساً دقيقاً اثبت لنا

استحالة الفعل عن بعد دون واسطة توصل أثر الفاعل الى المفعول به . فاذا جذب الحديد مغناطيساً دون اتصاله به فلا نقول اذ ذاك بالفعل عن بعد . بل نرى مع فارادي ان المغناطيس ينشئ حوله شيئاً طبيعياً ندعوه المنطقة المغناطيسية : magnetic field : فيجذب الحديد ضمن حدود هذه المنطقة . على هذا النحو نحسب تأثيرات الجاذبية . فان الكرة الارضية تنشئ حولها منطقة جذب . وضمن حدود تلك المنطقة تفعل في الحجر ، الذي رأيناه يهبط الى سطح الارض . ونعلم بالاختبار ان ذلك الجذب ينقص كلما بعدت المادة عن الارض (بدليل خفة الوزن كلما علونا) على ان فعل الجاذبية في منطقتها يخالف فعل الكهربائية في منطقتها ، ويخالف كذلك فعل المغناطيسية في منطقتها ، وذلك في انه يحدث حركة متسارعة — كما في الاجسام الساقطة . ولا يتوقف ذلك على حجم المادة الساقطة ولا على نوعها . فجميع الاجسام تسقط بسرعة واحدة على سطح الارض . كتلة الحديد كقصاصة الورق حيث لا هواء يؤثر في هبوط الورقة مثلاً . فالجاذبية والاستمرار سيان . وقد مثل على ذلك في الفصل العشرين بمثل الصندوق الهائل . قال ما خلاصته : —

لنفرض ان الفضاء خالٍ من الاجرام . فلا شمس ، ولا سيارات ، ولا اقمار ، ولا ولا ... ليس هناك الا صندوق هائل في عرض الفضاء ، في سقفه حلقة كبيرة معلقة بحبل ، لا يراها الذين هم في الصندوق . حيث لا اجرام هنالك فليس ثمة جذب يهبط بالمواد الى اسفل نحو المركز . فبقى الاشياء في الصندوق حيث وضعناها في منتصفه او فوق ذلك . ولا تهبط الى ارضه ولا تميل الى احدى الجهات الاربع ضمن الصندوق ولكن في ذات يوم جذبت قوة عالية الصندوق بالحبل المربوط بالحلقة . فارتفع الصندوق مقسوراً . اما الاشياء التي ضمنه فظلت حيث هي . فلما ارتفع الصندوق صدمت ارضه تلك الاشياء . فنقول انها قد هبطت ، لاننا لم نشعر بحركة ارتفاع الصندوق ، بل شعرنا بهبوط الاشياء على ارضه وقد نعلل تلك الظاهرة بتعليل مألوف عندنا وهو : ان قوة خافية تحت الصندوق جذبت الاشياء التي فيه الى اسفل

وسواء كان الصندوق قد جذب الى فوق بالحبل ، او ان الاشياء قد جذبت الى اسفل بقوة خافية ، على الحالين ان الاشياء لا ذت بأرض الصندوق . ولا مزية لاحد التفسيرين على اخيه . فالاستمرار والجاذبية سيان : (طبيعيات عامة : ص ٦٨٥)

على هذا النحو يمكن تجريد مبدأ النسبية فيشمل كل الحركات في الكون . وعليه فالمنطقة الجاذبية ظاهرة لا غير . يلي ذلك تبيان اينشتين عجز النسبية الميكانيكية والنسبية الخاصة عن تفسير الكون ، واحتياجنا الى النسبية العامة . وهو موضوع الفصل ٢١ . قال : —

يتلخص ناموس الميكانيكا الكلاسيكية بهذا النص — تستمر الذرات المادية المتباعدة سائرة في خطوط مستقيمة، او تبقى ساكنة : وقد ابنا ان ذلك يصح في وسط ساكن، او سائر سيراً قياسيًّا. فاذا اختلفت الاقيسة باختلاف الاوساط تخلف هذا الحكم . فاذا راقبنا تلك الذرات من وسط سريع الحركة تشعر انه ساكن ، ظهرت لنا تلك الذرات متحركة لا ساكنة

وقد ذكر هنا مثال الحلل فيها ماء موضوعة على مصابيح الطبخ وهي اكفاء في كل شيء . الا ان الماء جعل يتبخّر ويغلي في بعض الحلل دون البعض الآخر . ولدى التفحص وجدنا تحت الحلل الساخنة المياه ، شيئاً صاعداً من المصابيح ازرق اللون ، في صورة شعاع . فحسبناه علة غليان الماء . وان لم يسبق لنا مثل ذلك الاختبار . لذلك ارتأى ا . ماش انه يجب ان تبني الميكانيكا على اساس جديدة . تنطبق على قواعد النسبية العامة

مستندات اينشتين في تأييد النسبية العامة ثلاثة :

الاول : انحراف اشعة النور لدى مرورها بجسم في عرض الفضاء وقد ابان بالمعادلات الرياضية ان ذلك الانحراف يجب ان يكون ١،٧٠ ، وقد اثبت ذلك رصد كسوف الشمس سنة ١٩١٩ . (راجع الكون المتمدّد ص ١) . الثاني : تعليل عقدة عطارد (الكون المتمدّد ص ٢٥) . افلاك السيارات حول الشمس اهليلجيات وتكون السيارات في اقرب موقع من الشمس في نقطة خاصة في فللكها لا تتجاوزها ، والشمس في محترقها الاقرب الى السيار . وهذا الحكم نافذ في كل السيارات الا عطارد . فان تلك النقطة تنحرف نحو ٤٣ في كل قرن . هذه هي عقدة عطارد . وقد حار العلماء في امرها فلما وضع اينشتين قواعد النسبية العامة ابان بالادلة الراهنة لزوم ذلك الانحراف لوجود شيء في الفضاء يوجب . الا ان مقداره في غير عطارد زهيد جداً لا يشعر به . فعلم اينشتين بالنسبية ما كان يحسب عند العلماء من الشواذ

الثالث : حيود الفسحات المظلمة في خطوط فرنفور نحو الاحمر . وهذا من ادق مباحث النسبية واعتمها . وهو يتناول الظاهرة البصرية والظاهرة المغنطيسية معاً

يصحب التيار الكهربائي حتماً فعل مغنطيسي فلو كان جسم مشحون كهربائية ساكناً فليس هنالك حقل مغنطيسي . ولكن لو راقب ذلك الجسم مراقب في جرم متحرك حركة سريعة جداً . وهو يشعر ان موطنه ساكن وان الارض الحاملة الجسم المكهرب هي المتحركة تلك الحركة السريعة جداً لشهد الحقل المغنطيسي وشهد معه حيود فسحات فرنفور المظلمة نحو الطيف الاحمر . وهذه المستندات الثلاثة اي انحراف الاشعة وتعليل عقدة عطارد وحيود الفسحات المظلمة في خطوط فرنفور نحو الاحمر ، جاءت مؤيدة لنظرية اينشتين . والذي اعلمه ان جمهرة العلماء الطبيعيين في كل الدنيا قد قبلوها كقضية راهنة

حق دعاة التعقيم

أ نشرنا في مقتطف اكتور الماضي مقالا جمعنا فيه أهم ما يقال في تأييد فكرة « اصلاح النسل بالتعقيم » ووصف العملية الجراحية وآثارها والقوانين التي سنت لهذا الغرض في مختلف بلدان العالم وطريقة تطبيقها في ولاية كاليفورنيا الاميركية . وفي المقال التالي رد على دعاة التعقيم بقلم اغناطيوس كوكس استاذ ادب النفس في جامعة فورد هام الاميركية

ليس لعادل ان يعترض على الغرض الذي ترمي اليه « حركة اصلاح النسل » Eugenics وهو صحة الذريات المقبلة وهنأئتها . ولكن محاولة تحقيق هذا الغرض بوسائل لا تستند الى أساس علمي او أدبي — واذن فهي لا تستند الى أساس شرعي — اي بالتعقيم ، تلقى مقاومة عنيفة من كل من يتدبر الموضوع ويتأمل فيه . قال الاستاذ جننغز^(١) : لقد اصبح علم الحياة من الموضوعات التي يعنى بها الجمهور ، ولكن حماسة البيولوجي يضعفها ريبته في صحة الاقوال والآراء التي تذاغ باسم البيولوجيا . فالحالة تفسح المجال لمن لا ينقد آراءه ولا يمحصها ، ولا يساوره ريب ما في ان علمه قد حلّ مشكلات الانسانية »

فدعاة التعقيم يسعون الى ازالة الذين لا يصلحون للتناسل ، وتخفيف الاعباء التي يلقونها على كواهل المجتمع بتكاثرهم وعدم صلاحهم للنهوض بما يطلبه المجتمع منهم . والخطأ الذي يقع فيه بعض اليوجينيين انهم يقيسون سلامة السلالة بالمقام الاجتماعي او المقدرة الاقتصادية او درجة التعليم ، فاسمين ان المقام الاجتماعي ليس فضيلة ، وان المقدرة الاقتصادية قد تنطوي على الاجرام ، وان التعليم النظامي قد يفضي الى انشاء صلات ليست في الطبقة العليا من النقاء النفسي او النفع العام . فكان هؤلاء اليوجينيين يخلطون بين التعليم والذكاء . بين النظافة والمعيشة الصالحة . بين الجهل والاجرام . ويؤيدني في قولي هذا ، المستر ريمون پرل Pearl مدير البحث البيولوجي في جامعة جنز هبكنز يقول في رسالة له ، ان ليس الغرض منها الحكم على طبقات بأسرها من الناس بعدم صلاحها للتناسل ، لاسباب اجتماعية او اقتصادية ، ولا ان يبين تضميناً ان طبقة واحدة من الناس — أي طبقة متخرجي الكليات والجامعات — هي الطبقة التي يرغب فيها وفي تناسلها من الناحية اليوجينية ولكن لا ريب ، في ان هناك أفراداً ، في الطبقات العليا والطبقات السفلى والطبقات المتوسطة من المجتمع ، مصابون بضعف جسماني او عقلي . ويمكن تقسيم هؤلاء الى ستة فُرَق (الاول) فريق المصابين بأمراض معدية كالمسلولين والمصابين بالزهري او بالجذام . (الثاني) فريق المنحطين أمثال

(١) استاذ علم الحياة في جامعة جنز هبكنز في كتابه (الطبيعة البشرية واساسها البيولوجي)

المُصابين بالصَّهْم والبُكم والكُمه (الخامس) فريق المصابين بأمراض عقلية (السادس) فريق المصابين بضعف عقلي مثل البُله وضعاف العقول (morons)

فما هي الوسيلة العلمية لازالة هؤلاء المصابين من حيث هم آباء وأمهات يخلفون ذريات مصابة بعلّة من العلل المذكورة ؟

علينا أولاً أن نتبين هل هذه العلة وراثية او مكتسبة . والمسلم به عند جبهة علماء الحياة ، ان الصفات المكتسبة لا تورث . ولكن الناس الذين ينخرطون في سلك الفرق الاربعة الاولى هم أناس مصابون في الغالب بعلل مكتسبة . والطائفة الكبرى من هذه العلل تمكن معالجتها ، أما بوسائل الطب ، او باقامة أصحابها في منشآت خاصة بهم . أما فيما يتعلق بالاجرام فيرى الاستاذ دافنبورت مدير قسم التناسل في معهد كارنيجي بوشنطن العاصمة ، « ان القصاص العاجل المؤلم هو خير علاج للمجرم »

فلا يبقى لدينا الاّ فريقان هما الفريق الخامس وهو فريق المصابين بأمراض عقلية والفريق السادس وهو فريق المصابين بضعف عقلي

أما فيما يختص بالفريق الاول فيرى الاستاذ ميرسون Myerson — وهو من الثقات في الموضوع — ان قليلاً من الامراض العقلية الكبرى تورث ، وعند التخصيص يقول ان مرضين فقط من هذه الامراض تتوارثه أسر معينة وهما السرسام^(١) والجنون التهيجي الانتقاضي والثاني أهمهما . بيد ان هذا لا يمنع حدوث اصابات منعزلة بأحد هذين المرضين ، اي لا صلة لها بالته بما تتوارثه أسرة من الاسرة المصابة ، بل ان الاسر التي تتوارث احد هذين المرضين قليلة الذكر ، في تقارير الاطباء والمعاهد الطبية . . . فكان المرض العقلي ، كالمرض الجسدي ، اما ان يبيد السلالة التي تصاب به ، ولتشفى منه شفاء تاماً^(٢)

ويرى لندمن Landman ان اسباب الامراض العقلية لا تزال لغزاً او سرّاً مكنوناً^(٣) . بل ان بول بوبينو — وهو من دعاة التعقيم — يصرّح بأن تناسل المصابين بالامراض العقلية قليل ، وان معدل زواجهم اقل من متوسط الزواج العام . وعلاوة على ذلك يحتاج المصابون بالامراض العقلية الى حفظهم في المستشفيات الخاصة بهم لينالوا العناية اللازمة ، وفي هذه الحالة لا فائدة تجني من تعقيمهم او لا معنى له على الاطلاق

اما افراد الفريق السادس ، اي المصابون بضعف العقل ، فهم الذين يسترعون عناية اليوجنيين

(١) كان يعرف باسم dementia praecox وصار الآن يعرف باسم schizophrenia (دائرة المعارف البريطانية ج ١٢ ص ٣٨٦ سطر ١٤) (٢) كتاب سيكولوجية الاضطراب العقلي لميرسون ص ١١٦ — ١١٧

(٣) كتاب « تعقيم الانسان » تأليف لندمن صفحة ١٤٦

بوجه خاص ، واليهم يتجه التشريع الخاص بالتعقيم . ولكن ما نعلمه عن انتقال الضعف العقلي بالوراثة ، ليس أكثر مما نعلمه عن انتقال الامراض العقلية بالوراثة . فلاستاذ ميرسن يرى « ان جانباً كبيراً من الضعف العقلي مرده الى البيئة . ان جانباً منه وراثي ولكن اصله مجهول ، وقد يكون مثلاً على الحطاط الذكاء كما ان العبقريّة مثال على تدرجه ارتقاء » . ويقول ميرسن في جانب آخر من كتابه : « لقد كتبت كتب كثيرة عن ضعف العقل ، ادعى فيها مؤلفوها ان ضعف العقول هم المجرمون في البلاد والفاستقون ، وان كثرة تناسلهم يجعل كثرة السكان في المستقبل منهم اذا لم يعالجوا بطريقة او اخرى من الطرق المقترحة ولكن خبري الطويلة بالامراض الجسدية والعقلية ، اثبتت لي ان الاسر التي يضرّبون بها المثل على ضعف العقل ليست في الحقيقة ضعيفة العقل . حتى اذا سلمنا بانها ضعيفة العقل ، فانها ليست نموذجاً على ضعف العقول . وقد بينت في غير هذا المكان الخلط الذي يقع فيه بعض الكتاب بحسبانهم قلة الثقافة من قبيل ضعف العقل »

اما موضوع تناسل ضعف العقول وكثرة ولدتهم فلنرجع فيه الى تقرير لجنة التعقيم التي عينتها الحكومة البريطانية « وقد نشر في السنة الماضية » فقد جاء فيه : ان ما يدعى عن خصب المصابين بضعف العقول هو في رأينا من قبيل الاساطير ، ناتج من ان بعض الشواذ عن القاعدة ، تداع انبواؤها في الصحف لاتصالها بحوادث غريبة تنظر فيها المحاكم . وقد درس لنس من ٦٠٥ حادثة من المصابين بضعف العقل في كاليفورنيا فوجد ان ٣٤ في المائة من الرجال و ٢٨ في المائة من النساء كانوا في مستشفيات خاصة بالامراض العقلية فتعقيم هؤلاء لا معنى له لانهم لن يخلفوا نسلًا الا اذا كان للتعقيم فائدة في معالجة اصابتهم . فالخوف من ان ضعف العقول ، يقذفون بعدد من النسل يزيد زيادة نسبية على مواليد الطبقات الاخرى ، لا يستند الى دليل ، ولا يثبت عند توجيه نور العلم الكشاف اليه

ولكن لنفرض اننا نعلم عن امراض العقل ، وضعف العقل اكثر مما نعرف ، ولنضرب صفحاً عن قول لنس من « ان التعقيم الانساني كبرنامج اجتماعي يحتاج الى العلم اكثر من حاجته الى التخيل » . ولنمرّ مرّ الكرام بكلام هومز حيث يقول : « يجب ان يعترف بان اكثر ما كتب في اليوجينية في طفولة هذا العلم ، متصف بالتعميم العجول ، والمبالغة في غير احتراس » (١) دعنا من كل هذا ، ولنفرض اننا نعرف على وجه التحقيق اي الصفات الانسانية مكتسب ، واياها وراثي . فلكي نزيل بعض الصفات الوراثية غير المرغوب فيها ، بالتعقيم ، يجب ان نعرف الاسلوب الذي تنتقل به هذه الصفات بالوراثة

فبعض علماء الحياة يسامون بنظرية عوامل الوراثة gene theory في تفسير توارث الصفات الانسانية

ونظرية عوامل الوراثة ، درست درساً عملياً في غير الانسان ، وطبقت عليه بالقياس فقط تطبيقاً غير تام . والاستاذ جننغز ينبّه على هذا في كتابه^(١)

يقول اصحاب نظرية العوامل الوراثية انه اذا اجتمع عاملان وراثيان لصفة خاصة ، احدهما من الاب والاخر من الام ، وكنا سليمين ، او كان احدهما سليماً ومتفوقاً Dominant ، فالشخص الذي يجتمعان فيه يكون سليماً . وكثير من الناس من يحمل في مادته التناسلية ، عاملاً معيناً ، معيناً . ولكن العيب لا يبدو عليه ، لان العامل الذي يقابله او يزاوجه متفوق وسليم . ولا يبدو العيب في المولود الا اذا اجتمع عامل معيب من الوالد بالعامل المعيب الذي يقابله من الوالدة . فالذين يحملون في اجسامهم العاملين الخاصين بصفة ما وكان احدهما معيناً يدعون « الحوامل » على مثال من يحمل ميكروب التيفود ، ولا يصاب بها . والمظنون ان في الولايات المتحدة نحو عشرة ملايين من هؤلاء الناس السلام الاجسام ، الذين يحملون في طياتها عوامل وراثية معينة خاصة بضعف العقل . وليس ثمة وسيلة علمية على الاطلاق لمعرفة هؤلاء الناس وتعقيمهم خوفاً من ان تجتمع عواملهم الوراثية — او بعضها — بما يقابلها في ازواجهم فيلدون ضعاف العقول

ويقول جننغز ايضاً في الصفحة ٢٤٢ من كتابه : « اذا حسبنا ان نسبة ضعاف العقول في الامة كنسبة واحد الى الف ، فاننا نحتاج الى ٥٨ جيلاً او من الفين الى ثلاثة آلاف سنة ، لكي نجعلها ١ في ١٠٠٠٠ اذا نحن اعتمدنا في ذلك على منع تناسل ضعاف العقول » . وسبب ذلك ان ضعف العقل يظل يتوارث عن طريق الذين يحملون احد عوامله الوراثية ، وهؤلاء لا نستطيع نبينهم لكي نمنعهم من التناسل بالتعقيم . ويختم جننغز قوله بأن التقدم في انقاذ البشر من ضعف العقل يحتاج الى امرين ، الاول طريقة تتبين بها الذين يحملون عوامل ضعف العقل من سلام الاجسام والثاني تبين اي الصفات الانسانية المتوارثة تنشأ عن زوج واحد فقط من العوامل الوراثية . والصعوبة في هذا ان احوال المعيشة السيئة ، قد تحدث أثراً كئيباً العوامل الوراثية المعيبة . فقد يصبح الناس مجانين او مجرمين او مسلولين لعيب في عواملهم الوراثية او لعيب في احوال معيشتهم او لعيب في الاثنين ولكن اذا فرضنا اننا بلغنا كل هذا ، فان مشكلة القائلين بالتعقيم لا تحل . لأن سؤالاً خطيراً يواجههم ، وهو كيف نشأت هذه العوامل المعيبة اولاً . وهل اجسام البشر ماضية في توليد عوامل وراثية معينة ؟ فعلم الحياة قد اثبت ان اشعة اكس ، وبعض الاشعة تولد في الذبان تحولات في عوامل الوراثة . وليس جميع هذا التحوّل مما يجلب الخير . بل بعضه مما يضر . افلا يجوز ان نكون اجسام البشر ماضية في توليد عوامل معينة ، بفعل طائفة من الاسباب والبواعث المعقدة التي لاندركها ؟ ليس عند علماء الحياة جواب عن هذا السؤال . واذا كانت اجسام البشر ماضية في توليد هذه العوامل ، فتعقيم المصابين بها ، والحاملين لها ، لا يجدي

التعريف بالكندي

اسمه واسرته — ولادته ونشأته — سيرته ووفاته

لمحمد متولي

١

الكندي هو ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح بن عمران بن اسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس وإلى قيس هذا يتوافق ابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة^(١) في ايراد نسب الكندي وإليه أيضاً يمكن أن نطمئن إلى روايات هؤلاء لأنها ثابتة تاريخياً كما ستري

وابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة يقولون عن قيس أنه ابن معدي كرب بن معاوية بن جبلة ابن عدي ولكن صاعداً يخالفهم فيقول ان معاوية ابن خالد بن علي^(٢)

وصاعد والقفطي وابن أبي أصيبعة يقولون عدي بن ربيعة بن معاوية الأكبر فيذهب ابن النديم إلى زيادة جيلين بين ربيعة ومعاوية الأكبر هما زيد بن الهذيل^(٣)

ثم يقول صاعد وابن أبي أصيبعة ان معاوية الأكبر ابن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر

ويقولون ان الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بينما يذكر النويري^(٤) ان كندة وهو ثور

قد اعقب من فخذين هما ابناه معاوية وأشرس «والعقب من معاوية هذا من ابنيه مُرْتَع وزيد»^(٥) يذكر هذا النويري ولكننا لا نجدهم يقولون يزيد حفيداً لثور ولا يقولون بمُرتَع

ويروي ان ثور بن مرتع بن كندة بن عُفَيْر بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدر بن زيد بن

يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولكن ابن النديم يحمل

هذه الاجيال العديدة المذكورة بين معاوية الأكبر وزيد أبي أدد وابن خلدون^(٦) يروي عن ابن

(١) راجع نسب الكندي في ترجمته في الفهرست ص ٢٥٥ وطبقات الامم ص ٥١ وأخبار العلماء بأخبار الحكماء

ص ٢٤٠ وعيون الانباء في طبقات الاطباء ج ١ ص ٢٠٦ (٢) هناك شبه قوي بين رسم « جبلة بن عدي »

ورسم « خالد بن علي » فلعل خطأ ناشر كتاب طبقات الامم أو خطأ ناسخه هو أصل هذا الاختلاف (٣) نهاية

الارب في فنون الادب ج ٢ ص ٣١٨ (٤) صاعد والقفطي يذكرانه « مرتع » بالقاء بينما من عداها يقول

« مرتع » بالتاء ونلاحظ ان القفطي نقل بعض رواية صاعد عن الكندي كلمة كلمة (٥) كتاب العبر وديوان

المبتدأ والخبر ج ٢ ص ٢٧٦

سعيد فيهمل اجيالاً عديدة ايضاً ثم يحدثننا ان يشجب بن عبيد الله بن زيد بن كهلان فيزيد عبيد الله هذا كذلك النوري وابن سعيد الحميري^(١) يرويان ان مرتعاً ابن معاوية بن كنده فيزيدان معاوية واذا كان ثور هو اول من لقب بكندة وهو ما يكادون يتفقون في روايته^(٢) فكيف يقولون ان مرتعاً ابن كندة مع انه اب لثور

ولو ذهبنا لتقصي نسب فيلسوفنا عند رواة آخرين لما وجدنا عندهم ما ينفع غلة وأحسب فيما قدمت من الروايات المتباينة وفيما رأيت من القوضى الشائعة ما يجعلنا في حل من الشك في نسب الكندي قبل جده قيس وعلى الاخص ونحن نعلم ان كتب الانساب لا تعتمد على اسانيد تاريخية وانها كتبت في عصور متأخرة

على انه مهما يكن هذا النسب موضوعاً للروايات المختلفة ومهما يكن الشك فيه والحرص في الاخذ به واجبين فنحن نستطيع ان نخرج بقول بيتن من كل الروايات ذلك هو ان الكندي قد تنقل في اصلاّب كندة القبيلة العربية الخالصة

واصل كندة في بلاد اليمن ولكن بطوناً منها نزحت في مناسبات الى امصار اخرى حيث نشأت فروع للقبيلة العريقة فيحدثوننا ان الكندي المصري ابا عمر محمد بن يوسف بن يعقوب النجفي المؤرخ ينتسب الى كندة^(٣) وان كثيراً من المحدثين الكوفيين والبصريين ينتسبون الى كندة ايضاً^(٤) ويحدثوننا كذلك ان بطوناً اخرى قد استقرت في الشام^(٥) والاندلس^(٦) ولكن يعيننا الآن ان نعرف شيئاً عن اسرة الكندي — كيف كانت وكيف نزحت عن مخاليفها في اليمن ، ثم كيف استقرت وكيف كان حالها بين ربوع العراق ؟

فاذا صدقت الروايات كانت الارستقراطية قوية واضحة في يعقوب الكندي وكان هو عريقاً في نسبه أصيلاً — ذكر الالوسي البغدادي عن ابن السكبي^(٧) ان كسرى سأل النعمان بن المنذر « هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة » فقال النعمان « نعم » قال « فبأي شيء » ؟ قال « من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال رابع — فالبيت من قبيلته فيه وتنسب اليه » وتقصوا هذا فلم يجدوه في غير آل حذيفة بن بدر وآل ذي الجدين وآل الاشعث بن قيس الكندي

(١) منتخبات في أخبار اليمن ص ٩٤ — ولعل ابن سعيد الحميري هذا غير ابن سعيد الذي يروي عنه ابن خلدون لان هناك خلافاً بين الروايتين (٢) العبر لابن خلدون ج ٢ ص ٢٧٦ ومنتخبات في أخبار اليمن لابن سعيد الحميري ص ٩٤ والمختصر في تاريخ البشر لابن الفدا ج ١ ص ١٠٣ ونهاية الاربل للنوري ج ٢ ص ٣١٨ وصبح الاعشى للنفثندي ج ١ ص ٣٢٨ (٣) كتاب الولاة والقضاة لابني عمر محمد بن يوسف الكندي ص ٦ (من مقدمته الانجليزية بقلم «روفن جست ») (٤) راجع طبقات ابن سعد ج ٢ وجزء ٦ وجزء ٧ (٥) راجع طبقات ابن سعد ج ٣ وجزء ٦ وجزء ٧ (٦) العبر لابن خلدون ج ٢ ص ٢٧٦ (٧) بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ج ١ ص ٢٨١

والأشعث بن قيس كان ملكاً على جميع كندة وكان أبوه من قبل ملكاً عليها أيضاً وكان معدي كرب بن معاوية جد قيس ملكاً على بني الحارث الأصغر في حضر موت وكذلك كان معاوية أبو معدي كرب ملكاً في حضر موت ثم معاوية بن الحارث الأكبر والحارث الأكبر هذا وأبوه ثور كل هؤلاء وهم أجداد قيس كانوا ملوكاً على معد في المشقر واليمامة والبحرين^(١)

وسطع نور الاسلام فتهاقت عليه القلوب ووفد الناس جماعات على النبي يطلبون عنده الحق والهدى وكان ممن توجه اليه وفد كندة يقدمه الاشعث بن قيس وحظي أبناء كندة بلقاء النبي في السنة الهجرية العاشرة واساموا جميعاً وتزوج الاشعث من أم فروة اخت أبي بكر وأخبرها الى ان يعود ثم رجع وأصحابه الى دياره متزودين بدينهم الجديد

ولما مات النبي ارتد ناس عن الاسلام وكان الاشعث من المرتدين تخلصاً من فريضة الزكاة فسير أبو بكر الجنود اليه وغلبه على امره فخيء به الى المدينة موثق الكتاف وسأل أبو بكر هل يقتله فقال « يا أبا بكر احتسب في واقلي واقبل اسلامي ورد علي زوجتي » وهذا ما كان فقد قبل أبو بكر اسلامه واطلقه ورد عليه زوجته^(٢)

وبعد ذلك أصبح الأشعث جندياً في صفوف المسلمين فقاتل الروم على نهر اليرموك وقاتل الفرس في القادسية وكان عاملاً لعثمان على ارمينيا واذريجان^(٣) ثم كان تابعاً لعلي واشترك في موقعة صفين ويقال ان الحسن بن علي تزوج من إحدى بناته ولقد سكن الكوفة ومات هناك^(٤) وخلف من أم فروة ولداً اسمه محمد ومجد محمد بن الاشعث هذا رئيساً للشرطة في الكوفة يعمل مع واليها عبيد الله الذي انتصر ليزيد الاموي على الحسين بن علي مما يدل على انه قد خرج على ولاء ابيه لبیت علي ثم نجده ثائراً في وجه المختار في الكوفة ففاراً الى البصرة وبعد هذا نجده قتيلاً في موقعة حروراء بالقرب من الكوفة سنة ٦٢ هـ^(٥) وكان لمحمد بن الاشعث ولد اسمه عبد الرحمن بعنه الحجاج لقتال الثائرين في سجستان فسار اليهم على رأس جيش من الكوفيين والبصريين ولكنه صالح الثائرين فعزل الحجاج فاتفق مع رؤساء جيشه وخرجوا عليه فجرد الحجاج جيشاً قاتله به فانتصر عبد الرحمن ونزل البصرة فبايعه اهلها سنة ٨١ هـ

ولكن الحجاج استعان بالامداد ورجع الى حرب ابن الاشعث ودام القتال بينهما حتى تغلب الحجاج سنة ٨٣ هـ ففر عبد الرحمن الى سجستان حيث مات فقيل مات بالسل وقيل منتحراً^(٦) ونحن وان كنا لا نعرف الصلة — على التحقيق — بين عبد الرحمن بن الاشعث وبين يعقوب

(١) صاعد والقفطي وابن أبي أصيبعة (٢) العبر لابن خلدون ج ٢ ص ٥٦ (٣) الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ٧٠ ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ص ٢٩٤ (٤) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣ (٥) Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes, Bd. I No. 2 (Al-Kindi, von Dr. G. Flügel, 3. 4.)

(٦) مختصر تاريخ البصرة لعلي ظريف الأعظمي ص ٥١ والعبر لابن خلدون ج ٣ ص ٥٢ وج ٤ ص ١٣٨

الكندي إلا أن الغالب أن عبد الرحمن أخو اسماعيل بن محمد الأشعث الجد الثالث لفيلسوفنا وإذا حاولنا أن نعرف شيئاً عن الجد الثالث أو عن ابنه عمران فإنه يخيل إليّ بعد بحثي أننا لم نلق بشيء ولكن لا يسعنا إلا أن نسلم بوجودهما لأنهما يكملان سلسلة الاجيال فيوصلاننا الى الصباح الجد الاول للكندي ونحن لا نعلم ايضاً من امر الصباح اكثر من أنه كان ولي الولايات لبني هاشم (١) اما اسحاق ابو يعقوب الكندي فقد ولي الكوفة للمهدي والرشد وكانت ولايته منذ سنة ١٥٩ هـ ولا ندري هل بقي على الكوفة طيلة عهدي هذين الخليفين ام أنه كان يتركها في آن ثم يعود اليها في آن آخر لأن هذا موضوع خلاف في الروايات التي لدينا وبعض هذه الروايات غامضة (٢) وعلى اي حال فأكبر الظن أن ولايته كانت ولاية استكفاء (٣) لأن الطبري يحدثنا أنه ولي النعمان بن جعفر الكندي شرطة الكوفة وولي بعده اخاه يزيد بن جعفر وهذا يدل على أن اسحاق كان موضع ثقة المهدي والرشد او محل عنايتهما

- ٢ -

والآن وقد مررنا بهذه الاجيال السحيقة الطويلة حتى اشرفنا على يعقوب الكندي فلنحاول أن نعرف عنه شيئاً وإذا كنا لا نجد ما يغني في اخباره القليلة المنشورة المشوّهة المتكررة فإنه يمكن أن نستخلص له صورة لها حظ مرضي من جمال الحقيقة

ولقد يكون حسناً أن نتعرف بالكندي في ادوار حياته فنسأل ما مولده وما ميلاده اما مولده فنقرأ مرة أنه الكوفة (٤) ونقرأ أخرى أنه البصرة (٥) ويقول «كارا ده ثو» هو الكوفة او البصرة (٦) ولست ادري كيف استطاع الرواة - وكلهم محدثون - ان يعينوا مكان ولادة الكندي ولا ادري كيف استباحوا ان يذكروه مطمئنين مع اننا لانجد القدمات يحدثوننا بشيء عنه بخيل اليّ أن «فنديك» قال ان الكندي ولد في البصرة لان ابن ابي اصيبعة والقفطي روى - عن ابن جاجل - أنه كان شريف الاصل بصرياً. ويخيل اليّ أن الزركلي (٧) لم يقل أنه نشأ في البصرة الا لهذا السبب ايضاً. ولا اعرف كيف قدر «بوير» وغيره ان الكوفة كانت مولده ولكن في رواية ابن ابي اصيبعة والقفطي - عن ابن جاجل - شيئاً آخر يستحق التأمل قالا «وكن جده ولي الولايات لبني هاشم ونزل البصرة وضيعته هناك وانتقل الى بغداد وهناك تأدب وكان عالماً بالطب والفلسفة». فهذه الرواية مهما تكن مبهمه فان لها منطقها الذي يدل على ان الكندي

(١) ترجمة الكندي في طبقات الاطباء ج ١ ص ٢٠٦ (٢) العبر لابن خلدون ج ٣ ص ٣٠٧ و ٢١٢ وتاريخ الطبري ج ١ في اخبار سنتي ١٥٩ و ١٦٠ و ١١٦ في ذكر ولاة الامصار ايام هارون الرشيد (٣) ولاية الاستكفاء هي التي يفوض الخليفة الامر فيها لاولي فيعين عماله كما يشاء ويكون طام النظر في شؤونها (عن جرجي زيدان) (٤) T. J. De Boer, The History of Philosophy in Islam p. 51 & The Encyc. Britannica vol. 31 p. 351 (٥) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لفنديك ص ١٨٢

(٦) Les Penseurs de L'Islam, Vol. 4, p. 3. (٧) قاموس الاعلام ج ٣ ص ١١٦٧

« نزل البصرة » والمرء لا يمكن ان يكون نزيلاً في مولده ومتى بطل انه ولد في البصرة فقد صح انه ولد في الكوفة . ويزيدنا ثقة بهذا الرأي ان أبا الكندي كان عاملاً في الكوفة ما يقرب من عشرين عاماً وهو بلا شك لم يؤلّ عملاً قبل ان يبلغ الرجولة فيحتمل كثيراً ان يكون قد رزق بالكندي هناك وأما ميلاده فقد يزيد على مولده غموضاً فلا نعر عليه عند أحد ولا نعر حتى على تقديره ونحن بدورنا لا نستطيع ان نقول عنه إلاّ انه كان بين سنتي ١٥٩ هـ و ١٩٣ هـ وهي الفترة التي قدرنا ان اسحاق أباه كان فيها عاملاً ووالياً على الكوفة وانه كان حول سنة ١٧٠ هـ اذا صحّ ان فيلسوف العرب كان من المعمرين كما ستري

وبعد ذلك كيف نشأ الكندي ؟
هناك مسألة كنت أحب ألاّ أتعرض لها على الرغم من ان أكثر من واحد ذكرها فلو أنك قرأت بعد الذي قدمته ان الكندي كان يهودياً أو نصرانياً ألا يشدهك هذا الكلام ؟
زعم فنديك^(١) ان الكندي كان نصرانياً وقال ظهير الدين البيهقي^(٢) ونقل عنه الشهزوري^(٣) انه كان يهودياً أو نصرانياً ثم أسلم وتشكك « سلقسترده ساسي »^(٤) في كون دينه الاسلام وكثيرون غير هؤلاء شكوا - أيضاً - في انه كان مسلماً أو ادعوا انه لم يكن كذلك وفي زعم فنديك ان تناظراً جرى بين الكندي وعبد الله بن اسماعيل الهاشمي الامير المسلم فكتب عبد الله رسالة الى الكندي يدعوه بها الى الاسلام فردّ عليه هذا يدافع عن المسيحية والواقع ان عبد الله قد ناظر كندياً آخر هو عبد المسيح بن اسحاق النصراني الذي كان في بلاط المأمون حول سنة ٢٠٤ هـ^(٥)

ورواية البيهقي التي نقلها الشهزوري ليس فيها ما يستحق العناية بل هي خبر أرسله صاحبه ارسالاً ولكن ده ساسي يقول أولاً انه ليس بين مؤلفات الكندي العديدة واحد يتصل بالاسلام ويقول ثانياً ان الكندي كان يعرف الاغريقية او السريانية وانه كان مترجماً معروفاً بينما كان أكثر المترجمين اذ ذاك من المسيحيين ثم يشير ثالثاً الى مخطوط في المكتبة الامبراطورية ويقول ان في هذا المخطوط دفاعاً عن المسيحية وانه مكتوب باللغة العربية ولكن بخط سرياني واسم مؤلفه يعقوب الكندي ويظهر ان ده ساسي يعتمد على عقله أكثر من اعتماده على علمه فللكندي رسالة « في ملك العرب وكميته » تدل قضايها على دراسة صاحبها للقرآن ويدل كلامها على ان مؤلفها مسلم لانه يلتزم آداب المسلمين كلما تحدثوا عن مقام نبهم الرفيع

(١) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ١٨٢ (٢) تاريخ الحكماء مخطوط بدار الكتب المصرية ص ١٨

(٣) زهرة الارواح وروضة الافراح (مخطوط بمكتبة الجامعة المصرية) ص ١٨٣

(٤) Relation de l'Egypte (Notes) p. 487 et 488

(٥) The Encycl. of Islam vol. II. p. 1021 ومعجم المطبوعات ليوسف سركيس ص ١٥٧١

وله رسالة « في اثبات النبوة » وأخرى « في علة النوم والرؤيا » ولم يعالج هذين الموضوعين في ذلك الوقت غير المسلمين فيما أعلم . على أنه ان لم يكن بين مؤلفاته ما يتصل بالاسلام مباشرة فليس فيها ايضاً ما يتصل بغيره من الاديان او بمعنى أدق ما يدل على أنه لم يكن مسلماً واذا كانت كثرة المترجمين في عهد الكندي مسيحية فما الذي يمنع ان يكون هو من القلة المسماة وفي النهاية يرد ده ساسي على اعتراضه الثالث فيقرر أنه ربما كان صاحب مخطوط المكتبة الامبراطورية كندياً آخر لان في مقدمته ان مؤلفه من حاشية المأمون وأنه مسيحي من كسندة ولأن عنوان المخطوط هو « كتاب الكندي اليعقوبي » . وفي فهرست الكتاب السريانيين لعبد يسوع كاتب اسمه الكندي له مؤلف ديني وهذا الكندي عاش حول ٢٨٠ هـ ولا يحتمل ان يكون يعقوب الكندي قد عاش الى ذلك الوقت

ونحن لا يسعنا بعد الذي علمناه عن أسرة الكندي وبعد ان أظهرنا ان أصل الشبهة في أمر دينه كانت لمشابهة اسمه لاسم عبد المسيح بن اسحاق الكندي نحن لا يسعنا بعد هذا الا ان نترك فديك وشأنه هو وأصحابه لتتعرف أين تعلم الكندي ؟ ومن هم أساتذته ؟ وما هي علومهم التي أخذها عنهم ؟

فاذا اخذنا بأنه نشأ في البصرة وانتقل الى بغداد فإنه يكون قد تعلم فيهما ونحن لا نعرف شيئاً عن نشأته او تعليمه ولكننا نقدر انهما لم يختلفا عن نشأة أبناء المسلمين في ذلك الزمان الذين كانوا يدرسون القرآن ويطلبون العلوم الدينية في صحن الدور وفي حلقات الجوامع فبعد ان حصل فسطاً من هذه الدراسة العادية قصد الى بغداد حيث كانت الحركة العلمية أبهر منها في البصرة عند ما اتسع نطاق الترجمة واشتد المعتزلة في أيام المأمون والمعتصم . ولقد ساهم الكندي في هذه الحركات الفكرية فترجم وخلص وشرح وألف رسائل في الفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والموسيقى وغيرها

ويمكن ان نقسم أساتذة الكندي الى طائفتين فالطائفة الاولى تتكوّن من اولئك الشيوخ الذين لقنوه القراءة والكتابة ودرس عليهم القرآن وعلوم الدين والكلام ونحن لا نجد سبيلاً الى معرفة أحد من هذه الطائفة اللهم الا ان نرجح اتصاله بعلماء العراق الذين عاصروه ونذكرهم واحداً واحداً . والطائفة الثانية تتكوّن من اصحاب الكتب التي عرفها العرب حينئذ بعد ان ترجمت او تلخصت عن اليونانية والسريانية والفارسية والهندية واللاتينية واصحاب هذه الكتب هم أساتذته الحقيقيون الذين كوتوه وتميزت شخصيته بطابعهم اكثر من غيرهم واذن فلا بأس من ان نقول ان الكندي تلميذ أرسطو وافلاطون وفيثاغوروس وافلوطينوس وبطليموس ومن اليهم بل نحن نقول هذا مهما يكن قد أساء فهم قراءتهم او قراءة ترجماتهم ومؤلفاته التي وصلنا خبرها ومؤلفاته التي بين أيدينا تدل جميعها على هذا في صراحة ووضوح

أما العلوم التي درسها فيلسوف العرب فقد أصبح لغواً ان نذكرها بعد الذي علمناه من أمر أساتذته وبعد ما ندرسه من أنحاء البحث التي سعد هؤلاء بمعاناتها انما نذكر انه بلغ غايته من الدرس في ظلال بيت الحكمة

- ٣ -

وفيا نجد من أخبار الكندي نجد انه كان حلو الحديث . فالجاحظ^(١) يذكر ان سكان بيته كانوا يغفرون له مضايقاته لطيبته « وحسن حديثه » والبيهقي يذكر ايضاً انه قال « من لم يتبسط بمحدثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك »

ونجد كذلك في أخباره انه كان ينزع نزعة الحكماء فيقول « ان النظر في كتب الحكمة اعتياد النفوس الناطقة » ويقول ان افلاطون قد شبه الشهوة بالخنزير والقوة الغضبية بالكلب والقوة العقلية بالملك « فمن غلبت عليه الشهوة فهو خنزير ومن غلب عليه الغضب فهو كلب ومن غلب عليه العقل فهو ملك . . . » واذا كان ملكاً كان قريب النسبة الى الله تعالى . والحكمة والخير والقدرة والعدل والكرم والاحسان من صفات الله « والانسان لا يكون ذا فضل الا بأن تكون هذه الفضائل له وحلي فيهِ وحاصلة لديه وغالبة عليه »^(٢)

وأحسبه كان يعتد بعقله ويحرص عليه فيقول « لو أفسد احد أحسن اعضائه كان مدموماً وأشرف الاعضاء الدماغ ومنه الحس والحركة وسائر الافعال الشريفة ومستعملو السكر يدخلون الفساد على أدمغتهم ومتى توالى السكر على بدن مرض دماغه واشتد ضعفه وبعد عن القوة المميدة للافعال الارادية والنفسانية^(٣) » وأبو معشر يذكر ان استاذ الكندي لم يشرب الخمر الا أياماً ليداوي بها علة في ركبته ثم يذكر انه تركها واصطنع شراب العسل^(٤)

وبينما نحن نعلم بهذه السيرة الحميدة يطالعنا القفطي^(٥) بأنه كان للكندي جار من التجار وكانت الصلة بينهما متوترة ومرض ابن التاجر فطوّف البلدان يستركب الاطباء لولده فلم ينفعوه واخيراً قال له أحدهم « انت في جوار فيلسوف زمانه وأعلم الناس بعلاج هذه العلة فلو قصدته لوجدت عنده ما تحب » فاضطر التاجر ان يستشفع الى الكندي بصاحب له « فثقل عليه في الحضور فأجاب . بهذا يطالعنا القفطي فيفسد انسجام تلك المعاني الجميلة في نفوسنا ويدعنا نفكر شاخصين . . . ولكن سرعان ما نستعيد رفقاءنا بقول ابن ابي أصيبعة^(٦) ان الكندي قال « وليتق الله تعالى المتطرب ولا يخاطر فليس عن الانفس عوض . وكما يجب ان يقال انه كان سبب عافية العليل وبرئه . كذلك فليحذر ان يقال انه كان سبب تلفه وموته »

(١) كتاب البخلاء ص ٨٤ (٢) نزهة الارواح للشهزوري (٣) نزهة الارواح للشهزوري (٤) و (٥) راجع ترجمة الكندي في تاريخ الحكماء للقفطي ص ٢٤٦ (٦) راجع ترجمة الكندي في طبقات الاطباء ج ١ ص ٢٠٦

وهل يمكن ان نصدق حكاية القفطي بعد الذي رواه ابن ابي أصيبعة ! ؟ ان الكندي ليفهم واجب الطبيب في القرن التاسع على وجه لا يتسامى اليه طبيب القرن العشرين فلا يمكن الا أن ننكر ما حكاه القفطي عن استئقاله في عبادة ابن جاره

ولكن الجاحظ يحدثنا بأن الكندي كان « لا يزال يقول للساكن وربما قال للجار ان في الدار امرأة بها حمل والوَحْمَى ربما أسقطت من ریح القدر الطيبة فاذا طبختم فردوا شهوتها ولو بغرفة او لعة فان النفس يردّها اليسير » ويقول انه كان في شرط الكندي على السكان « ان يكون له روث الدابة وبعير الشاة ونَسْوَار العلوفة والا يخرجوا عظماً ولا يخرجوا كُسَّاحَة وان يكون له نوى التمر وقشور الرمان ... » ويذهب الجاحظ يقص علينا اخباراً اخرى كثيرة عن بخل الكندي وأنا اذ اقرأ هذه الاخبار لا أجد فيها الا نوعاً من الأدب الانشائي الرائع فهذه الصورة العجيبة لأظنها تمثل حقيقة من حقائق الحياة بل أخالها صورة رمزية صنعها الجاحظ الاديب واذا كنت نأت عنده « قصة الكندي » كلها فأنت لا شك قد رأيت فيها صنعة القصص ظاهرة

وقد تكون الحديث الجاحظ قيمة ما ، بعد ان وصف ابن النديم ^(١) الكندي بالبخل وبعد ما روى ابن ابي اصيبعة ^(٢) — عن ابن بختويه — ان الكندي قال في وصية لابنه « ... وقول لا يصرف البلا وقول نعم يزيل النعم وسماع الغناء برَسَام حاد لان الانسان يسمع فيطرب وينفق فيصرف فيفتقر فيعتم فيموت والدينار محموم فان صرفته مات والدرهم محبوس فان أخرجه فر والناس سخرة نخذ شيئاً وأحفظ شيئاًك ... » اقول قد تكون بعد هذا قيمة الحديث الجاحظ لانه يكشف عن حرص على المال والرجل القوي الخلق قد يحرص على المال ليصون به كرامته في هذه الحياة الدنيا أما ذلك البخل المزري الذي يصفه فلا يمكن ان يصدق على الكندي الناشئ في حجر أبيه والي الكوفة وفي ظل أسرته البارزة في السياسة الاسلامية منذ صدر الاسلام والذي يروى عنه انه كان يترجم الكتب ولا يرتزق بالترجمة ^(٣) والذي اتصل بالمأمون ثم بالمعتصم فاختاره هذا الأديب ابنه الأمير احمد

على اننا لا نعرف متى انطفأ سراج الكندي فنحدد نصيب مدينة السلام من فضله لان الروايات في تاريخ وفاته لا تقل اضطراباً عنها في ميلاده فبينما يذكره ساسي ان «سرجنل» يحدد وفاة الكندي سنة ٢٦٧ هـ نجد « أوليري » ^(٤) يقول بأنها كانت حول سنة ٢٦٠ هـ و « كارا ده ثو » يرجح أنها

(١) راجع ترجمة الكندي في فهرست ابن النديم ص ٢٥٥ (٢) راجع ترجمة الكندي في طبقات الاطباء

ص ٢٠٦ (٣) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ص ٢١٢

(٤) De Lacy O'Leary, Arabic Thought and its Place in History, The article on al-Kindī

حول هذه السنة ونجد « بوير » يستنتج من إحدى رسائل الكندي الفلكية أنه عاش حتى سنة ٢٥٧ هـ ثم نجد « ماسينيون » يقول أنه توفي حول سنة ٢٤٦ هـ^(١)
أما سهرجنل فليست روايته قيمة عندنا لأنها لا تستند إلى مصدر معين نستطيع أن نقدره ولا نعثر في روايتي أوليري وكاراده قو على القياس الذي مهد لها فيهما من تقدير واستنتاج فلا يسعنا إلا أن نتركهما

وأما « بوير » فيشير إلى رسالة في الفلك للكندي ويذكر أنه بنى عليها نتيجته وإذا كان لم يعين هذه الرسالة فنحن نستطيع أن نقرر أنها « في ملك العرب وكهنته » اعتماداً على وصف « بوير » لها واعتماداً على علمنا بما بقي للكندي من الرسائل الفلكية . وفي هذه الرسالة ما يدل على أن الكندي كان يعيش حين فتنة الخليفة المستعين أي سنة ٢٥١ هـ بخلاف ما فهمه بوير وهذا لأن موضوع الرسالة هو الاستدلال على الحوادث باقتانات الكواكب فلما كان دور سنة ٢٤٢ هـ عين فيه الكندي فتنة المستعين ووصف حوادث أخرى لم يعينها ثم استمر يذكر أدوار الاقتانات التالية ويصف حوادثها دون أن يعين شيئاً منها على غير عادته في الأدوار التي سبقت دور سنة ٢٤٢ هـ مما يدل على أنه كتب رسالته بعد أن شاهد فتنة المستعين ويدل على أن هذه الفتنة هي آخر الحوادث الجسام التي وقعت في إبان حياته وبهذا ينهار قول ماسينيون بأن الكندي توفي حول سنة ٢٤٦ هـ ويزيده انهياراً ما نقرأه في ابن النديم عن كتاب في مذاهب أهل الهند نسخة الكندي بيده سنة ٢٤٩ هـ^(٢)

ولكن كون الكندي قد عاش حتى سنة ٢٥١ هـ لا يحدد وفاته بل يتركنا للتقدير والترجيح فإذا كان حقاً أن نقطويه النحوي المتوفى سنة ٣٢٣ هـ تلميذه فهو من المعمرين ورسالاته في اعتداله في موته دون كماله سني الطبيعة التي هي مائة وعشرون سنة التي يذكرها ابن أبي أصيبعة هذه الرسالة تكون صحيحة الدلالة على تعميره غير أن هذا بعيد لأنه يمكن أن يكون كتب رسالته معتذراً وهو يموت في أية سن ولو كان قد عاش إلى ما قبل السنة المائة والعشرين من عمره لكان قد عاصر الفارابي مما لم يكن منه شيء

واذن فليس لنا أن نقول إلا أن الكندي مات بعد سنة ٢٥١ هـ ولو نذكر أننا رجحنا أن ميلاده كان حول سنة ١٧٠ هـ ونذكر أنه كان يترجم للمأمون ويؤدب أحمد بن المعتصم بين سنة ١٩٨ هـ و ٢٢٢ هـ مما يثبت أنه كان عالماً ناضجاً في هذه الفترة ولو تأخذ بأنه كان من المعمرين أقول لو تأخذ بهذا ونذكر ذلك ثم نتجاوز في التقدير فلن نستطيع أن نقول إلا أنه كان يعيش سنة ٢٥١ هـ ومات بعدها بقليل

(١) Louis Massignon, Recueil de Textes Inédits concernant l'histoire de la Mystique en pays d'Islam, p. 175. (٢) فهرست ابن النديم ص ٣٤٥

قدم القطن بوادي النيل

للدكتور حسن كمال

معلوم ان القطن هو اهم المحاصيل الزراعية في القطر المصري، والفضل في انتشار زراعته بالشكل الحالي يرجع الى والي مصر المغفور له محمد علي باشا مؤسس الاسرة الملكية، اما مسألة قدمه في وادي النيل فلا تزال عقدة العقد : وقد نشرت مجلة العاديات المصرية اخيراً (مجلد ٢ ص ٥) مقالاً للفرحوم الاستاذ جريفت والمسر ج . م . كروفوت لخصاً فيه الحقائق المتعلقة بتاريخ القطن القديم بوادي النيل وشفعاً ذلك بفتايج المباحث الحديثة في المنسوجات القديمة التي كشفت في ذلك الوادي . ولما كان هذا الموضوع العلمي الخطير مما يهم مصر رأيت ان ألخص فيما يلي : —

اخبرنا هيردوتوس ان ملابس قدماء المصريين كانت تصنع من الكتان الابيض . وهي حقيقة واضحة في رسوم هؤلاء القوم . اما الأغشية (كالشيلان والبطانيات) فكانت تصنع من الصوف الابيض . واعتاد القوم عدم ادخال الانسجة الصوفية في المعابد او استعمالها في الدفن . واول من ذكر اسم القطن مستعملاً بين كهنة مصر القديمة هو بلنيوس (جزء ١٨) حيث ذكره باسم *Gossipion* ثم قال : ان هذا النبات وقتئذ (القرن الاول ب . م .) كان يزرع في الصعيد بالقرب من بلاد العرب . اما هيردوتوس (ج ٣ — ٤٧) (في القرن الخامس ق . م .) فقد ذكر ان الملك أمازيس الذي توفي عام ٥٢٥ ق . م . اهدى لباسين مصنوعين من الكتان والقطن الى (ساموس) و (ليندوس) . وبالرغم من هذا كله فان الاثرين لم يتمكنوا قط من العثور على أقشة نطنية فرعونية حتى العصور الاخيرة . ويقول البعض ان اللغة القبطية لا تحوي القاطاً ثابتة لهذا النبات ولا لمصنوعاته . وفي السنين الاخيرة اكتشف الاستاذ ريزر في جهة مروة بالسودان بعض منسوجات (يرجع تاريخها الى العهد المروي ويقابله العهد الروماني بمصر) فخصها بعض الخبراء وقرروا انها مصنوعة من القطن . وهذا الاكتشاف شجع الاستاذ جريفت ان يبحث في المادة المصنوعة منها بعض المنسوجات التي عثر عليها في جهة كارانوج (بالقرب من أبريم) وحفظت طائفة كبيرة منها بجامعة بنسلفانيا بفيلادلفيا . ولما عُثِرَ المستر جان الذي كان امين المتحف بالقاهرة مديراً لمتحف بنسلفانيا المذكور ارسل بعض القطع من هذه المنسوجات القديمة (التي عثر فيها سابقاً على خيوط القطن) الى معهد القطن المسمى باسم شيرلي Shirley بالقرب من مانشستر حيث قام بفحصها الدكتور ترز Turner وكان قد سبق له فحص المنسوجات الهندية القديمة . وفي ٥ ابريل عام ١٩٣٣ اثبت هذا المعهد ان هذه المنسوجات مصنوعة من القطن البري كالمعروف باسم *Gossipium arboreum Soudanensis* . ثم ارسل المعهد المذكور بعد ذلك خطاباً بتاريخ ٩ مايو سنة ١٩٣٣ الى المستر جان قال له فيه ان النماذج المذكورة فحصت جميعها بالمكروسكوب وقيست اقطار خيوطها والسير (جورج وط) صاحب الفضل في تقسيم شجيرات القطن الى عدة انواع (راجع مباحثه في سنة ١٩٠٧ و ١٩٢٦ و ١٩٢٧) وفي اظهار الفروق العديدة والدقيقة بين كل نوع وآخر مما يشهد له بالصبر

والعلم والكفاءة. ولا يغيب عن البال ان تجارة البحر الاحمر كانت راقية في العهد الروماني وان القطن لا يبعد ان يكون قد وصل وادي النيل من الهند عن هذا الطريق. لكن المباحث والمكتشفات الحديثة تشير بما يقرب من التأكيدي الى وجود نوع من القطن سوداني الموطن كان يستعمل للنسيج في مصر والنوبة وهناك دليلان آخران على وجود القطن ومكانته في النوبة في الازمنة الغابرة. الاول خاص بالغارة التي شنّها اهالي اكسوم على مروّة وبادوا فيها سلطة الاخيرة فقد جاء فيها ان الجيش المنتصر اتلف تماثيل معبودات مروّة ومخازنهم القمحية والقطنية والتي بها في النهر. واكسوم في الحبشة. والقطن هناك لا يزال يطلق عليه اسم (دود) وهذا اللفظ بعينه هو الوارد في القصة التاريخية القديمة السالفة الذكر التي يرجع تاريخها الى سنة ٣٥٠ ب.م. اما الدليل التاريخي الثاني نخاف باغارة شمس الدولة أخى صلاح الدين الايوبي على قلعة ابريم عام ١١٧٣ ب.م. في عهد حكومة الغزّ والترك. وقد اسر كثيرين من النوبيين وقتلهم ووجد هناك مقداراً من القطن اخذه معه الى قوص (ابو صالح) وهنا يحق لنا ان نسأل عن السبب في وجود القطن المذكور بتلك الحصون. هل كان هناك بقصد غزله ونسجه او لاستعماله في اعمال الوقاية او انه كان ضمن المواد التي استولى عليها جنود تلك الحصون اثناء اغارتهم على بلاد النوبة المجاورة؟ وفي عام ١٩١١ ظنّ المستر (كروفت) ان من اسباب ثروة مملكة مروّة تجارتها في القطن وفي عام ١٩٢٢ - ٢٣ قام الاستاذ ريزنر بحفائر في الجبانة الغربية لمروّة وهناك وجد في القبور المتأخرة من العهد المروي (٣٠٠ ق.م - ٣٠٠ ب.م) شيئاً عظيم القدر عند الباحثين والمدققين في تقدم السودان الحديث ألا وهو كثرة استعمال القطن وقتئذ في منسوجات الاهالي (راجع تقرير الدكتور ريزنر). وقد قامت المستر (كروفت) بمباحث دقيقة في نسيج هذه المنسوجات وذلك لخبرتها الكبيرة بمصنوعات تلك الجهات. فقالت ما ترجمته «زرت انا وزوجي حفائر تلك السنة بالسودان ورأينا المنسوجات المذكورة فوجدناها سوداء اللون متفحمة وهشة للغاية. فتبادر للذهن فخصها بالميكروسكوب وارسلت لذلك نموذجاً الى مدينة الخرطوم. وهناك قام بفحصها المستر (ماسي) في مزرعة المباحث الواقعة في شمبات ووجدها مصنوعة من القطن. واستنتج من مباحثه ان القطن المذكور هو من النوع الذي ينمو في البلاد الحارة ذات الطقس الجاف مما يشير الى زراعته في السودان - لكن هذا لا يمنع امكان زراعته في مثل هذه البقاع في الهند والقطن المستعمل في السودان هو من النوع البري او تحت البري الذي يشبه في خواصه القطن الاسيوي اكثر من القطن الاميركي. وعلى ذلك فالقطن الذي نسجت منه المنسوجات المروية المذكورة يكون قد زرع اما في النوبة او استورد من الهند. والمنسوجات المذكورة بعضها املس والبعض الآخر بوبر (كالفوط والبشكير) وهذه الاخيرة محلاة اطرافها «بالشراريب» كما هي العادة الآن. وبلي ذلك وصف مطول لكيفية نسيج هذه المنسوجات وتعداد خيوطها في السنتيمتر المربع وطريقة جعل الوبر فيها، مما يهم اصحاب الغزل والنسيج. والرأي الراجح للان ان القطن المذكور انما زرع ونسج في السودان (مروّة) وانه لم يستحضر من الهند

معجزات الاغذية الكيميائية

أحدث المباحث في انواع الفيتامين

بتصرفه عن مجلة العلم العام : ترجمها عوض جندي

أتم حديثاً عالم نيويوركي بحثاً دام عشرين سنة في أصناف الفيتامين حتى ظفر ببغيته ، فشاهد رافعاً يمينه كتلة من بلورات بيض هي احد اصناف الفيتامين الصناعي المبورة . ونعني بهذا العالم المستر (روبرت ر . ويليمز Robert R. Williams) قطب دائرة المباحث الكيميائية في شركة بل التليفونية . وبالبلورات الكيميائية التي فاز بها ، فيتأamina غذائياً متجمداً ، ذا خصائص مذهشة . وقد جربت هذه البلورات في جامعة كولومبيا ، فأذيب جزء منها في الماء ثم شربت منه الجرذان البيض التي تمرح في حظائرهما . فنمت نمواً حثيثاً . ويرى المستنبط ان هذا الفيتامين اذا ما مزج بغذاء الاطفال المقرقين ، اصبحوا عمالقة طوال النجاد !

بل قد ثبت ان الفيتامين المكتشف المشار اليه غذاء مقوٍ للاعصاب ، ناجع في علاج التهاباتها وآلامها شافٍ لداء (البري بري) الذي يدهم الاعصاب والقلب في الذين يعتذون بالارز المقشور . بدأ المستنبط بحمته من عشرين سنة ، كما تقدم القول ، في كوخ من الخيزران في احدى جزائر الفيليبين حيث شاهد طفلاً مشرفاً على الموت بداء البري بري فأنقذه من الهلاك بقطرات قليلة من خلاصة الارز . ومن ثم لم يأل جهداً في السنوات العشرين الماضية في استخلاص ذلك الفيتامين الحي ، من قشور الارز ، ثم نجميده وصنع مقادير منه للعلاج . فجرب تجارب شتى في اثناء بحره وجاب نصف الكرة الارضية باحثاً عن ضالته

أضاف الطين الاصواني Fuller's earth⁽¹⁾ الى خلاصة استخلصها من قشور الارز . واطلق على الفيتامين الذي استخلصه بهذه الوسيلة فيتامين B ردف (1) Sub . ذلك ان جزيئات الفيتامين تلتصق بدقائق الطين الاصواني (كما يلتصق الذباب بالورق النرج المستعمل لصيده) وتبقى لاصقة به في المحلول . حتى كان استخلاصها منها أصعب معضلة عرضت له . فتوسل الى تنقيتها بمئات الوسائل . فأخفق حتى غثر على ضرب من الكينا فصبه على المزيج ، فما عثمت ان امزجت بالوسائل حتى طردت جزيئات الفيتامين من حبات الطين الاصواني وحلت محلها ، فانطلقت وطفقت على المحلول . وبعد ذلك سهل عليه تكييفها وبلورتها

ويلزم لاستخلاص أوقية واحدة من الفيتامين المكتشف ، استعمال مقدار كبير جداً من قشور الارز

(1) مادة خرفية يتفرع بها الى ترشيح الزيوت

يتفاوت من خمسة اطنان الى عشرة اطنان منها . ومن ست سنوات تمكن كياويان هولنديان من استفراد الفيتامين B ردف (١) بيد ان وسائلهما لم تستخلص اكثر من تُدَف قليلة من تلك المادة الثمينة . اما طريقة ويليمز فيسهل بها صنع مقادير كبيرة منه قد يكون لها شأن جليل في نتيج اطعمة طريفة في المستقبل

ان مطامح جمهور من البَحَّاث موجهة الى صنع اطعمة جديدة واغذية محسنة أنقى واكثر تغذية من المأكولات المألوفة . وذلك الفريق بمثابة جيش علمي لا يدخر وسعاً ، في استحداث الاغذية اللازمة للناس . وقد تمكن من صنع علب لحفظ الاغذية واختراع وسائل لوزمها أصلح من الوسائل القديمة ، واستنبط مقاييس بديعة تدل على مبلغ حداتها وما تحويه من العناصر المغذية . بل اغرب من ذلك مسحوق يذرُّ على ماء ساخن فيصبح حساءً . وندف بنّ تنسنى اذابتها في الماء البارد او السخن مثل الشاي . ولقد عرفنا معارف جَمَّة في الغذاء من ذلك اليوم الذي صاغ فيه الدكتور (كزيمير فنك) الكيمائي البولندي في سنة ١٩١٢ لفظ فيتامينات Vitamins للدلالة على العناصر الغريبة الخفية التي في الاغذية . فأصبحنا نسأل : كيف ان فيتامين (A) الذي في الخضراوات ومنتجات الالبان وزيت السمك يقاوم عدوى الامراض . ولماذا فيتامين (B) الذي يستخرج من الفواكه والخميرة والشيرق (١) ينبه شهوة الطعام ويقوي الاعصاب . ولم فيتامين (C) الجزيل في البرتقال والطماطم يمنع مرض الاسكربوط . وكيف يمنع الفيتامين (D) المستخرج من اللبن والزبد وزيت كبد السمك البكلاء كساح الاطفال (ضعف أو لين العظام الناشئ من سوء التغذية) وكيف ان فيتامين (E) الذي في القند (٢) والخس وأجنة الحنطة ، يحول دون العقم . ولماذا فيتامين (G) المضاد لمرض البلاجرا (البرص الايطالي) ومصدره الخميرة ومح البيض يقي حياة الوف من سكان الاقاليم الجنوبية بالولايات المتحدة . فيجيب العلماء عن تلك الاسئلة قائلين ان الوصول الى سرّ الفيتامين في صون الحياة ، مشكلة من مشكلات العلم . لانه ما من انسان ذاق او رأى او سمع او لمس او شم اي صنف من اصناف الفيتامين . وكل ما بلغه العلم منها الوقوف على تأثيرات الاغذية المختلفة في الجردان البيض وغيرها من الحيوانات التي تستخدم للاختبارات في المعامل العلمية . غير اننا اصبحنا نستطيع تفسير ذلك اللغز العلمي اي العمل الحيوي الذي يؤديه الفيتامين في الجسم وذلك بناءً على ما اذاعه معمل المباحث العلمية في احدى الجامعات الاميركية . فقد دلت التجارب التي جرت هناك على وجود علاقة وثيقة بين الفيتامينات والغدد الصم

ومن عهد قريب تمكن الدكتور (اوتار رينغ) العلامة النرويجي ، من اكتشاف فيتامين (C) تكثيفاً اشد نجحاً من ذي قبل لمكافحة داء الاسكربوط بأن بحجر عصير البرتقال الفصح في انبيق خال

(١) الشرق — اللحم الهبر — الاحمر — والشرق من اللحم الاحمر الذي لا دسم له Lean-meat (٢) القند — عسل قصب السكر — العسل الاسود

من الهواء خلواً جزئياً ثم حُلِّجَ بمواد كيميائية ، فنتج زيت ضارب للصفرة ، تتخلله بلورات شبيهة بالإبر شكلاً . فكانت تلك البلورات هي ضالته المذشودة اي الفيتامين الغذائي العلاجي ولكن الدكتور رينغ نفسه لم يقيس له تعليل تلك النتيجة . بل كل ما افصح عنه انه قد خطا خطوة كبيرة اذ عبّد السبيل لجعل فيتامين (C) سهل المنال ولما رحل بعث الاميرال بيرد الى الجنوب ليقم حقبة طويلة في منطقة القطب الجنوبي ، كان مزوداً بعدة صناديق من عصير البرتقال المكثف حتى اذا طرأ طارئ على رجاله ، عوّل الرئيس على تلك المادة ليدراً بها عنهم عادية الاسكربوط

وحبس حديثاً الدكتور (روجر ويليم تروسدايل) في حجرة صغيرة في معمله العلمي بلوس انجيليس (كليفورنيا) طائفة من الجرذان البيض فكانت دائماً تحاول جهد استطاعتها قرض الشبكة السلكية المحيطة بمخبرتها لكي تفرّ منها . لانها كانت تشتهي شيئاً ينقصها في اغذيتها الدسمة . وكانت تجاورها حظائر تضم حيوانات جميلة شباعي . وما كانت الجرذان الأولى محتاجة الى شيء سوى فيتامين (D) وهو العنصر الخفي الذي كان قبلاً يحضّر غالباً من زيت كبد السمك البكلاء . فأثبت الدكتور (تروسدايل) ان تلك العصارة المكثفة الماثلة الى الصفرة التي تفتج من العرم^(١) والتونة ، وهي زيت شمسي فعّال ايضاً في الصحة ، هي نفسها المادة التي يفتقر اليها الصغار والكبار والجرذان عند تلم عظامهم وحين يفقدون الشهوة للطعام الجيد . وقد أسفرت تجاربه عن اختراع جهاز خاص وضع في مصنع كبير من مصانع الاطرية^(٢) في كليفورنيا يقطر قطرات من الزيت الفيتاميني على الدقيق حين يمر تحته في خلال تحويله الى اطرية

ويستخرج من كل مائة جالون من زيت السمك اوقية واحدة فقط من خلاصة تروسدايل . ولهذا السبب فهي قوية جداً ، لا يستطيع امرؤ تناولها محضاً . فاذا مزجت باربعة عشر جالوناً من زيت السمسم (المعروف في القطر المصري باسم السيرج) او زيت الحنطة ، ظلت اغزر فيتاميناً ٦٠ ضعفاً من زيت كبد سمك البكلاء الجيد

وكان لحم التونة الاسمر قبلاً يجعل غذاءً للدواجن ولا يحفظ في العلب الاّ لحما الابيض . فعدا زيت لحم التونة الاسمر وزيت العرم ، اللذان كانا يستعملان غالباً كعنصر لازابة الطلاء (البوية) ، مصدر آمن المصادر الصحية . واذا عت وزارة الزراعة في الولايات المتحدة ايضاً نبأ استنباط آخر خاص بفيتامين (D) وهو انه بقدر ما يتعرض الدجاج البيوض لضياء الشمس ، يزداد مقدار فيتامين (D) في مح بيضه . وثبت انه اذا تعرضت بيضة او طائفة من البيض لضوء مصباح من مصابيح الاشعة التي فوق البنفسجي ، ربع ساعة زاد مقدار الفيتامين فيها كزيادته عند ما يخلط غذاء الدجاجة زيت

(١) العرم — قال ابن البيطار العرم هو السمك المعروف عند اهل المغرب بالسردين

(٢) الاطرية — المكرونة

كبد السمك بنسبة $\frac{1}{2}$. ثم ان الحرارة والهواء يتلفان الفيتامين . ويؤيد ذلك حادث مدهش وقع قريباً في احد المصانع الاميركية . وهو ان عصير الطماطم ، الذي كان ذاك المصنع يعصره ويعبئه في علب الصفيح ، كان اقل فيتامينا منه في علب المصانع المنافسة له مع ان جميعها كانت تستعمل نوعاً واحداً من الطماطم . وكانت الطماطم عند جنينها مشتملة على انواع الفيتامين ، غير انها فقدت منها جزءاً عند نقلها من المزرعة الى مصنع التعبئة فلم يعرف اين وقع ذلك . فحل المشكلة احد علماء الكيمياء الصناعية اذ تحقق ان الآلة التي تخفق الطماطم تدفع الهواء في العصير فتشبع الفيتامينات الحساسة بالاكسجين فتتلف . فأحدث العالم تغييراً يسيراً في الآلة ازال به ذلك العيب

وثبت من التجارب التي جربت في احدى الجامعات الاميركية ان فيتامين B فضلاً عما له من الخصائص التي تتحكم في الاعصاب وقابلية الطعام، فهو ذو تأثير خفي غريب في ذكاء المرء . فالجرذان التي يشمل طعامها ذلك الفيتامين ، تستطيع تخليص نفسها من الورطات التي تقع فيها ، على حين ان الجرذان التي تحرم منها ، تكابد متاعب تعدل ضعفي التي تقاسمها الاولى . ولم يُتَح للعالم الجرم حتى الآن في هل ذلك الفيتامين يؤثر في المادة السنجابية التي في مخ البشر او لا يؤثر البتة ولما كانت الحيوانات التي تستخدم للمباحث في المعامل الكيميائية مختلفة الاجرام ، وكانت الوسائل التي يتوصل بها الى اتمام تلك المباحث ، متباينة في تحديد مقادير الفيتامينات التي في الاغذية فقد عقد في لندن في شهر يولييه الماضي مؤتمر دولي لتوحيد الوحدات التي تقاس بها الفيتامينات وقوتها وتعميمها في جميع انحاء العالم

وما البحث في الفيتامينات الا فرع واحد من فروع اعمال كتائب مباحث الطعام . اما اعمالها الاخرى الجليلة فاخترع اغذية جديدة وابتداع تحسينات في الاطعمة العتيقة . مثال ذلك اللبن الذي لا يخثر وهو مفيد جداً في تغذية الاطفال . والطريقة التي استتبّت حديثاً تقوم بترشيح الحليب بالزيوليت ، وهو من طائفة السليكات التي تستعمل في صناعة الزجاج وبذلك يزول الكلسيوم الذي هو منشأ تجبّن الحليب ويزداد مقدار الفيتامينات فيه

وقد اخترع الكيميائيون وسيلة جديدة لتحضير الطعام بالضغط تمكن الاطفال والمرضى من هضم حساء الخضراوات النخينة ^(١) purée القوام اذ تحطم الخلايا النشوية التي في الحساء فتجعلها أسهل هضماً من المعتاد . ثم ندف القهوة التي يمكن غليها كأوراق الشاي او ترشيحها للتشليح بالماء البارد . وقد نجحت تجاربها في المعامل العلمية . وينتظر ظهورها في الاسواق الاميركية . ذلك لانه شوهد ان اللبن حين تحميصه وطحنه بالطرق المألوفة تطير منه غازات تذهب بكثير من رائحته العطرية . فاذا حول اللبن عند طحنه الى نُدْف ملفوفة على هيئة ورق الشاي المبروم ، استطاع العلماء عصر $\frac{90}{100}$.

(١) شوربة من الخضراوات واللحم وغيرها تسلق حتى تصير عجينة ثم تصفى بالمصفاة

من الغازات دون ضياع شذا البن . وندف القهوة المحفوظة في علب الصفيح التي تملأ بغاز الحامض الكربونيك لدفع الهواء تظل سنتين حافظة لنكهتها كاملة . وقد اتبع معظم مصانع الاغذية الاميركية طريقة تجريد علب الصفيح من الاوكسيجين عند تعبئتها بما يحفظ فيها . واخترعوا لذلك اداة سموها (كشاف الاوكسيجين) توضع في العلب . وهي عبارة عن قصاصة ورق معالجة بمواد كيميائية ، يتغير لونها عند ما يتطرق اليها اقل هواء في باطن العلبة . وبهذه الذريعة يتسنى لمستهلك العلبة التحقق من نضارة الطعام المدخر في العلبة التي يشتريها

ومن سنوات قلائل كانت تنهال على مصانع الاغذية (المدخرة في العلب) الشكاوى من كل حذب وصوب من عملائها متضررين من مسحوق الذرة الذي كان يفسد في العلب فيخرجونه منها مبقعاً بقعاً سوداء . فأسفر البحث عن كون دقائق الكبريت المحلوطة بالدقيق تتحد بحديد العلب بعيد اختراقها الطبقة القصديرية المغشاة بها فينتجم عنها كبريتور الحديد . فاتبع ارباب المصانع طريقة دهن بواطن العلب بمادة الميناء ، فقصوا على تلك الآفة . اما الآن فتستعمل العلب المدهونة بواطنها بالاليومنيوم . وحدثت الاساليب لحفظ الطعام ، علب من الورق المقوى المشبع بالكبريت ، فالكبريت يقوي العلب ويمنع تولد الفطر في بواطنها عند ما تدخر فيها الثمار والخضراوات وقد حلَّ من عهد قريب في المعامل العلمية لغز من الالغاز الخاصة بالاطعمة المحضرة المغشاة بالسكر . فالمعروف ان التثليج السريع الكثير الاستعمال الآن في اميركا يحفظ طعم الفواكه المغشاة بالسكر وشكلها اكثر من التثليج البطيء . وسبب ذلك انه اتضح من التجارب ان التثليج البطيء يكون لبورات ثلجية كبيرة تقوّض بناء خلية الفاكهة فينشأ من ذلك ضياع طعمها ولونها عند ما ينوب الثلج . اما التثليج العاجل فانه ينتج لبورات صغيرة تترك الخلايا وشأنها

وقد كان اختراع المثلجات الطوافة التي تثلج الاشياء حتى درجة ٥٠ تحت الصفر بمقياس فرنهيت ، مسهلاً لارباب البساتين نقل تلك المثلجات السيارة الى بساتينهم وحقولهم لتعبئة الثمار في العلب في اوج لذتها — وتستعمل هذه الوسيلة الآن لتعبئة السمك واللحم

ولما كان من الصعب تحديد الزمن الذي ينضج فيه القسطاني ^(١) ويصلح للتعبئة فقد عرضت تلك المسألة على بساط البحث فخرت بعض تجارب في معمل علمي ترتب عليها وضع قاعدة لتحديد نبرض القسطاني لحماس سخن محتو على ٨٠ ٪ من الكحول . فيذيب الحماس ما فيها من السكر . ونسبة السكر المذاب الى مقادير النشاء والبروتين والالياف تدل دلالة صحيحة على صلاحية القسطاني لتعبئة . اما السمك فان درجة غضاظته تحقق بمقياس مقدار الحامض الضروري لصنوه من الفساد . فاذا اضيف اليه حامض زيادة على ما فيه ، استدل على مبلغ انحطاط البروتين فيه . وكلما زادت غضاظته السمك ، اشتد امتصاصه للحامض بسهولة

(١) القسطاني — الحبوب التي تطبخ كالعدس والحمص والفول واللوبيا والبسلة وغيره قطنية وقطنية (بكسر القاف وضما فيها)

اما الفطر المغذي والبكتيريا ، وما يمت إليها من الاحياء الدقيقة الكيميائية التي تهدد طعم الاغذية والوانها وفوائدها الصحية ، فانها اعظم ما تتجه اليه مجهودات الباحثين . فتراهم يستخلصون البرهان ويقتفون آثار الرموز كالميون والارصاد العلمية التي تتبع آثار المجرمين حتى تمسك بتلابيهم ويؤيد قولنا ما يأتي : — حدث في كليفورنيا ان العفن الازرق اخذ يظهر على البرتقال الوارد من أحد مصانع التعبئة في جنوب ذلك الاقليم مع ان صاحب المصنع كان يتخذ جميع الاحتياطات الواجبة لصون برتقاله من العدوى . فلما يئس من الوقوف على كنهه العدوى ، استعان بكيمائي صناعي ليحل له لغز العفن . فالبث ذلك الخبر ان اهتدى الى موضع الداء واذا به اعتياد العمال المنوط بهم تعبئة البرتقال بل اصابعهم في برتقالة مشققة معلقة بعمود في المصنع ليتمكنوا بذلك من استفراد الورق الرقيق المستعمل للبرتقال فانقلبت العدوى من تلك البرتقالة المؤوفة الى الوف من البرتقال السليم . وسرعان ما اقلع العمال عن تلك العادة حتى زالت العدوى

وشر العدوى التي يخشاها خبراء الطعام ويناهضونها ، ما وسعت قواهم ، ينشأ من البكتيريا التي تولد التسمم المنباري^(١) . وفي الجهات الموحشة بالولايات المتحدة حدثت من عهد قريب ثلاث اصابات بهذه الآفة ، أدت الى حتم مراعاة النظافة التامة في المصانع التي تصنع المأكول او تعبئها . واغلب الامراض التي من هذا القبيل تنشأ من الاطعمة المنزلية السيئة التعبئة ، لان ارباب المصانع لا يقصرون في اتخاذ الوسائل الواقية من تلوث الاغذية في مصانعهم . ولذلك يجب على ربات البيوت طبخ جميع الخضراوات التي تكبّس في البيوت قبل ذوقها او اكلها بنصف ساعة على الاقل . ثم اعداد الخضراوات التي من هذا النوع للتعبئة في مواقد طبخ ذات ضغط بخاري لكي يمنع البكتيريا من الوصول اليها

وقد دل انفجار بعض المسكرات والحلوى الذي حدث قريباً ، على مشكلة مدهشة استرعت انظار الباحثين المخصصين للاطعمة . اذ استدلو على ان الخميرة التي في الحلوى المغطاة بالشكولاتة كانت تولد ضغطاً داخلياً في الطبقة الخارجية يخمر المواد كما يخمر العجين سواء بسواء فاذا حفظت الفاكهة المغشاة بالسكر في مكان منخفض الحرارة في المصنع زالت الآفة

وأما الفواكه غير المسكرة ، والدقيق الخالي من النشاء فهي مستحضرات متناقضة تتوخى بها المصانع توفية مطالب الناس الذين يحتاجون الى اطعمة خالية من السكر او النشاء

واغرب مما ذكرناه ، مقترح اقترحه احد اطباء نيويورك ما برح يختبر اختبارات بقصد بها استبدال الاغذية الجامدة بغازات مغذية ! ! معتقداً انه سوف يحل زمن يتغذى فيه الملاأ بغذاء على شكل بخار يغنيهم عن المصنع ! !

(١) تسمم منباري — البوتيلينك — حمض يقال بوجوده في المنبار Botulism, botulismus التلعن وهو سبب تسمم نوعي — (معجم شرف)

المانيا بعد غليوم

من الجمهورية الى الوطنية الاشتراكية

اجتمع ممثلو الحلفاء في فرساي واذ كانوا مكبّين على وضع المعاهدة التي تسحق المانيا وتصفها بوصمة الاجرام بتحصيلها تبعة الحرب الكبرى وتجريدها من المستعمرات والسلاح، كان الشعب الالماني، او بالحري ممثله، يشتغلون بوضع الاساس الذي تقوم عليه المانيا الجديدة. فالجمعية التأسيسية الالمانية، اجتمعت في فيمار في ٦ فبراير سنة ١٩١٩، وفيمار بلدة اقترنت باسم الشاعر الالماني العظيم غوته واجداد الادب الالماني، كما اقترنت بلدة سترانفورد اون افون باسم شكسبير واجداد الادب الانكليزي ومعركة النعمان باسم شاعرنا الفيلسوف ابي العلاء. فلما اجتمعت الجمعية التأسيسية لقيت سبيلها حافلاً بالعقبات. كانت الحركة الشيوعية قد صدّت ولكن شأفتها لم تنأصل. وكان زعماء السبارتاكين لا يزالون يطالبون بتحويل المانيا الى دولة شيوعية. اما دويلات الجنوب في المانيا، فكانت تثيرها الغيرة من بروسيا، ولذلك كانت قد وطّنت العزم على ان تحول في الدستور الجديد، بين بروسيا ومقام السيادة والتفوق في بناء الرينخ الثاني. اما حزب الحكومة القائمة فكان بزعامه الهر ايبرت، وكان مقاوماً للشيوعية—اي للسبارتاكين— راعياً في تعزيز مكانة بروسيا. ولولا نشر مواد معاهدة فرساي القاصمة للظهر، لافضى الاختلاف في الرأي بين اعضاء الجمعية التأسيسية الى مأزق لا يعرف كيف الخروج منه، ولكن لما نشرت معاهدة فرساي، التفقت جميع الاحزاب على اختلاف نزعاتها حول الرئيس ايبرت ومنحته تأييدها وثقتها. ثم مشروع الدستور الالماني الجديد، بعد اربعة اشهر من اجتماع الجمعية التأسيسية اي في يوليو سنة ١٩١٩ وصدر في ١١ اغسطس من السنة نفسها فنصّ على ان المانيا الجديدة يجب ان تكون جمهورية ديمقراطية، لا مكانة خاصة فيها للاستقراطية العسكرية التي بناها بسمارك وعزّزها غليوم الثاني. ولكن الجمهورية ظلت على اساس اتحادي (فدرالي) اي انها ظلت مؤلفة من الولايات المستقلة التي تألفت منها الامبراطورية. وانشىء للجمهورية برلمان—دعي باسم البرلمان القديم اي الرينخستاج— على ان ينتخب اعضاؤه من الرجال والنساء بلاميز بين الفريقين، على اساس من التمثيل النسبي. بدلاً من ان ينتخب الناخبون مرشحين معينين لتمثيل دائرتهم الانتخابية الخاصة، قسمت المانيا من الوجهة الانتخابية الى خمس عشرة دائرة، ثم يعرض على الناخبين قوائم كاملة تحتوي على مرشحي كل حزب من الاحزاب، في كل من هذه الدوائر فيقرر الناخب للحزب—اي للقائمة— لا المرشح

خاص . وكل حزب له حق في ممثل واحد في الريخستاج لقاء كل ٦٠ ألف صوت ينالها في الانتخاب . وبعد الانتخاب يستدعي رئيس الجمهورية زعيم الحزب الذي فاز بأكثرية المقاعد النيابية ويعينه مستشاراً — اي رئيس وزارة — وهذا بدوره يختار أعضاء وزارته . وهذا التمثيل النسبي اصلح لتمثيل الاقليات من نظام الانتخاب البريطاني . خذ مثلاً دائرة انتخابية في انكلترا . وافرض ان مرشح المحافظين تغلب في كل منها على مرشح العمال بأكثرية يسيرة ، فعندئذ يكون ممثلو تلك الدوائر من المحافظين . ولكن الاقلية الكبيرة التي اقترعت للمرشحين العمال لا تمثل على الاطلاق . وهذا لا يقع في الانتخاب الالماني بحسب دستور فيمار . وانشيء في الجمهورية مجلس آخر الى جنب الريخستاج ، يدعى الريخستات ، لتمثيل الولايات التي يتألف منها الريخ ، فهو من قبيل مجلس الشيوخ الاميركي ، وغرضه شبيه بغرض مجلس اللوردات البريطاني ، اي ان يحول دون اي تعجل يبدیه مجلس النواب في التشريع ، ولكن رأيه استشاري فقط

اما رئيس الريخ ، فنص المشروع على انتخابه لمدة سبع سنوات ، وعلى ان يكون رئيساً لا سلطة له في الاحوال العادية ، فاذا عرضت للريخ حال طارئة كفتنة او ثورة حق له ان يصبح بمثابة دكتاتور لانه منح حق الحكم بمراسيم ، ولكن للبرلمان عند اجتماعه ان ينقضها اما الوزارة فيجب ان تستقيل عند ما يعرب الريخستاج عن عدم الثقة بها وفيما عدا ذلك كان دستور فيمار مبنياً على مثل الثورة الفرنسية ، اي انه نص على المساواة وحرية العبادة والرأي والصحافة والاجتماع

ولما تم وضع الدستور ، جاء في مجموعه نتيجة مساومة وتوفيق بين آراء الاحزاب المختلفة ، فلا المتطرفون من اليمين رضوا عنه ولا المتطرفون من اليسار . خاول الشيوعيين احداث ثورة في الورد سنة ١٩٢٠ وفي ثورنخيا في مارس ١٩٢١ ولكن الحكومة خضدت شوكتهم ، بعد قتال شديد وكان فريق من متطرفي اليمين ، بزعامة رجل يدعى كاپ Kapp والجنرال فون لوتنتر ، قد حاول في مارس سنة ١٩٢٠ ان يقلب الحكومة في برلين ، فسار الزعميان على رأس جيش من المتطوعين وفاقا باحتلال برلين ، وفر الرئيس ايبرت وكذلك الوزارة التي يرأسها باور Bauer ، ولكن الحكومة دعت نقابات العمال الى اعلان اضراب عام على كاپ وصحبه . فلما لبثت الحكومة التي انشأوها في برلين ، حتى تقوضت اركانها وعاد الرئيس والوزراء الى العاصمة واعنه الحكم في ايديهم . وحاول هتلر في نوفمبر سنة ١٩٢٣ ان يقلب الحكومة في بافاريا ويتسلم هو وصحبه زمام السلطة في الجنوب وبعد ان يوطد قدمه فيها يسير الى برلين فيحدث في المانيا انقلاباً عاماً ولكنه اخفق في محاولته هذه فخذت مواد معاهدة فرساي تنفيذاً دقيقاً ، فذسف الاسطول الالماني في سكاپافلو ، وسامت مقاطعة اوپن ملهيدي للباجيك بعد استفتاء مطبوع ، وزعت مقاطعة سيليزيا العليا الغنية بالمعادن والمناجم ، مع ان الاكثرية في الاستفتاء السيليزي كانت في جانب المانيا ، وفصلت بروسيا الشرقية عن

سائر الرخ ، بالمجاز البولوني الذي منح لبولونيا ليكون منفذاً لها الى بحر بلطيق عند مدينة دانترغ التي اقيمت فيها حكومة دولية تحت اشراف جمعية الأمم . على ان المعاهدة لم تنفذ تنفيذاً حرفياً في ناحية واحدة من نواحيها . ذلك ان المعاهدة قررت محاكمة القيصر غليوم الثاني ولكن غليوم كان قد فرّ الى هولندا ، ولم يتمكن الحلفاء من اقناع حكومة هولندا بتسليمه

وفي خلال ذلك كانت اللجنة التي عينت لتقدير مال التعويض المطلوب من المانيا تقوم بمباحثها فكان تقديرها الاول باعنا على الدهشة . ذلك انها قررت ان يكون مجموع المال الذي تدفعه المانيا على سبيل التعويض ستة آلاف مليون جنيه ، وان عليها ان تدفع منه ألف مليون في سنة ١٩٢٠ فلقى هذا التقدير اعتراضاً عنيفاً في المانيا التي افقرتها الحرب والثورة ثم نزع منها اسطولها التجاري واغنى مقاطعاتها الصناعية . وقرر احد الكتّاب انه اذا دفعت المانيا هذا المبلغ بأوراق نقدية ، كل قطعة منها مارك واحد ، كفي هذا الورق لتغشية جسر يمتد من الارض الى القمر . ولكن روح الانتقام كانت لا تزال تملأ صدور الحلفاء . وتوالت المؤتمرات بيد أن مال التعويض المفروض على المانيا لم ينقص في احدها عن مائتي الف مليون مارك ذهب ، فكان الحرب كانت لا تزال متسعة النار بين المانيا وحلفائها

اعترضت المانيا واحتجت وقال زعمائها ان المانيا مستعدة ان توفّي ما عليها ولكن يجب ان تمنح فسحة من الوقت لتفعل ذلك . وكان لويد جورج اول سياسي من ساسة الحلفاء الذين أدركوا انه لا بد من منح المانيا فسحة من الوقت ، والّا أصابها الخراب الاقتصادي ، وعند ذلك ينقطع حبل التجارة بين بريطانيا وبينها . ولكن بوانكاره ، خالفه في الرأي وقال ان لا ندحة لالمانيا عن ان تدفع المبلغ كاملاً . ولا بد من ان تدفعه في الحال او في مدى سنوات قلائل . ذلك ان تجارة فرنسا في المانيا كانت يسيرة لا يؤبه لها . بل ان فرنسا كانت تتوقع من المانيا ان تجهز المال اللازم لتعمير الولايات الفرنسية التي داسها سنايك الالمان وخرّبها مدافعهم . وفي سنة ١٩٢٢ بلغ الخلاف في الرأي بين بريطانيا وفرنسا مداه . وكانت المانيا قد توقفت عن دفع الاقساط المفروضة عليها — فأصدر بوانكاره أمره الى الجنود الفرنسية باحتلال مقاطعة الرور

واحتلال مقاطعة الرور ، بين الافعال التي اتتها أية حكومة متمدنة في تاريخ السنوات التي تلت الحرب الكبرى ، بحسب من اشدها استبداداً . فقد ظل جيش فرنسي مؤلف من عشرة آلاف جندي محتلاً لغنى المقاطعات الالمانية الصناعية من يناير سنة ١٩٢٣ الى يوليو ١٩٢٤ ، وكان في الجيش الفرنسي جنود سود علاوة على الجنود الفرنسيين . وكانت ثكنات المقاطعة لا تتسع لجميع هذه الجنود . ففرض الضباط الفرنسيون على الاسر الالمانية في تلك المقاطعة ان يفتحوا ابواب بيوتهم للجنود السود . وكان هذا الاحتلال أشبه شيء باستمرار الحرب . فقد قتل في خلال تلك المدة ست وسبعون من الالمان وعشرون من الحلفاء . وابعد المعارضون من الالمان عن بلادهم . وطرده نحو ١٤٧ ألفاً لآثام

اقترفوها او ادّعت عليهم . وظلّ نحو عشرة ملايين من السكان عاطلين عن العمل ، فاضطرت المانيا في خلال ذلك ان تستورد خمها من بريطانيا بأسعار شركات الاحتكار ولم يطل المطال حتى ظهر فساد هذه الخطة . كان هبوط المارك قبل احتلال الرور ينذر بالخطر ولكن تدهوره بعد الاحتلال تحول الى كارثة . فهبط سعر المارك من الف مارك للجنيه الى مليون الى الف مليون . وقد يكون من المتعذر وصف الفوضى التي أحدثتها هذه الكارثة في حياة الالمان . فالارامل والشيوخ الذين كانوا يعيشون على دخل مبالغ من المال وقروها او ورنوها ، أصبحوا وقد تبدد رأس المال الذي يعتمدون عليه . والموظفون الذين يتناولون مرتبات ، من الحكومة او البيوت المالية والتجارية ، أصبحت مرتباتهم لا تكفي لشراء فنجان من القهوة واللبن ، اما الغال فكانوا يهرعون الى اتفاق اجورهم عند تسلمهم اياها ، لانهم اذا صبروا الى الصباح ، فقد تفقد كل قيمتها . ان ويلات الحرب والثورة كانت أقل من ويلات الالمان في فترة التضخم هذه . ذلك ان المعيشة في المانيا سنة ١٩٢٣ هبطت الى مستوى لم يعهد في اي بلاد اوربية اخرى

وفي اكتوبر ادركت الحكومة الالمانية ان البلاد لن تستطيع الصبر على هذه الحال ، فبعثت بمذكرة الى رئيس لجنة التعويضات تعلن فيها استعدادها للرجوع عن موقف المقاومة السلبية الذي وقفته الامة والحكومة بعد احتلال الرور ، وتطلب تعيين لجنة من الحلفاء لفحص مالية المانيا ، والاشتراك في تنظيمها وتثبيت المارك ، توطئة لتوفية مال التعويض . وكان المستشار الجديد رجلاً يدعى جوستاف شترين من فأعرب بأفعاله عن رغبته في الفوز بمعاونة الحلفاء وصدقتهم . وكذلك فاز في نوفمبر سنة ١٩٢٣ بتثبيت المارك . وصرح ان «الرتنمارك» هو وحدة العملة الالمانية الثابتة ، وان الحكومة مستعدة ان تتنازع الماركات بم توسط الف مليون مارك مقابل رتنمارك واحد . فكانت نتيجة هذا ان كل المال الذي وفرته الطبقات الوسطى والعالية زال معظمه بزوال المارك . واصبحت جماعة «البورجوازي» من العمال . ولكن هذه التضحية افادت في تغيير موقف الحلفاء نحو المانيا . ذلك ان شترين من افهمهم بأن المانيا مستعدة لتحقيق العهود التي قطعتها والقيام بالتعهدات المالية التي فرضت عليها فكان ذلك فاتحة عهد جديد في المانيا . كانت الفترة بين ١٩١٩ و ١٩٢٣ في المانيا ، فترة مقاومة من ناحية الالمان ، وإصرار من ناحية الحلفاء . واما الفترة التي تلتها (اي ١٩٢٤ — ١٩٣٠) فكانت فترة نهوض المانيا بمعاونة الاموال الانكليزية والاميركية

ففي سنة ١٩٢٤ وضعت لجنة دولية يرأسها الجنرال دوز الاميركي (وتعرف باسمه) مشروعاً جديداً للتعويضات الالمانية ، فرض فيه على المانيا ان تدفع للحلفاء مقداراً نسبياً من دخلها القومي ، جانب منه يدفع نقداً بالذهب والجانب الآخر عيناً بالبضائع . ولكي تتمكن من هذا وجب ان ترمّم صناعاتها وتعمرها بأموال تقرر لها في اسواق العالم المالية

وكذلك كان مشروع دوز فآتحة عصر انتعاش صناعي عظيم في المانيا . ورأى الالمان شعاعة أمل ، تشرق عند الافق البعيد فالتصبّوا على عمل التعمير والانشاء ، بروح لم تعرف في امة مهزومة ، الا في فرنسا بعد هزيمتها في الحرب البروسية الفرنسية (١٨٧٠ - ١٨٧١) وفي روسيا عند عنايتها باتمام مشروع السنوات الخمس . فاجتعت سنة ١٩٢٦ حتى كان انتاجها الصناعي لا يقل كثيراً عن انتاجها فيقبل الحرب ، ذلك انه لم ينقص عنه الا ٥ في المائة فقط

ولكن الثمن الذي دفعته كان ثمناً فادحاً من الكد والنصب والاكتفاء بالسير من الطعام والراحة . فالطلاب كان عليهم ان يتموا دروسهم الجامعية في الفترات التي تتخلل الاعمال اليدوية التي فرضت عليهم . والنساء كان عليهن ان يعنين بتربية اطفالهن في ساعات فراغهن من العمل في المصانع . وحتم على الشيوخ ان يتخلوا عن راحة الشيخوخة التي اشتروها عزيزة ، لبدءوا العمل من جديد كأنهم شبان

بيد ان الشبيبة التي نشأت بعد الحرب كانت توجه الى نفسها هذا السؤال : وما الفائدة من كل هذا الجهد والنصب والتقتير ؟ ولماذا يجب على المانيا ان تدلّ وتستعبد اجيالاً من ابنائها لتوفي غرامة حرب ، لا شأن للشبيبة في تبعاتها ؟ ولماذا يجب ان يضيقوا جهودهم في تعويضات فرضها عليهم قاهرو آبائهم ؟

وكذلك بذرت بذرة التبرم بمعاهدة فرساي في صدور الشبيبة الالمانية . فلما انتظمت المانيا في جمعية الامم سنة ١٩٢٥ لم يكن انتظامها ذا أثر فعال في النفوس ، لان الحلفاء ما قبلوا ذلك واقروه الا بعد تردد طويل . ولان المادة ١٣١ من معاهدة فرساي كانت لا تزال قائمة ومؤاذا ان تبعة الحرب واقعة على كاهل المانيا وحدها

هذا التبرم في الروح الالمانية اتجه اتجاهاين مختلفين . اما الاول فالاتجاه الشيوعي . فقد كان كارل ماركس نبي الشيوعيين المانياً من اصل يهودي . ومبادئ ماركس كانت بمثابة انجيل للشبان من عمال المانيا ، بل ان الحكومة الجمهورية في برلين ، كانت في قبضة طائفة من اليهود او من يلف لقبهم . وبافاريا الكاثوليكية نفسها ، ظلمت في قبضة الشيوعيين ، مدة وجيزة في سنة ١٩١٩ ، الى ان قضى عليهم نوسكه . فتحول المانيا الى الشيوعية لم يكن حينئذ امرأ مستحيلاً

ولكن الشيوعية تعني نزعة دولية بأوسع معانيها ، ومحالفة مع روسيا السوفيتية . والالمان وطنيون لا دوليين في المقام الاول وروسيا خصمهم التاريخي . لذلك اتجهت روح التبرم في نواح من المانيا ، اتجاهاً آخر ، وافرغت في جمعية اخرى ، مبادؤها قومية صحيحة ، مقاومة لليهود وللروس في آن واحد ، ومبنية على تمجيد السلالة الجرمانية وابطالها . هذه الجمعية او هذا الحزب هو صاحب الحركة الموسومة باسم « الحركة الوطنية الاشتراكية » التي زعيمها اهر ادولف هتلر

بارتو وبوانظاره

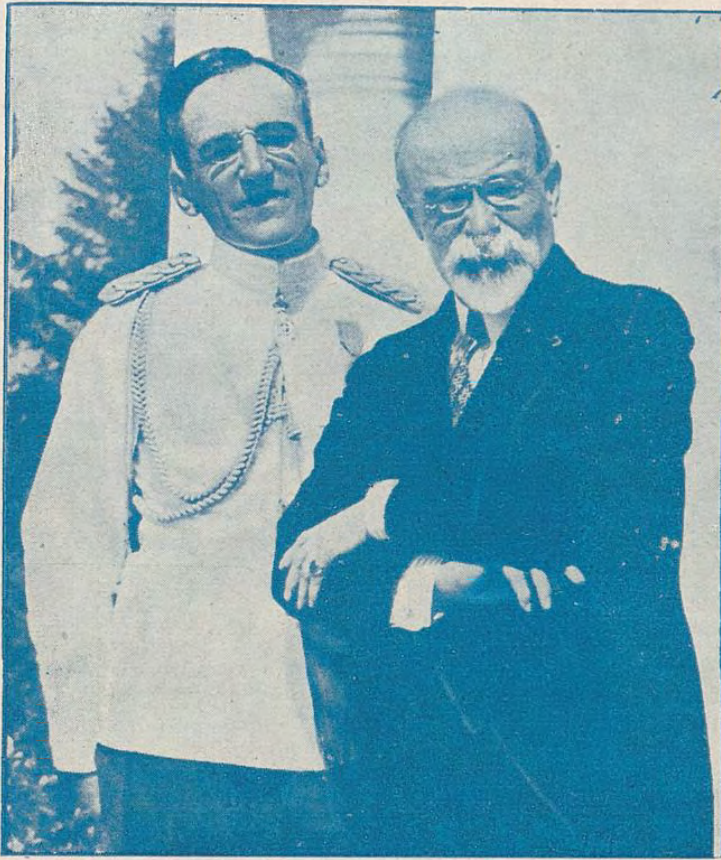
[رزئت فرنسا في خلال اسبوع واحد (٩ - ١٥ اكتوبر) بقصد رجلين من اكبر رجالها الذي تولوا دفة سياستها في اواخر القرن التاسع عشر وما انقضى من القرن العشرين ، ونقشوا اسماءهم في صفحات تاريخها بمداد من نور ، ورفضوا ذكرها في الخافقين بما جمعوا في شخصياتهم من الوطنية الصادقة والفصاحة الخلابة والالمية الادبية والبراعة البرلمانية ونقاء الصفحة والجرأة في النضال السياسي . اما الاول فهو لويس بارتو ، لفي حقه في فاجعة مرسيليا يوم ٩ اكتوبر ١٩٣٤ ، وأما الثاني فهنري وبوانظاره توفي ظهر الاثنين في ١٥ اكتوبر]

لويس بارتو

لعل أوربا لم تشهد في العهد الأخير نشاطاً في وزير خارجية كندشاط الميسيو بارتو . فمن ساعة تقلده لمنصب وزير خارجية فرنسا في فبراير الماضي الى ساعة مصرعه في مرسيليا مساء الثلاثاء ٩ اكتوبر ١٩٣٤ كان أشبه شيء بالحركة الدائمة . ها هوذا في جنيف ، في مؤتمر نزع السلاح ، يناضل عن خطة فرنسا على منبر المؤتمر وفي الاجتماعات الخاصة او في حجر اللجان ، أنا يهاجم وأنا يدافع ، وفي كلامه حدة ولين ، وبلاغة في الحالين . فلما عاد الى باريس استقبل فيها استقبال الأبطال . حتى بريان في اوج عزه كوزير لخارجية فرنسا ، لم يفز من الفرنسيين باستقبال أعظم من الاستقبال الذي فاز به بارتو . ثم ها هوذا يعود الى جنيف للنظر في مسألة استفتاء السار ، فيعقد في اللجنة الخاصة بذلك برئاسة البارون الوازي ، اتفاقاً على ميعاد الاستفتاء والضمانات الخاصة به . فاذا فرغ من اجتماعات اللجنة اختلى بلفينوف قوميسير خارجية روسيا ، يتباحث معه في انتظام روسيا في جمعية الأمم ، او بتوفيق رشدي بك وزير خارجية تركيا يحثه على توثيق الروابط التي تربط فرنسا بتركيا ، او بممثلي دول اوربا الوسطى يحاول ان يحل وايام المشكلات الخاصة بوادي الدانوب . بل ها هوذا يزور في خلال الثمانية الاشهر التي انقضت عليه في السكاي دورساي عواصم ست دول هي بروكسل وفرسوفيا وبراغ وبوخارست وبلغراد ولندن . وينشئ مشروع ميثاق اوربا الشرقية . ويكتب المذكرات الضافية عن نزع السلاح واستفتاء السار . ويدير بمهارة عظيمة مسألة انضمام روسيا الى جمعية الامم رغم اعتراض طائفة من الدول عليها . وكان عند مصرعه في مرسيليا يستقبل الملك اسكندر اليوغوسلافي ، لتكون مباحثاته معه تمهيداً لزيارته لروما واجتماعه بالسنيور موسوليني في الشهر القادم

فعل كل ذلك وهو في الثانية والسبعين من العمر ؟

كان بارتو عضواً في الأكاديمية الفرنسية . احرز هذا الشرف العظيم بصفة كونه كاتباً المعينا



المسيو بارتو والملك اسكندر اليوغوسلافي قبيل مصرعهما

لأنه من كبار رجال السياسة . وفي مقدمة مؤلفاته سيرة ميرابو خطيب الثورة الفرنسية العظيم . وله كتاب آخر في لامارتين الشاعر والخطيب والسياسي والمؤرخ . وكتب أخرى في بودليير وفرلين الشاعرين ، وراشل الممثلة وغرام رتشرد فغتر الموسيقي ، ورسائل الغرام التي كتبها فكتور هوغو . بل كان علاوة على ذلك من كبار نقدة الفن ومن كبار النقّات في الطبقات الاولى النادرة التي صدرت من بعض الآثار الادبية المشهورة حتى لقد قيل عنه انه يوم اقترب الالمان من باريس ، وبدأت مدافعها تمطر قنابلها عليها ، وأخذ الباريسيون يجمعون اعلاقهم ليخفوها في حرز حريز ، تأبط بارتو بعض الكتب النفيسة النادرة وخرج يبحث على مكان امين يودعها فيه .

او انظر اليه في مجلس النواب . فقد أثر عنه قوله ان « المنبر مذبح (بالمعنى الديني) الكلمة » واذ ينهض بارتو من مكانه في المجلس ، ويمشي الى المنبر ، تحس في خطواته المترنة الهادئة ، انه يشعر بالبعة العظيمة الملقاة على عاتق كل من ينوي ان يفوه بكلمة هناك . مضى عليه اربعون سنة وهو يلقي من ذلك المنبر كلمات لها شأن كبير في تقرير مسائل خطيرة . ان الكلمات على اطراف اصابعه ، لانه فصيح ، واللغة تنقاد اليه ، ولكنك تدرك من مشيته الى المنبر وكلماته الاولى التي ينطق بها نوعاً من الرهبة ، لا تستطيع ان تفسرها الا بقوله « يجب على الانسان ان يرهب المنبر لكي ينهض الى مستواه الرفيع » . فاذا زال أثر التردد من كلماته الاولى انطلق في خطابه انطلاق السيل في انسجام وقوة . فهو معروف بين صحبه بأنه من « سحرة » الكلام . صوته نخم رنان . وفي عبارته ايقاع شعري كأنه استمدّه من طول ملازمته لكبار شعراء فرنسا

وكان الى ذلك محدثاً بارعاً ، ذلق اللسان ، قوي الحجة ، واسع الرواية ، كثير النوادر يأسف لانقضاء العصر الذي كانت فيه صالونات السيدات تجمع اصحاب المواهب العقلية فيها فتصطدم العقول بالعقول ويقدح شرر الذكاء . انه يأسف لان رجال اليوم يبيعون افكارهم للجمهور بكذا من السهوليات لقاء كل كلمة بدلاً من ان يهبوها علناً لمن كان له اذنان للسمع فيسمع

ومع انه كان من اولئك الذين يعطونك في الحديث اكثر مما يأخذون منك كان يحسن الاصغاء وهذا من اهم صفات الكريم المثقف من الرجال

تقلب في المناصب السياسية فتقلد منصب الوزارة نحو عشر مرات بين الاشغال العامة والمعارف والحربية والحاقية والخارجية بل دعي في شهر مارس سنة ١٩١٣ الى انشاء وزارة فانشأها وصليل السيوف يدوي في الجو الاوربي وكان على فرنسا حينئذ ان تفصل في مسألة حيوية لها ، ذلك ان شبخ الحرب في اوربا كان قد بدأ يخيم على دوائرها السياسية ويحجم فوق صدور رجالها ، فنادى المنادي في فرنسا ان تأهبوا للنضال القادم فوضّع مشروع يقضي بزيادة الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي الى ثلاث سنوات وقدم لمجلس النواب فلقبي معارضة شديدة من احزاب اليسار . ولكن بارتو تمكن

من اقرار القانون بلباقته المشهورة فنقم عليه صحبه من الاحزاب الراديكالية كيف يخون مبادئهم وهليل له غيرهم قائلين انه منقذ الوطن وان الوطن في اعتباره يسمو على الاحزاب . ولكن خصومه رتبوا له حتى بدت في حكومته ثغرة فنقدوا منها الى اسقاطه خلفه في رئاسة الوزارة المسيودومرغ رئيس الوزارة الحالي الذي انتظم بارتو في وزارته وزيراً للخارجية

فلما نشبت الحرب الكبرى تذكر الناس القانون الذي سنه بارتو وحمدوا له بعد نظره لان نشوب الحرب الكبرى لقي فرنسا بفضل هذا القانون متأهبة لخوض معمرة النضال

واشترك بعد الحرب الكبرى في وزارات مختلفة بل تقلد عدا المناصب الوزارية مناصب سياسية في المقام الاول في حياة فرنسا العامة منها منصب رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب ورئيس لجنة التعويضات التي عينها مؤتمر السلام للنظر في مال التعويض الالمانى ومثل فرنسا مع المسيود بريان في مؤتمر جنوى الاقتصادى واشترك في وزارة بوانكاريه التي انتقدت القرنك من التدهور ان الكاتب ليأسف اشد الأسف عند ما يرى حياة كحياة بارتو الطويلة الحافلة بجلائل الآثار في السياسة والادب تنقضي برصاصة يطلقها مفتون من الفدائيين الذين يستحلون دماء الناس اذ لا ريب ان مصرع بارتو جاء في غير اوانه فانه رغمًا عن كونه بلغ الثانية والسبعين من العمر كان لا يزال عنصراً فعالاً في سياسة اوربا بل كان ينتظر لها على يديه حل بعض المشكلات التي تقض مضجعها وتقلق خواطر رجالها

ربمونه يوانكاريه

كان الجيل الحاضر مظهرًا للكفاءات العالمية بسبب الحرب العظمى وما تلاها من المشكلات فرائنا اقطاب الدول يخلقون في فضاء الشهرة فمنهم من استطاع الاحتفاظ بمقامه ومنهم من هوى ومنهم من نسي امره فلا يكاد يذكره الناس . فغليوم وهندنبرج واسكويث ولويدجورج وكلنصوب وبوانكاريه وودرو ولسن وجوفر وبتي وهايج وفوش وفيجان والنبى ومصطفى كمال ولين وموسولينى وبهلاوي شاه وغاندي وفيصل وغير هؤلاء برزوا الى الميدان العالمى وكانوا قبلة انظار البشر ثم اخذوا يتوارون عن العيون وقد مات معظمهم وقل الذين صبرت شهرتهم على فعل الزمان

وقد امتاز ريمون بوانكاريه بصفات وسجائا مكنته من النهوض بعبء راسة الجمهورية بما يقتضيه هذا النهوض من عناية بالحياة بين الاحزاب وعدم التعدي على سلطة الوزارات وهذا مع الاحتفاظ بهيبة المنصب وكرامة الراسة فلما القيت اليه مقاليد الوزارة بعد الحرب ظهر بمظهر آخر وتذرع بحزم نادر النظير حتى انتشل بلاده من وهدة الخراب النقدي والبورار المالى ووقف من المانيا موقفاً كفيلاً بصون سلامة فرنسا وعدم استهدافها في المستقبل القريب لمثل الخطر الذي واجهته في سنة ١٩١٤ وقد اختلف الناس في الحكم على سياسته الالمانية هذه فرأى بعضهم فيها افراطاً في التشديد

لا بد أن يعقبه من النفور والامتناع والاستياء ما يوغر الصدور ويبعث على تحين الفرص لاقتناص ما يستحق منها . وذهب آخرون الى ان بوانكاره كان مخلصاً في عقيدته وانه بعد ما اكتوبر و اكتوبر فومه بنار الحرب صار ادرى من غيره بما يلزم للوقاية وحكم بان هذه الوقاية لا تستوفى الا بتعزيز قوة فرنسا العسكرية والمضي في كبح جماح المانيا . وانقسم سياسة الانكليز في هذا الامر فكانوا فريقين اما الفرنسيون فعظمهم ايد بوانكاره ولا سيما بعد ما تجلست لهم مواهبه هذه في رئاسة الوزارة . فقد عرفوه رئيساً للجمهورية تقضي عليه فروض منصبه بان يلتزم سبلاً معينة ينص عليها دستور البلاد وتقاليد الحكم فيها فلما انطلقت يده في الوزارة بدا وهو في سن الشيخوخة بما دل على ما كمن في نفسه من قوة وحزم . وسواء اكان ريمون بوانكاره مصيباً في سياسته الخارجية او مخطئاً فان فرنسا لا تنساه ولا تنسى ما بذل في خدمتها وما جنت شجاعته واقدامه وجراته وشدة تمسكه بمبادئه ونظرياته ولولا تصف سياسة الدول بمثل جرأته لاجتنب العالم كثيراً من مشكلاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية فان شر ما ابتلي به اقطاب الدول في هذه الايام جنوح عن الصراحة واعراض عن صدق البيان اقتناصاً لاصوات الناخبين او مجارة لتيارات الاحزاب

ولد في ٢٠ اغسطس سنة ١٨٦٠ وكان والده عالماً جليلاً ومتيورولوجياً شهيراً وتلقى علومه في جامعة باريس ودرس المحاماة وعين محرراً قضائياً لجريدة فولتير ثم استخدم في وزارة الزراعة وبعد سنة انتخب نائباً عن دائرة الموز واشهر في مجلس النواب بسعة معارفه في الشؤون الاقتصادية وعين عضواً في لجان الميزانية فوزيراً للمعارف والفنون الجميلة في وزارة ديبيوي الاولى في سنة ١٨٩٣ فوزيراً للمالية في وزارة ديبيوي الثانية والثالثة سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٨٩٥ وجدد تعيينه وزيراً للمعارف في وزارة ريبو ولكنه خرج من الوزارة في الوزارة الرديكالية التالية غير ان مشغور وعرضية الارث الذي اقترحته هذه الوزارة بني على اقتراحات سابقة له . وانتخب وكيلاً لرئاسة مجلس النواب في خريف سنة ١٨٩٥ وجدد انتخابه في السنتين التاليتين رغمًا عن معارضة الرديكاليين الشديدة . ثم عين في سنة ١٩٠٦ وزيراً للمالية في وزارة ساريان ولكنه تخلى عن منصبه هذا الى المستيو كايو في السنة نفسها لما الف المستيو كليمنصو وزارته الاولى ، وانصرف في خلال السنوات الخمس التالية الى ممارسة صناعة المحاماة علاوة على كونه عضواً فعالاً في مجلس الشيوخ . وفي سنة ١٩٠٩ انتخب عضواً في الاكاديمية الفرنسية . وفي اول سنة ١٩١٢ سقطت وزارة كايو وعهد اليه في تأليف الوزارة فتولى الرئاسة ووزارة الخارجية وكانت وزارته ائتلافاً وطنياً وكان همه الاول اتباع سياسة خارجية مقرررة . اما في الشؤون الداخلية فكان اصعب ما اعترضه مسألة الاصلاح الانتخابي . واما السياسة الخارجية فكانت الشغل الشاغل لبوانكاره في تلك الايام ففيها حدث حادث اغدير فكان هذا الحادث وسياسة

كابو السابقة مع المانيا من اهم الاسباب التي اقلقت خواطر الفرنسيين فبذل جهده لوضع سياسة خارجية مستقرة ومتصلة الحلقات. ومع انه حافظ على علاقات المجاملة مع المانيا انصرف جُلُّ همهِ الى اثبات ان فرنسا لا تنفك عن الولاء والاخلاص لحلفائها وخصومها . وتمكن من عقد معاهدة مع المانيا في ٣ نوفمبر سنة ١٩١١ رسخت فرنسا بواسطتها قدمها في المغرب الاقصى

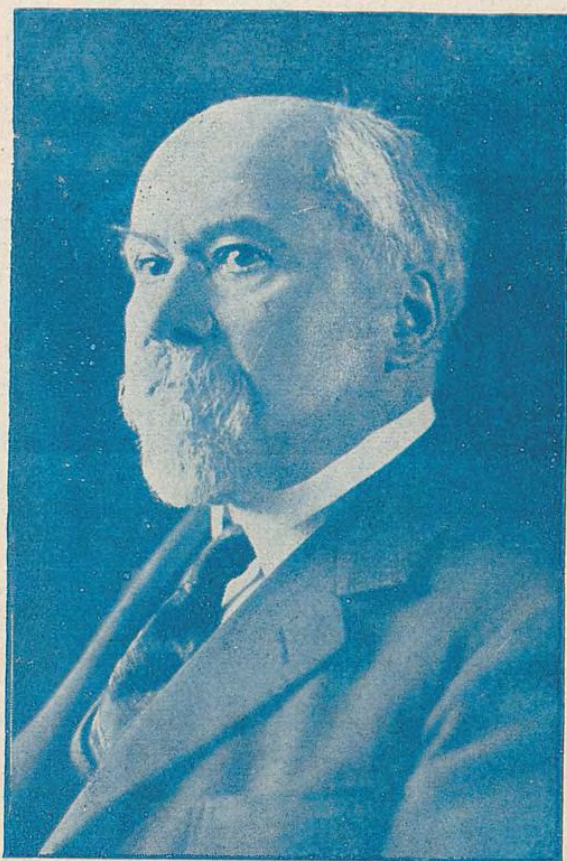
وحدث بعد ذلك حادثٌ كاد يوقع النفور بين فرنسا وايطاليا . فان ايطاليا كانت مشتبهة في سنة ١٩١٢ في الحرب مع تركيا فقبضت بعض البوارج الايطالية على باخرتين فرنسيتين كانتا في طريقهما الى تونس ولكن الميسو بوانكاره حال برزائته وحزمه دون وقوع هذا المحذور واعاد العلاقات بين البلدين الشقيقتين الى صفائها السابق . ومما يؤثر له انه حاول جهده منع وقوع حرب البلقان الاولى وامتداد نارها الى اوربا ولكن موقف التهديد الذي وقفته المانيا والنمسا بعد ذلك دعاه لان يطلب من البرلمان زيادة الاسطول الفرنسي ثم عزز بمهارته وبعد نظره الاتفاق مع بريطانيا العظمى فكانت نتيجة ذلك انه بات في وسع فرنسا ان تحشد اسطولها كله في البحر المتوسط

وانتخب في ١٧ يناير سنة ١٩١٤ رئيساً للجمهورية خلفاً للميسو فالير وكان اول ما سعى له توثيق علاقات فرنسا بحلفائها فانتقده خصومه في فرنسا والخارج على هذه السياسة ولكنه لم يبال بنقدهم بل واصل مساعيه من هذا القبيل ونجح فيها نجاحاً باهراً فقد كان يرى ان خير وسيلة لاتقاء الحرب ان تقف الدول المهددة صفّاً واحداً في وجه الدول التي تهدد سلم اوربا

وفي يوليو سنة ١٩١٤ زار بطرسبرج ووثق عرى المحالفة مع روسيا وبينما هو عائد منها الى فرنسا فوجيء في طريقه بخبر البلاغ النهائي الذي أرسلته النمسا الى سربيا فعجل بالعودة الى باريس وحين وصوله اليها ارسل كتاباً الى الملك جورج الخامس طلب فيه ان تذيع بريطانيا العظمى بياناً صريحاً بأن الاتفاق الودي سيرهن على متانته في ساحة الحرب اذا اقتضى الامر ذلك . وحجته في مثل هذا البيان هو انه يكبح سياسة برلين وفيينا ويرد ساستها الى الصواب

وخدم بلاده في اثناء الحرب بكل غيرة وحمية حتى انه تناسى احقاده السابقة وما زال يسعى حتى عهد الى الميسو كمنصو خصمه في رئاسة الوزارة وكانت ثقته تامة بالفوز النهائي ولم يخافه شك ما في جميع مراحل الحرب وتقلباتها . ولكن الخلاف عا د ف دب بينه وبين الميسو كليمنصو في اثناء عقد معاهدة السلم وتجددت خصومتها القديمة حتى اصبحت اشبه بالعداوة

وانتهت رئاسة الميسو بوانكاره للجمهورية في سنة ١٩٢٠ اي بعد سبع سنوات خدم فيها فرنسا اصدق خدمة وبعد اعتزاله للرئاسة انتخب عضواً في مجلس الشيوخ عن مقاطعة الموز وفي يناير سنة ١٩٢٢ سقطت وزارة بريان فألف صاحب الترجمة وزارته الاولى بعد الحرب وتقلد



ريمون پوانكاره
Raymond Poincaré

امام ص ٣٤٥

مقتطف نوفمبر

رأس الوزارة ووزارة الخارجية وكان من أهم ما سعى إلى تحقيقه في هذه المرة إكراه ألمانيا على الوفاء بعهودها من جهة التعويض وانقضت السنة الأولى من وزارته من غير أن يوفق إلى الاتفاق مع بريطانيا العظمى في هذا الصدد لتباين آراء رجال الحكومتين . وعقد مؤتمر الحلفاء في لندن في أغسطس وديسمبر سنة ١٩٢٢ ومن غير أن يصل إلى نتيجة ما وعقد مؤتمر آخر في باريس في ٢ و ٥ يناير ولكن المسيو بوانكاريه رفض الاقتراحات التي عرضها المسيو بونارلو

وفي خلال ذلك قررت لجنة التعويض ما عدا المندوب البريطاني أن ألمانيا قصرت في القيام بالتزاماتها فيما يتعلق بتسليم الفحم والكوك فاتفق المسيو بوانكاريه مع البلجيكي على احتلال الرور وكان الغرض الأول من هذا الاحتلال أن يكون وسيلة للمراقبة ولكن لما اشتدت مقاومة الألمان السلمية اقتضى الحال أن يضع الفرنسيون والبلجيكيون يدهم على سكة الحديد ويشغلوها وجعلت مناجم الفحم والحديد أيضاً تحت إشراف فرنسي وبريطاني . وانتهت المقاومة السلمية في الخريف وانتظر بوانكاريه أن يعرض الألمان اقتراحاتهم في مسألة التعويض فلم يفعلوا وحينئذ عمل بما اقترحه أميركا وهو أن يعهد إلى جماعة من الخبراء في تدبير حل لمشكلة التعويض فأفوض بحسبهم إلى وضع مشروع داوز غير أن بوانكاريه عقد العزم على أن لا يجلو عن الرور إلا بعد أن يرتاح إلى حسن سير هذا المشروع في مراحل تنفيذه الأولى على الأقل

وواجهته في الأشهر الثلاثة الأولى من سنة ١٩٢٤ أزمة مالية نشأت من اختلال الميزانية وسير سعر القطع ولقي صعاباً حمة في حمل البرلمان على الموافقة على فرض ضرائب جديدة فتمكن بهذه الوسيلة وبما أبداه من الحزم واصله الرأي من اصلاح الحالة وتفريح الأزمة ولكن المعارضة اشنت عليه بعد ذلك من جانب الراديكاليين والاشتراكيين وجرت الانتخابات العمومية في مايو ١٩٢٤ ففاز هذان الحزبان بعد ائتلافهما بالأكثريه ولما اعلنت نتيجة الانتخاب قال بوانكاريه انه يستقيل في اليوم الذي يجتمع فيه المجلس الجديد وقد استقال فعلاً في اول يونيو من تلك السنة

وعاد إلى مجلس الشيوخ ولم يشترك بعد ذلك في المناقشات السياسية إلا غراًراً ولكن البلاد وقعت في صيف سنة ١٩٢٦ في أزمة مالية اقامت الشعب الفرنسي واقعدته وعجزت الوزارات التي تعاقبت عن درء خطر هذه الأزمة فزادت الحالة ارتباكاً وتعقدت الأمة الفرنسية حولها فلما تجد من ينقذها من هذه الورطة فلم تر سوى بوانكاريه وبعد سقوط وزارة بريان وكايو التي عاشت اسابيع معدودة وسقوط وزارة هريو التي لم تعمر سوى بضع ساعات دعا رئيس الجمهورية المسيو بوانكاريه لتأليف الوزارة فألفها في يوليو من تلك السنة من الجمهوريين والراديكاليين والاشتراكيين وكان أهم اغراضها تثبيت المالية الفرنسية وتوطيد دعائمها بالسير على خطة وطنية موحدة فلما ان الرأي العام إلى هذه الخطة وخف ما استحوذ عليه من الذعر كثيراً . وفي أغسطس دعت الوزارة الجمعية العمومية الوطنية للانعقاد في فرساي للموافقة على مواد بالنشاء مال استهلاك يعمل من تلقاء

نفسه وتخصص له الإيرادات من رسوم الارث واحتكار الدخان وغيرها من الإيرادات وادماج تلك المواد في صلب الدستور حتى لا تكون عرضة للتغيرات السياسية وتضارب آراء الاحزاب وفي أقل من ثلاثة أشهر وفق الى رفع سعر الفرنك من ٢٦٤ فرنكاً للجنيه الاسترليني الذهب الى ١٢٤ وقد تمكن من تقرير السعر الاخير في ديسمبر سنة ١٩٢٦ وظل هذا السعر ثابتاً لم يتغير وقضى بوانكاره سنة ونصف سنة وهو يواصل المساعي ويبدل الجهود حتى أعاد الموازنة الدقيقة الى الميزانية الفرنسية فتيسر للحكومة المحافظة على سعر الفرنك في حد الرقم الآف الذكر (١٢٤ فرنكاً للجنيه) ان لم يكن رسمياً فواقعياً

وجرت الانتخابات العمومية في ابريل سنة ١٩٢٨ فكانت اكثرية النواب راضية عن سياسته وفي يونيو من تلك السنة وافق المجلس الجديد ومجلس الشيوخ على قانون بتثبيت الفرنك رسمياً بسعر ١٢٤ فرنكاً للجنيه الاسترليني فانتهت بذلك ازمة الفرنك وكان نجاح بوانكاره في انهاء أبلر عمل سجل في التاريخ عن سياسة النقد

غير ان الائتلاف بين الجمهوريين من جهة والراдикаليين والاشتراكيين من جهة اخرى لم يعمر طويلاً فانسحب الحزبان الاخيران بمساعي كايو من الصفوف المؤيدة للوزارة وانضما الى صفوف المعارضة لها فخلدت في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٨ ولكن بوانكاره عاد فألف وزارة جديدة في ١٢ منه ولكنها لم تعمر طويلاً. وفي سنة ١٩٣٢ وافق البرلمان الفرنسي على قانون « تقدير الوطن » وهو يقضي بمنح كل رئيس جمهورية سابق يرى مجلس النواب أنه يستحق تقدير الوطن معاشاً سنوياً قدره مائتا ألف فرنك وقرر في الوقت عينه ان من الرؤساء السابقين الذين يستحقون هذا التقدير المسمى بوانكاره

واعترل المسمى بوانكاره السياسة ولكنه لم يكن يقعد عما يراه محققاً بمصلحة فرنسا بل كان يفاوض رئيس الجمهورية ورجال الوزارة في مثل هذه الامور ويرشد هم الى مواطن الخطأ او الضعف ولا سيما في السياسة الخارجية. وأصيب في السنوات الاخيرة بمرض اقعه عن العمل الا عن التأليف وللمسمى بوانكاره غير مقالاته الكثيرة في الموضوعات القانونية والسياسية والادبية مؤلفات أخرى أشهرها كتابه « في خدمة فرنسا — مذكرات تسع سنوات » وهو يقع في عشرة مجلدات تضمنت وصف سير الحوادث التي كان له نصيب فيها بين سنة ١٩١١ وسنة ١٩٢٠

وما يؤثر عن امرة بوانكاره انها انجبت نخبة من رجال العلم والفضل كان في مقدمتهم المرحوم جول هنري بوانكاره ابن عم صاحب الترجمة فقد كان من اكبر علماء الرياضيات الذين عرفوا في جميع العصور ومعدوداً في منزلة نيوتن في بحوثه الرياضية والطبيعية

نفسية شعب اليابان

[ترقب اميركا شؤون الشرق الاقصى بشيء كثير من العناية والقلق ثم هي لا تني عن تأكيد موقفها هناك وهو انها لا تعترف بمعامدة او حالة راهنة تمت بوسائل مناقضة لروح عهدة كلوج بريان - عهدة باريس التي تحرم الحرب - وقد شرعت من عهد قريب ، في تجديد اسطولها ، حتى يصبح في المكنانة التي تسمح لها به المعاهدات البحرية . فاليابان ازاء ذلك قلقة ، متحدية ، متحيرة ، فما هو موقف الشعب الياباني نحو اميركا ماذا يظنون فيها من الظنون وما يخشونه منها]

❖ حياة مزدوجة ❖ ان ياباني اليوم يعيش عيشة مزدوجة ، فقدم في الحياة اليابانية القديمة الزاهية الالوان ، حياة الآباء والاجداد المنحصرة ضمن نطاق ضيق من المطامح والمصالح ، وقدم اخرى في حياة القرن العشرين ، حياة السياحة ، والانباء البرقية ، والصناعة الآلية ، والتجارة الدولية ، والاقتصاد الرأسمالي الذي ينزع الى البسطة والتوسع

خذ اية صورة في متناول يدك لوزارة يابانية ، تتبين فيها صحة ما نقول . انك ترى فيها طائفة من مدبري شؤون الامبراطورية في ملابس على احدث الازياء الرسمية الشائعة في اوربا واميركا ، و ترى طائفة اخرى في ملابس اجدادهم الاقدمين . فالجنرال اراكى وزير الحربية اليابانية سابقاً وزعيم اليابان العسكري او زعيم الروح العسكرية فيها ، يرتدي اللباس العسكري المصنوع من قماش « الكاكي » في مكتبه ، فاذا فاجأه أحد الصحفيين او المصورين ، في داره ، رأوا ان اللباس العسكري قد زال ، وحلت محله الملابس الواسعة المتدلية ، الزاهية الالوان ، التي تراها في الصور المأثورة عن اليابان

وما يصح على رجال الدولة وزعماء الامبراطورية من هذا القبيل يصح كذلك ، على شؤون الحياة العادية الصغيرة والتافهة . ففي الدار اليابانية اليوم جناح من الغرف الاجنبية - قد يكون الجناح غرفة واحدة او بضع غرف - يحتوي على موائد وكراسي وطنافس ، كما تراها في نيويورك او باريس ، ولكن بقية البيت يابانية محضة فأرض الغرف مغطاة بحصر ذهبية اللون ، لا تحدث صوتاً ، اذ تمشي عليها ثم هي خالية من الاثاث ، الا من موقد وطبق وبضع وسائل

او خذ رجل المال والتجارة والعمل . فانه يقضي نهاره في مكتبه على كرسي دوار ، بين الآلات الكاتبة والتليفونات ، والفتيات المختزلات ، وقد يتناول طعام الغداء في ناد نخم ، ويستريح قليلاً بعد الغداء بسماع خطبة لاسلكية في موضوع يهمه ، ولكن اذا انقضى عمل النهار عاد الى داره واستحم في حمام خشبي فيه الماء الساخن ، والبخار يعقد فوقه غيوماً كالحمام التركي ، ثم هو يرتدي الملابس الحربية الفضفاضة ، ويأكل طعاماً يابانياً وهو جالس على الارض الى مائدة لا تعملوا اكثر من قدم واحدة عن سطحها . اما بناته اللواتي قضين النهار في مدارسهن او اعمالهن يرتديات الملابس الرسمية

فيحطن به مساء في «كيموناهن» الفضاضة الزاهية، يهزجن ويضحكن وهن يفجن شذا الشباب الياباني عند ما يعود من مكتبه الى داره، كأنه ارجع عقرب الساعة التاريخية، مائة سنة الى الوراء، ارتد من الحضارة المادية التي اخذ بها - ولكنه لا يجد فيها راحته - الى حضارة لم يبق منها الا بعض هذه الآثار التي يتمتع بها. ولكنه مع ذلك يتمتع بكل ما يستطيع ان يتمتع به، فالصحيفة التي قرأ فيها صباحاً اسعار بورصات العالم، يقرأ فيها مساء قصة من عهد الفروسية اليابانية القديمة، فاذا خرج بأفراد الاسرة الى دور السينما، وجد أمامه في ناحية أفلام هوليوود أو أفلام اليابان الجديدة التي تفتني أثر هوليوود، وفي ناحية أخرى الروايات القديمة حيث لا تدخل البواعت الجنسية على حياة قائمة في صميمها على الاخلاص والامانة. ان الروايات التي من هذا القبيل في اليابان تفوق الروايات الاخرى جميعاً مرتين على الاقل

﴿ الجذب والدفع ﴾ هذه الثنائية او هذا الازدواج في حياة الياباني، حيث يمزج تياران مختلفان كل الاختلاف، يتمشى في مختلف نواحي الحياة اليابانية، وتستطيع ان تتبينه، في موقف اليابان نحو اميركا. قال الكاتب - هيو بياس ونظنه يابانياً تعلم في اميركا ويكتب الصحف الكبرى وعليه نعتمد - انه كان ماشياً في طوكيو في ليلة من ليالي الخريف، فسمع اصوات شبان وشابات يتكلمون الانكليزية بغنة اميركية فالتفت دهشاً فالتقى بنظره على المطعم المنير، حيث الصوت الذي استرماه، فوجد نحو ستين او سبعين من الشبان والشابات، جلوساً في غرفة، وقد أزيل من وسطها كل أثاث توطئة للرقص وكانوا جميعهم يابانيين

كان هذا الجمع، من اليابانيين المولودين في اميركا او الذين تلقوا علومهم هناك، ثم عادوا الى وطنهم، فلما حدثهم الكاتب، قالوا له ان الآراء الشائعة في الاوساط اليابانية عن الحياة الاميركية مستمدة من مشاهدة الافلام الاميركية، وهذه لا تمثل الحياة الاميركية الصحيحة، او هي تمثلها تمثيلاً مشوهاً كل التشويه. والطريقة الوحيدة لتصحيح هذه الآراء، هو تدبير سهرة برئة على الطريقة الاميركية لكي يفهم اليابانيون ما يقصد «باللهو» Good Time في اميركا، فالذين يريدون ان يفهموا اميركا على صحتها، ليشرفوا سهرتنا

والغريب الذي يبعث على الدهشة، انه في المدة التي كان هؤلاء الشبان يسعون هذا السعي الصالح، كان في اليابان توجس شديد من اميركا، بل ان السياح الاميركيين كانوا يرون عقبات كبيرة في سياحتهم في اليابان، لان اليابانيين كانوا يظنون كل ساح اميركي جاسوساً يحمل في طيات أثوابه الوسائل التي تستبجح أسرار اليابان الحربية. ويقال ان جماعة من السياح، كانوا يطوفون منطقة جميلة، فكان البوليس يعترضهم ثم يفرج عنهم، فطلبوا اخيراً من ادارة البوليس، ان يرافقهم أحد رجال البوليس، من منطقة الى المنطقة التي تليها فيسألهم للشرطي التالي ويقول له انه لا غبار عليهم فلا يعترض سبيلهم بعد ذلك

أمر غريب في القرن العشرين ! كان السياح يطلبون عون البوليس ضد قطاع الطرق في البلدان التي فقد فيها الامن . اما في اليابان ، في تلك الفترة ، فاضطرت هذه الطائفة من السياح الاميركيين ان تطلب معونة البوليس ، للحماية من البوليس !!

وأغرب من ذلك القصة التالية : ذلك ان لاهد بنوك نيويورك مكاتب في اليابان . وهذا البنك طلب الى فرع في اوسا كا ان يجمع له بضع صور فتوغرافية لاهم مباني اوسا كا يستعملها في مجموعة تبين سعة نطاق الاعمال المالية التي يقوم بها البنك . فاستدعى المدير مصوراً يابانياً وطلب منه ان يصور له بناية المحافظة والبورصة وغرفة التجارة وغيرها ، فرأى أحد رجال البوليس المصور وظن ان هذه الصور سوف يستعملها سلاح الجو الاميركي ، اذ يهاجم اليابان ويحاول ان يلقي القنابل على اوسا كا فقبض عليه وحقق معه . ولما كان المصور في حدود القانون ، أخلي سبيله ، ولكن القصة تسربت الى الصحف فهول بها ، وهي بنفسها تبين لك ناحية من نفسية اليابان في اوقفها نحو اميركا

ان التوجس من التجسس امر طبيعي في بلاد كالـيابان . فوظفو الحكومة يراقبون للتثبت من انهم يقومون بأعباء مناصبهم ، والرعية راقب للتثبت من ان افرادها لا يأتمرون بالحكومة . فاذا جاء اجنيبي للسكن في اليابان ، زاره رجل من رجال البوليس فيدون اسمه وجنسه وعمره ومسقط رأسه ورعيته واسماء والديه ووالدي زوجته وفي كل شهر يعود رجل البوليس ولو أقام الاجنيبي عشرين سنة في اليابان لكي يتأكد من صحة المعلومات التي دونها ، ولكنه في زيارته التالية لا يقلق الاجنيبي بأسئلته بل يكتفي بسؤال الخادم

أما الذين تطول اقامتهم ، فيتعودون مجيء رجال الشرطة لسؤالهم عن اسمائهم واعمارهم ورعويتهم ومن أين قدموا والى أين هم ذاهبون ، فيردون عليهم بمثل الادب الذي توجه به الاسئلة اليهم ، بعضهم في طريقهم

واما الذين يكونون حديثي العهد بالاقامة في اليابان ، فيحنقهم مثل هذا التصرف ، واذا كانوا اميركيين اعتبروه اهانة موجهة الى كرامة دولتهم . فاذا أساء احد الموظفين الصغار ، لجهل بلغة الاميركيين ، جهل الاميركيين بلغة اليابان ، جعلت الحبة قبة ، وذهب الاميركي الذي يعتبر نفسه قد أهين ، لا يحمل لليابانيين الا الحفيظة والا الضغينة

وقد يكون توجس اليابانيين من التجسس ، واشتدادهم في الاقتصاص من الذي ثبتت عليهم التهمة ، او في معاملتهم المشبوهين حتى تثبت براعتهم باعناً على جفاء الصلات بين اليابان واميركا . في مثل هذه الحال يخطر لبعض الموظفين او الزعماء ، ان اميركا تبغي التجسس على اليابان وهو لا يدري ان المرسل او السائح العادي المتجول للتفرج يندر ان يتمكن من جمع الحقائق الحربية في خلال تجوله

ولكن الظاهر ، انه اذا أصيبت أمة بداء « التوجس من التجسس » فقدت بوجه عام نظرها السليم ، وحكمها الصائب

اما الاميركيون في اليابان فيصابون بداء مختلف عن داء « التوجس من التجسس » الذي يصاب به اليابانيون . يخوف اليابانيين من تجسس الاميركيين عليهم دائماً ، ولكن الاميركيين يفتنون اليه في بعض الاحيان فجأة كأنهم كشفوا شيئاً جديداً خطيراً ، فيروحون يروون الروايات عما أصابهم وأصاب أصدقاءهم منه ، ويتخذون من ذلك دليلاً على ان اليابانيين يمتقنون الاميركيين . فاذا صدقوا ما يقولون ، فليس أسهل عليهم من ان يعتقدوا ان الحكومة اليابانية من وراء هذا كله ، وانها هي التي تدفع رجال البوليس ليعترضوا سبيل السياح الاميركيين . فيحاولون ان يثيروا الرأي العام على موقف اليابان وسياسة اليابان وعلاقة الحكومة الاميركية باليابان

❖ لمحة تاريخية ❖ ظلت علاقات اليابان بأميركا خلال ثلاثين سنة ، بعد ما دخلها الكومندور ييري الاميركي . في اواسط القرن التاسع عشر ، متصلة بأميركا صلة يفوح منها عطر الصداقة والولاء . ان تلك السنوات تركت في نفوس شبان ذلك العصر - وقد اصبحوا كهولاً وشيوخاً الآن - اعتقاداً عميقاً بأن أميركا دولة تسعى الى الغايات والمثل العليا . لذلك كان الاخلاص قوي الصلة بين اليابانيين والاميركيين . وهذه الصورة الراسخة في أذهان الكهول والشيوخ عامل فعال في تسهيل الأمور اذ تتعقد بينهما ، في عصر خرجت فيه اليابان من طور الشباب والتململ لأمركا وأصبحت دولة قوية لها مطامع الدول القوية ومصالحها

وقد كتب الرئيس فرنكلن روزفلت ، من بضع سنوات مقالاً أثبت فيه ان تغير موقف اليابان نحو أميركا يرجع الى حين احتلت أميركا جزائر الفلبينيين . عندئذ بدأت الدوائر الحربية والبحرية في أميركا تتحدث في موضوع الدفاع عن هذه الجزائر ، والوسائل لذلك الدفاع ، حالة ان اليابان ، لما رأت أمة غربية تقتحم جيرتها الجنوبية ، استعصمت هذا الاقتحام في الدعاية لزيادة أسطولها على ان الغرض من استعداد اليابان الحربي والبحري حينئذ لم يكن أميركا ، بل روسيا . ولما نشبت الحرب بينهما في مطلع هذا القرن كان موقف الرئيس تيودور روزفلت ، موقف عطف على اليابان حينئذ

فلما وقعت الحكومة الصينية ، معاهدة سنة ١٩١٥^(١) التي اجابت بها مطالب اليابان الصارمة ، اعلنت حكومة الرئيس ولسن ، انها لا تعترف بأي تغيير ، تحدته المعاهدة يضر بمصالح أميركا . فلما حاول الرئيس ولسن ، في مؤتمر الصلح ، ان يخرج اليابان من شانتونغ (وهي منطقة في الصين كانت ملك المانيا قبل الحرب ، وانتزعتها منها اليابان خلال الحرب ، ولها شأن تجاري وحربي) ظن

(١) معاهدة عقدت بين اليابان والصين بعد اندار نهائي من جانب الاولى ، سلمت الصين بمطالبة مرغمة ، وهي ٢١ مطلباً من شأنها تثبيت قدم اليابان على البر الصيني

الاميركيون ان ما يفعله ولسن ، انما هو حب بالانسانية وبمساعدة الصين على تحرر نفسها ولكنه كان في الواقع خدمة لمصالح التجارة الاميركية في الشرق الاقصى . اما اليابانيون فحسبوا ذلك تعدياً وتدخلًا في منطقة من الشؤون ترجح فيها مصالحهم على مصالح اميركا . فلما عقد مؤتمر وشنطن البحري ، وعاد المستر هيوز - وزير خارجية اميركا حينئذ - الى الموضوع واقنع اليابانيين بأخلاء شانتنغ والغاء معاهدتها مع انكلترا لقاء معاهدتين عقدتا بين الدول ذات الشأن على الاحتفاظ بوحدة الصين وسياسة الباب المفتوح ، ثبت لاميركا حق التدخل في شؤون الشرق الاقصى

اما في العهد الحديث فقد راقب اليابانيون ، باهتمام وحذر ، تدخل المستر ستمسن (وزير خارجية اميركا في عهد هوفر) في موضوع الخلاف على منشوريا . فالمستر ستمسن ، كان يدافع عن حرمة المعاهدات المعقودة ، والسلام العام . ولكن اليابانيين ، لشدة انشغالهم بمكافحة المظالم التي يشكون منها ، لم يروا ان اثبات حقوقهم ، في بلاد تجاورهم ولكنها عرضة للفوضى المستمرة ، من طبيعته ان يقلق السلام العالمي . انهم لم يدركوا ، ان الاميركيين لاتهمهم منشوريا ، بقدر ما يهمهم تنظيم السلام العام في الشرق الاقصى حتى تبقى سبل التجارة ميسرة فيه . فخطت وزارة الخارجية الاميركية ، كانت من قبيل التدخل في شؤون الشرق الاقصى ، الذي ايده المستر هيوز ، بمعاهدات ١٩٢٢ اذ اقنع اليابان بالخروج من شانتنغ والغاء معاهدتها مع انكلترا وهذا ما يرفضه الياباني الآن ان جماعة الشبان والشابات اليابانيين الذين كانوا يحاولون ان ينشئوا برفضهم حلقة بين اميركا واليابان ، والحوادث التي قبض فيها على اميريكيين بتهمة التجسس ، يمثلان قوتي الجذب والدفع بين اميركا واليابان ، حيث تتوافر المعرفة الشخصية تعقد اواصر الصداقة والثقة والعطف . اما حيث تقتصر العلاقة على الاعمال الرسمية وخطب رجال السياسة في المواقف العامة ، وجهل صغار الموظفين وتسرع الصحف بمجد التوحش والحذر والريب

الحرب والاشاعات ❀ في ظل هذا التوتر في الصلات الاميركية اليابانية ، بدأ الهمس بحرب تقع في المحيط الهادي . ثم ارتفع الهمس اذ اقدمت اميركا على زيادة اسطولها حتى يصبح حيث تسمح لها به المعاهدات البحرية المعقودة . هنا يتمهد الميدان لاصحاب « العلم اليقين » من مروجي الاشاعات . قال المستر هيوبياس انه قبيل كتابة مقاله ، جاءه اميريكي سأل هل صحيح ما يقال في هنولولو (عاصمة جزائر هواي وهي جزائر تابعة لاميركا في وسط المحيط الهادي) من ان اليابان تستعد لغزو هذه الجزائر . وان هذه الغزوة سوف تكون المرحلة الاولى في حرب اليابان مع اميركا . وقال كذلك انه قيل له ان اميركا محتفظة بأسطولها على قدم الاستعداد للنزال في المحيط الهادي استعداداً للطوارئ وان ٢٧ الفا من الجيش سوف يضمون قريباً الى حامية الجزائر

وما يقال في الناحية الاميركية يقال في الناحية اليابانية ، فقد زار احد الاميركيين اليابان حديثاً وتعرّف الى اعلى طبقاتها الاجتماعية ، فلاحظ ان كل حديث مع كل ياباني كان يدور حول السؤال الآتي : « هل تقصد اميركا ان تحارب »

ان اليابانيين يسألون ، لماذا تريد اميركا أن تتدخل في شأن منشوريا ، وهي التي فصلت في مشككتي كوبا وبناما بالقوة المسلحة . فاذا اجيبوا بان حل المشككتين الكوبية والبنامية بالقوة تم قبل عهدة كلوج ، وان حل مشكلة منشوريا بالقوة تم بعدها ، قلب الياباني شفته ولم يزد . ولسان حاله يقول : « لماذا لا تتركونا وشأننا . اننا لا نتدخل في شؤونكم في اميركا . فلماذا تريدون أن تتدخلوا في شؤوننا في منشوريا »

﴿ حيرة الياباني ﴾ لذلك ترى الياباني متحيراً ، لان الامة التي كان لها اكبر وأوسع نفوذ ثقافي في ترقية بلاده ، هي البلاد التي تتصدى له وتقف في وجهه إذ يحاول ان يوسع ملكه الضيق . ان البلاد التي يعجب بها كل الاعجاب ، ومحسب وسائلها واساليبها آخر وأرقى ما أبدعه الانسان ، هي البلاد ، التي يخشاها اكثر من جميع البلدان . ويزيد هذه الحيرة اثرأ في النفس ان الامة التي تقف في سبيله ، هي اغنى امة على وجه الارض ، غنى فعلياً ، وغنى كامناً ، وان بلاده ، هي بالنسبة الى كثرة سكانها ، وجفاء ارضها ، أفقر الامم

لذلك يجب ان تذكر المصاعب التي تواجهها اليابان ، إذ تعدّ أخطاءها ولكن اذا كانت اليابان قد اتخذت خطة خطيرة ولم تحسب حساباً لاحد — اي مغامرتها في منشوريا — فيجب ان نذكر ، ان اليابان كانت قد بلغت في حراجه موقفها الاقتصادي حد اليأس . ان حالة الصين — بلاد سكانها نحو ٤٠٠ مليون نسمة — المضطربة تثير المخاوف . ماذا تفعل اميركا ، لو كانت الصين مكان كندا ؟ او لو كانت كندا كالصين ، قلقة مضطربة ، فيها بذور الفوضى والثورة والانقلاب ، كالمارد لا تعرف ما تكون الخطوة التالية التي تتخذها

لا ريب ان في خطة اليابان خطراً على السلام في الشرق الاقصى ، ولكن اليابانيين يحيرهم ، ان المصاعب التي يواجهونها ، لم تدرس بعطف ، وان الاعمال الجليلة التي اتموها ، لم تقدر التقدير الجدير بها . انهم يرون انفسهم بلاداً ، تحترم الملك الخاص ، والامن العام ، وتنفيذ القانون ، وتحمي الحرية الفردية ، وتؤيد التعليم العام ، ودستورها مبني على اصول برلمانية ، أي انها تحترم المبادئ الاساسية التي تحترمها اميركا . ثم هي ترى نفسها العنصر الوحيد المستقر في قارة ضربت فيها الفوضى — فيدهشها ويؤسفها ان لا تحسبها اميركا الا « الولد الشقي » الذي يجب ان ينهر او ان يؤدب

١- جنة العاملين

لرابندرانات طاغور

كان صاحبنا لا يدين ابداً بشمرات العمل ، فطفق ينغمس في بدوات من جنونه اذ لم ير عملاً نافعاً يعملهُ.... واخذ نفسه بعمل الدُمى الصغيرة في صور رجال ونساء وقلاع ، واخرى من أواني الفخار مرصعة بأصداف البحر ، وكان حيناً يصوّر بألوانه ما شاء ، وبذلك اضاع ايامه فيما لا يجدي ولا ينفع . وقد أثار الناس حتى سخروا منه . فكان يعقد العزم وينذر على نفسه ان ينفض من رأسه هذه البدوات الخبولة ولكن هذه البدوات ما كانت لتدعه وما إن زال متعلقة به

ان بعض الصغار لا يقرأ من كتبه شيئاً ولكنه مع ذلك يجتاز الامتحان وكذلك كان أمر صاحبنا فإنه أنفق عمره على الارض فيما لا يجدي وحين فاضت روحه فتحت له أبواب السموات . ولكن القدر يجري حتى في السموات ، فقد حدث ما حدث فان الروح الذي وكل به اخطأ القصد وانزله في « جنة العاملين »

وانك لتجد في هذه الجنة كل ما تتوهمه الألفراغ ، فهناك يقول الرجال « ربنا ما لنا من ساعة نستريح اليها » وثم النساء يقلن « الوحى الوحى . يا أحبابنا — فان الزمن يطير » والجميع يقولون « الزمن غال ثمين » ان أيدينا لا تخلص ساعة من اعيالها ، وإنا لنستفيد من كل دقيقة بالعمل « ثم يتنفسون الصعداء ، وقد كانت هذه الكلمات نفسها تشعرهم اللذة والسعادة

ولكن هذا الواغل — الذي صرف كل حياته على الأرض خليلاً لا عمل له — كان شذوذاً في اسلوب الحياة في « جنة العاملين » فتقاذفته الطرق هائماً مذهوباً بعقله يصطدم بالرجال الدائبين على عجل ، وكان حيناً يلقي ببذنه على نبات الارض فيسلقه الزارعون بالأسنة حداد اذ كان أبداً لقي في طريق غيره

وثم كانت تمر فتاة يجري بها الدؤوب ويستفزها النشاط — لثلاً ابريقها من مندفع سيل (وقور صامت) — سيل صامت وان السيل في « جنة العاملين » ليأبى ان تضيع اسباب نشاطه في التصويت والطرب

وكانت خطوات الفتاة على الطريق أشبه شيء بالحركة السريعة من بنان ماهر بارع على اوتار قيثارة ، وكان شعرها مرسل في غير عناية وترى خصلات منه يفيقها النسيم على جبينها وكأنها تشرف على سحر نظرات عينها

وكان هذا الفارغ الخلي واقفاً على النبع لا حراك به . وكما ترى الملكة من خلال

النافذة سائلاً منبوذاً فتأخذها الرحمة فكذلك رأت الفتاة الالهية هذا الخلي فأخذتها الرحمة . فسألته : « ها . أما لك عملٌ بين يديك تعمله ! »

فأرسلها صاحبنا زفرة « عملٌ ! ما اجد من ساعة افرغ فيها للعمل »
فخارت الفتاة في معنى ما يقول ثم قالت « لئن احببت لأهين لك عملاً تعمله »
قال « يا ابنة السيل الصامت . هل لك ان رمي اليّ باريق من اباريقك ؟ »
« ابريق ... ! اتودُّ ان تستقي من مجرى السيل »

« لا بل أودُّ ان اصور على ابريق بعض التهاويل »
فبرمت به الفتاة وقالت . « ما اجدُ لي ساعة اضيعها مع مثلك ، لأدعّك »
وتركته وسارت لطيتها . ولكن — كيف يعملو انسان عامل بالغلبة على من لا عمل له ؟
وجرى الزمن وهما يلتقيان في كل يوم وفي كل يوم يقول لها « يا ابنة السيل الصامت ارمي اليّ باريق من اباريقك لأصور عليه بعض التهاويل » واخيراً لان له قلب الفتاة ، ورمت اليه باريق وبدأ صاحبنا يصوّر ، واخذ يمدُّ خطاً بعد خط ويضع لوناً الى لون فلما فرغ رفعت الفتاة باريقها ومدت اليه عينين ملوئهما الخيرة والعجب وقوست الدهشة حاجبها ثم سألته : « اي معنى رمي اليه هذه الخطوط الكثيرة وهذه الالوان العديدة ثم ما الغرض منها ؟ » ثم حملت اباريقها وولّت ، وفي دارها — وقد بعدت عن العيون المتجسّسة — رفعت ابريقها الى الضوء وادارته يمنة ويسرة تنظر الى الصورة من كل ناحية . وحين ارخى الليل سدوله قامت من مضجعها ، واشعلت نبراسها وحدجته بالنظرات في صمت وحيرة . ولأول مرة في حياتها ترى ما لا معنى له ولا غرض منه وفي اليوم التالي نهضت الفتاة الى عملها والعجل الذي كان يمدُّ خطواتها قد بدأ ينقص اذ ثارت في ذهنها الافكار التي لا غرض لها ولا معنى فيها

فلما بلغت موضع مسيل وجدت هذا الفارغ الخلي هناك فسألته مغیظة محنقة « ويلك ايها الرجل ... بل ماذا ... ماذا تبتغي مني ؟ »

« ما ابتغي شيئاً الاً عملاً اظفر به من يديك » « واي عمل تريد ! »

« ذريني انسج لك عصصاً ملوناً تعصبين به شعرك ، ان بلغت بهذا رضاك »

« ولماذا ... !! » « لا لشيء »

وصنع لها العَصَصُ يزهرُ بألوانه ... وهنا اخذت الفتاة الدائبة في جنة العاملين تنفق اوقاتها كل يوم في وضع هذا العَصَصِ على شعرها ، وفرت الساعات وراءها الساعات ضائعة مضيعة ، وبقي عمل على عمل لم يتم . وبقيت الاعمال في جنة العاملين ناقصة

من ذلك الوقت ، واصاب الفتور كثيراً ممن كان قبل لا عِسةُ نصب ولا لغوب واضاعوا الساعات الغالية فيما لا ينفع كالتصوير وصنع التماثيل
قلق شيوخ الجنة ودعوا الناس اليهم وأجمعوا الرأي على ان هذا حدث عجيب لم يسبق له مثيل في تاريخ هذه الجنة . وبينما هم كذلك اذ اقبل الروح الذي وُكِّل بصاحبنا وانحنى للشيخ اجلاًلاً وأقر بما فعل . « اني اتيتكم خطأ برجل تقع عليه وحده تبعات هذا الحدث » فنودي به فدخل ورأى الشيوخ بزته العجيبة ، وآلات تصويره ، ولفائف صورهِ التي في يده ، فقرر في أنفسهم ان ليس مثل هذا من رجال جنة العاملين فقال له الرئيس متجافياً مستغلاً : « ليس هذا مكانك ايها الرجل ، فهلك ان ترحل عنا لساعتك » فأرسلها صاحبنا زفرةً وجمع أدواته وآلته وهمم وبيناهو على نوى الرحيل اذ جاءت « ابنة السيل الصامت » من اقصى الجنة تسمى « تَلَسَّبَتْ قَلِيلاً ، فَأَنَا أَيْضاً رَاحِلَةٌ مَعَكَ » . فأخذ العجب كل مأخذٍ من الشيوخ فما جَرَى يوماً ما في جنة العاملين حدث كهذا لا غرض له ولا معنى فيه

٢ — الفارسي ، ينأهى شاعره

لترشد لا غالين

ويحك ، ايها الشاعر ، اما يلتفض بك الحسُّ اذ تجدني اضم الى قلبي اغاريدك ، وان انت الّا رِمتَ وتراب ، وحين آوي بها مع الليل الى وسادي اقبلها قبل ان يعقد الكرى اجفاني ثم اصبَحَها بقبلة على وجه الفجر الندي حين يستشرق من وراء الليل ويحك ، أما اني لادع الشمس تفيض على صفحاتها من ضوئها الطهور ، واهبها لنسمات الفجر ترتاح بين اوراقها كما ترتاح بين اوراق الورد واني لأحمل ديوانك بين يدي فأدسُ وجهي في صفحاته كما دفنته بالأمس في فؤاد زهرة ندية كلاً بل فيما هو اعزُّ منها ومن فؤادها مكاناً وأشهى تعلم ايها الشاعر ، ان الوفاً من الوري يحبونك كحي اياك وان الحبيبات ليلغ بك حبهن الى مكان هو فتنة الممتني اسعيد انت ايها الشاعر ؟ وان من امانى حيناً بعد حين ان احى في مثل ما تحي فيه من المحبة والاحدوثة ، ومن افراح قلبي ان اتغنّى بمثل اغانيك ثم اسلم الروح نبني ، ايها الشاعر ، اما تمنحني مجدك هذا وعليّ ان اردّ على بواليك ميعة شبابي ؟ باذلاً لك حياتي وأيامي في ضوء الشمس لاظفر بواحدة من مثل اغاريدك الجميلة

الى طائر صدام

من «قبرة» الشاعر العبقري شلي

[نقل الشاعر على محمود طه المهندس هذه القصيدة الخالدة مراعيًا في
النقل دقة التعبير عن معاني الاصل الانكليزي ومحافظاً على مقتضيات البيان
الشعري العربي وجامعاً ما أمكن بين الاثنين]

من أنت؟ يا من يجوب الليل منفرداً
أيّ الخليقة قل لي انت تشبهه؟؟
وهذه السحب أصبغاً مشكلة
لا ينزل الغيث منها مثلاً نزلت
ولم تقع لي عليه بعد عينا؟
وايها منك في اوصافه داني؟
في رائع من فريد اللون فتان
شتى اغانيك في سحري ألحان

كشاعر في سماء الفكر مختيء
ألحان اغنية امسى يرتلها
أسلن بالعالم السالي خوالجه
بعثن من ألم فيه ومن أمل
دلّ الوجود عليه لحنه العالي
كمرسل من نشيد الخلد سيال
حتى استحال شجوناً قلبه السالي
ما لم يكن منه في يوم على بال

كان حورية في ظل شاهقة
لم يغمض النوم عينيها ولا خمدت
باتت تلطف آلاماً تساورها
تطوف ألحان موسيقاه مخدعها
من البروج تقضي العيش في خلس
نيران قلب لها في خمة الغلس
في عزلة — بنشيد ساحر الجرس
كأنه الحب في ايقاعه السلس

كان بين الرُّبَا التفّت خائلها
يا حسن أجنحة منها مذهبة
تُري السماء صفاء فهي ان خطرت
نجلو الازاهر والاعشاب طلعتها
فراشة من سبيك التبر جلواء
قد رقشتها من الاسحار انداء
فللسماء بهذا اللون اغراء
اذا بدت ولها فيهن اخفاء

كزهرة الحقل في غيناء سرحتها
حتى اذا لفحتها الريح هاجرة
وأرج الحقل من انفاسها عبق
تهفو اليها من السمات أجنحة
لم يملأ النور من أجفانها حدقا
زكت وأربت على املودها ورقا
يشوق كل جناح نحوها خفقا
من كل منطلق من عطرها سرقا

وقع لحنك في الاسحار أرخم من
قد نَقَطَ العشب المنصور سلسله
يا من على صوته في الافق منسجماً
كل البدائع مهما افتن مبدعها

قل لي أمن ملكوت الروح منطلق؟
اي الخواطر من حسن ومن بهج
لم تشرَّب قلوب من اضالعها
حديث حب وخمر بات يسكبه

من أين تلك الاغاني أنت ترسلها؟
من أي فائرة الامواج زاخرة؟
من أي ضاحية الافاق صاحبة؟
وأي حب أليف منك أو وطن!!

وفي منامك والافاق ساهمة
لا بد من نبي للموت تعرفه
لأنت اعظم رأياً في حقائقه
او لا؟ فكيف انسجام اللحن مضطرباً

انا تفكر في ماض بلا اثر
ومستحيل زجتي برق ديمته
وكم لنا ضحكات غير صادقة
وإن أشهى الأغاني في مسامعنا

هبتنا على رغم هذا ليس يجمعنا
فلا القلوب لدى البأساء جازعة
واننا قد درجنا في خليةتنا
فكيف كنا إذا نلقاك في صلة؟

وقع الندى فوق أعشاب البساتين
وجاد بالطل أفواف الرياحين
تصحو الازاهر في أفنانها الغين
لم تعد لحنك في صوغ وتلحين

ام طائر أنت في الافاق هيمان؟
يشيعها منك في الارواح وجدان؟
لغير صوتك او تنصب آذان
من جانب الله انغام والحان!!

من أي مطرد الينبوع منسجم؟
وأي تلك المروج العذبة النسم؟
أي السهولة والاغوار والقمم؟
وأي جهل لما نلقاه من ألم؟

وفي انتباهك والظلمات اصغاء
وفي ضميرك منه اليوم اشياء
مما زاه ونحن اليوم احياء
يحجبه من رائق البلور لألاء؟

ومقبل من حياة كلها غيب
وكل ما زرتجيه منه مختلب
ما لم يشب صفوها التبريح والوصب
ماسال وهو حزين اللحن مكتئب؟

بالحق أو كبرياء النفس أوهاق
ولا بهن اذا روعن إشفاق
بلا دموع تذر بهن آماق
او يغمر الروح لحن منك رقرق؟

يا أعذب الطير موسيقى وأروعها من كل رائق أنغام وألحان
ويا أعز لنا من كل ما جمعت نفائس الكتب من ذوي تبيان
ياما أحق اقتداراً منك قدرته بشاعر لبق التصوير فنان
أنت المبرأ في حب وعاطفة يا من تعاليت عن أرض وإنسان

أما تعلمني مما يفيض به غناؤك العذب تطراباً وتحنا؟
ذاك الجنون الذي يهدي توافقه إلي من صدحات الخلد ألحانا!
أأست تلهمني وحيّاً يفيض به في فأمل قلب الكون إيماناً؟
أشدو فيلقي إلي الكون مسمعه يصغي إلي كما أصغي لك الآن؟

ندامة بعد الموت

لبودلير : عن الترجمة الانكليزية

عند ما ترقد يا طيف جمالي القاتم ، تحت تمثال من الرخام الاسود ، في كهف مخدعك
الرطب ، وتحت قبو مغارة ذلك المأوى ، وعند ما يعصر الحجر الكبير بثقله المروع
جوانب صدرك ، هنالك في خفة حاملة بهجة سيقف ذلك القلب عن ضرباته ورغائبه ،
وهذه الاقدام المتقحمة المغامرة عن عدوها

وهنا — هذا القبر — (يشير الشاعر الى قلبه) الذي ساهمني هو اجسي وأنا
مستغرق في شرودي الازلي ، طيله تلك الليالي ، حيث لا نوم لك بعد الآن ، سيهمس
قائلاً

« لمن وقع هذا الخطي ! ؟ »

« من أنت أيتها الاقدام الفاجرة ! ؟ أنت التي لم تعرفي ما هي دموع الموتى ! ! »

وكوخزات تأنيب الضمير ستمضي الديدان في التهام جسدك

نسيم الى الشرق

[نقله جورج نيقولاوس]

[الآتية « جي » اشهر من ان تعرف . فكتابتها منتشرة في كل صقع . واسمها ملء الافواه والاسماع . ولكن لا نطن ان كثيراً من قراء العربية يعرفون ان هذه النابتة شاعرة فرنسية وكاتبة باغة ابناء السين لا يشق لها غبار . ولذلك ارتأينا ان ننقل لها هذه القطعة وهي من الشعر المنشور ليجتلي القراء محاسن كتابتها الفرنسية ، كما اجتلوا محاسن كتابتها العربية]

ايها الشرق !

يا شرقي الفسيح الجموح اللين العريكة !

يا شرق العظمة واللفظ والشهامة والحماسة والشهوة العاصفة في شدة كسوموم الصحراء !
ان تصوراتي تتمثلك كأنك ضمن إطار . وها هو فكري تتبين له نقائصك
وشدائدك ، واحتياجاتك وتضارب زطانتك . انت فقير بنظمك وترتيبك ومنهاجك ،
انت اعزل قد جردك قضاء الزمن . غير ان معائبك كان فعلها في تجريدك اكثر من
فعل قضاء الدهر وقدره . ان العلوم تنقصك ، ومواردك العديدة المبعثرة متملصة
منك . وانت مُقسَّم لا مجموع لك

اعرف هذا كله . ولكن ثقني بمستقبلك راسخة لا تزعزع ، مثل ثقتي التامة بالحياة
فما هي اذن هذه القوة التي تربطني بك ؟ لماذا يحبب الي من كلامك تلك النبرات
الشجية المتناسقة ، التي تبعث في القلوب الحنين الى الوطن ، وتلك اللهجات الحلقية
السريعة ، وتلك الصيحات الداوية بخيلاء الجنس ، التي تنشر إيقاد مناطقك الحارة ؟
ما هي تلك المجانسات العديدة الفاتنة غير الممسوكة ، التي تربطني بشعوبك
المتراكمة في بلدانك الكبيرة ، وفي ظل طلولك المجيدة وآثارك الخالدة ، كما
تربطني بأعرايك الرُّحل الذين يتفياؤن الخيام في صحاريك القاحلة المجدبة ، وبالقبائل
المبعثرة على ضفاف انهارك او المتجمعة حول ينابيعك ، وبالقوافل التي تحدد أنجادك
وأغوارك وبجميع تلك انقصاصل المنتشرة في جبالك ووديانك ؟

بأي سرٍّ غريب أفضت الي هذه اللغة العربية في غابر الازمان ، حتى اني
عند ما اسمع لهجة من لهجاتها اشعر وكأنني وجدت تفسيراً لما لا يفسر في نفسي ؟
لماذا كلما وقعت عيني على فرد من افرادك استشعر عرفاناً للجميل محتجج في داخلي ،

وتحنانا لا يستشعره المرء إلا في لقاء قد قطع منه الرجاء بعد فراقٍ طويل الأمد ؟
كل غريزة فيك ملحمة بعيدة الأغوار، تتملكني وتسخرني لك، أيها الشرق،
أنا الذرة الطفيفة بين مليارات المليارات من ذراتك ! ورغماً عن صغري، لقد
أودعت في صحاريك ومروجك، وفننتك البعيدة المنال، وأغوار أوديتك،
وسيثانك وحسانك، وزعازع مناخك المهول، ونشيد زميرك النائح، ولياليك
الحملية العميقة، ووطيس شمسك المحرق، وقلوب بنيك المقدمة الشديدة الحمية،
وقواك الابتكارية المتلازمة التي لا ينضب لها معين !

أرى هذه السماء، التي هي سماؤك، تنبسط في لونها السمّنجوني الزاهي
الموشى بالذهب والفضة والأرجوان، وقد تمازجت هذه الألوان وتداخلت
بعضها ببعض ؟

إنها السماء التي أوحى بأعظم الرسالات إلى الإنسانية، وأطلقت فتش الحياة
وسبول الوحي والنبؤات. لانك عيّنت، أيها الشرق، لتكون الوطن الأول
للعبريات الأولى وللأبطال والمُهمّين !

لقد كنت في حاجة إلى الراحة ثلاثة قرون اكتسبتها بعد كل تلك القرون المليئة
كدّاً ومجداً، وكان مشروعاً أن مدّ مدنياتك المحسن العظيم يردّك لزمان ما يجزّر
محتوم، تحت ضغط سنة التعاقب الظالمة التي لا تهادن ولا ترحم
ولكن ها تلك السنة نفسها، التي تتحكم بمد البحر وجزره الجديدين وتضبطهما،
تقرع ساعة اليقظة والسير إلى الامام. فهوذا اذن، رغم قيودك ورزاياك، وانكسار
عزمك وخمود همتك !
فهوذا !

حولك يناضل الأقوياء ويفوزون بمجدين نفوسهم في تأليه الغلبة ! فهلاً
سمعتهم مع ذلك يئنّون في الظلام : « إلى متى ننتظر الفجر الذي سيسطم ؟ »
مساكين انتم ايها الاشداء والأقوياء الضعفاء ! ايها العلماء العظام، الذين
يجهلون الابجدية !

أيمكن أن يتلأأ الفجر دون أن يغمر النور المشرق ؟
أنت برج الضياء، أيها الشرق ! أنت موزع اشعة الحياة !
فهوذا اذن، وإلى العمل لتتقّف نفسك ! وعندئذ يبرز في أفقك مشعل
الاضواء والذهب !

القوة والجمال

والاحتفاظ بهما

النحوال لا بد منه

إذا استطاع الإنسان أن يحتفظ بما أودعته الطبيعة من الجمال^(١) إلى ما بعد الزمان الذي تزول نظارة الشباب فيه ويأخذ ذلك الجمال في الانحلال، فذلك مما لا يضيع فيه جهد الباحث ولا يذهب نعبه سدًى . ولا يؤخذ من هذا القول أنه يمكن حفظ بضاعة الجلد ونعومته ولونه ولون الشعر إلى ما بعد الكهولة إذ تلك المزايا من مزايا الشباب ولا بد أن تفارق الأجسام بمفارقتها . فكل ما يبذل من الجهد في هذا السبيل لا يأتي بباطل . نعم أن عناية الإنسان بجسمه واقتصاده في قواه واعتداله قد تؤخر تفضن جلده ولكن لا بد أن يحول لونه متى حان الاوان . وليس ذلك بالأمر المستنكر السهيجن إذ هو من قبيل وضع الشيء في محله فإن ما يليق بالشباب لا يليق بالكهل والحكمة تقضي على كل أن يجعل منظره ملائماً لسنه

على أنه يمكن تأخير الطوارئ والتغيرات التي تطرأ على شكل الجسم وموازنته وحركاته في المشي والجلوس والنهوض وتناسب أعضائه وغيرها مما ينشأ عن إهمال التدابير الملائمة . فإن التاريخ حافل بذكر أناس أدركوا الحقائق المتقدمة فعرفوا وهم متقدمون في السن باعتدال قامتهم وخفة حركاتهم وانتظامها وتناسب أعضائهم . وما من أحد إلا ويعرف رجالاً ونساءً بلغوا من الكبر عتياً وصار لهم الاولاد والاحفاد ومع ذلك بقي لهم الشيء الكثير من محاسنهم الاولى

كان معظم الناس إلى عهد قريب إذا بلغ أحدهم أو أحدها سن الخامسة والثلاثين أو الأربعين رغب عن الملابس الباهية الزاهية فخلعها وارتدى الملابس البسيطة القائمة بدلاً منها كأنه يُحْدِثُ على شبابه وذلك لأنه إذا انحصرت واجبات الزوجين في دائرة منزلها وأصبح معظم همهما تربية ولادها قل تفكيرهما في المحافظة على الأمور التي تكفل إدانة الشباب ومحاسنهما . ولكن الحالة تغيرت الآن فصار الناس فريقين فريق الشباب وفريق الشيوخ . أما الكهول فدرجوا ضمن الفريق الاول حتى صاروا يعدون منه . وبناءً على ذلك انصرفت العناية إلى إدانة الشباب والمحافظة على محاسنهم ما استطاع الناس إلى ذلك سبيلاً

(١) أن الجمال الذي يريده كاتب هذه المقالة هو نفس ما ورد في تعريف بعضهم للجمال تمييزاً له عن الحسن حيث قال أن الحسن يلاحظ لون الوجه والجمال يلاحظ صورة أعضائه . بل أن هذا الكاتب يذهب إلى أبعد من ذلك ويريد بالجمال جمال أعضاء الجسم كله لا الوجه وحده

ولا ينكر على الزوج رغبته في ان يرى زوجته مستعدة زماناً طويلاً بالصفات والمزايا التي شوقته الى اختيارها زوجة له . وحسن الوجه وجمال القد هما الصفتان اللتان عليهما مدار الزواج ولكنها تختلفان باختلاف الازواق . ومن المشاهد ان الزوج كثيراً ما يفتقي زوجته لا لحسن حازته ولا لجمال انفردت به بل لتمازج بين الروحين وتلاؤم بين الطبعين ولكن الملاحظة (١) هي المرجع الاخير في كل حال

جمال القدر

والناس مختلفون في ماهية الملبح والقبيح باختلاف اقاليمهم وعاداتهم وازياهم . ولكننا اذا صرفنا النظر عن الفرق الشديد بين اذواق المتوحشين كاهالي اواسط افريقية ووادي الامازون والمتمدنين كاهالي نيويورك وباريس رأينا انهم متفقون على قواعد معلومة يجرون عليها الا في احوال نادرة . ولو جئنا نبحت في الوجه وملاحمه وتقاطيعه لضاق بنا المجال ولكننا نحصر كلامنا في القد وشكله وحركته لان جمال القد هو الجمال الذي في طوقنا المحافظة عليه اكثر من غيره فنقول ان اعتدال القامة وسهولة حركة الجسم هما اساس جماله ولا بد لذلك من ان يكون الظهر عمودياً والبطن غير بارز ولا مترهل كما في السمان او الذين عضلاتهم مرتخية والكتفين غير مرتفعين والاضلاع على زوايا قائمة مع العمود الفقري والرأس قائماً على عنق مستقيمة مستديرة منحنية الى الامام قليلاً واذا مد خط عمودي من مؤخر الرأس وقع وسط الكتفين . فاذا اجتمعت هذه الصفات في انسان امكن تدقيق خصره من غير ان يلحق الجسم ضرر

واذا كان الحوض مستوياً والفقرات التي فيه مستقيمة كان عمل الجدار البطني صحيحاً فدعم الاعضاء المرتخية التي ضمنه وبقي الخصر دقيقاً . ولا يكون الخصر الدقيق جميلاً الا اذا كان بروز الوركين مما يليه قليلاً . ولكن اذا كان بروزهما كثيراً ظهر الخصر مثل خصر النحلة وارتخت انسجة البطن والخاصرتين والظهر وضعفت اعضاء الهضم والاعضاء الرئيسية الاخرى وفقد القد جماله باكراً . ويجب ان يكون الصدر عريضاً ممتلئاً والترقوتان غير ظاهرتين والا كان ظهورهما دليلاً على ارتخاء عضلات الصدر والكتفين والظهر وعلى ان قتي الرئتين لم تنسعا الاتساع الكافي . ويجب ان تتدلى الذراعان بسهولة من الكتفين وتقع الكفان امام الوركين واقل عسم (يبوسة) في الذراعين او الكتفين او الكوعين يذهب برشاقة القد . ويجب ان يكون الجذع عند المشي مستوياً والصدر بارزاً قليلاً فتتحرك الركبتان بسهولة ويقل الضغط عن العقبين . واذا كان الماشي يضرب الارض بعقبه فقد الجسم رشاقته . ويجب ان يكون خطر ان الذراعين عند المشي مائلاً الى الامام نحو خط عمودي يمر

في وسط الجسم . وميلهما في خطرهما الى وراء الظهر عيب قبيح يجب اجتنابه بارجاع الرأس الى الوراء بحيث يقع طرفا الاذنين فوق رأسي الكتفين

الاقتصاد في القوى

ومن أهم الأمور للمحافظة على الجمال اعتياد الاقتصاد في جميع القوى الطبيعية واجتناب الاسراف فيها وقت الانهماك في مشاغل الحياة . وقد يعترض على ذلك بأنه يكاد يستحيل على المرء ان يترك اعماله واشغاله ويتفرغ للاهتمام بنفسه والمحافظة على قواه صوتاً لها من الاسراف . وجواباً عن هذا الاعتراض نقول ان الاقتصاد في قوى الجسم لا يستلزم ترك الاعمال والاشغال كما يخيل للمعترض . بل يتوصل الى الاقتصاد المذكور ان يوجه المعلمون والوالدون عنايتهم الى الاولاد الذين يوكل أمر زببتهم اليهم ويمرنوهم على رباطة الجأش وسكون البال في مصائب الدهر وغير الزمان . والحق يقال ان السلامة من الاحزان والكوارث لا تسمو بالنفس الى المراتب العليا ولا ترقى العقل في الفضيلة بل تربي في المرء خلقاً تنقصه الاوصاف الجوهرية التي تدني النفس من الكمال وتكسب الوجه حسناً رائعاً . والصبر والثبات وغيرهما من الصفات التي تكون الأخلاق كل هذه لا تنمو في المرء وهو ملازم الهدوء والسكينة في المعيشة . ثم ان الاشغال والاعمال ومصاعب الحياة لا تضر الجسم ولا النفس الا اذا أثرت فيهما تأثيراً يورثهما الضجر والقلق ويفضي بهما الى النكد او اليأس

واعظم عوامل الاقتصاد في القوى الحيوية المحافظة على القوة العصبية . وانفاق هذه القوة على وعين اما مباشرة واما بواسطة . فالاول ابسط واقل ضرراً وامثاله ان تجهد عضلات ذراعك عند رفع ثقل ما الى حد ان تنفق من القوة العصبية ضعف ما يقتضي رفع الثقل حقيقة . والثاني اعم من الاول وهو ان تجهد من عضلاتك اكثر مما يلزم لعمل عمل ما فتتنفق القوة العصبية سدى . ولا بد ان يتخلل الاعمال العضلية فترات ترتخي العضلات فيها بعد طول انقباضها فتسترد قوتها التي انفقها والا كالت عن العمل . مثال ذلك اذا شرع رجلان في عمل يقتضي تعباً واحداً وجرى احدهما على مبدأ الاقتصاد في القوى ولم يراعه الآخر فان الاول يتمه وهو لا يشعر بتعب والثاني يتمه وهو تعب معي . والانسان يدرّب جهازه العصبي من المهد الى اللحد فخير ان يكون عمله دقيقاً يراعى فيه جانب الاقتصاد من ان يفسرط فيه . وشراً من الافراط التفریط . وكلاهما يفضيان الى اطفاء سراج الحياة وتقويض اركان الجمال

مرونة نسج الجسم

واول ما يجب الانتباه اليه لاطالة زمن الحسن والجمال المحافظة على مرونة نسج الجسم وعليه يكن ان تعرف الشيخوخة بأنها طور تصلب الانسجة . ومنع ذلك او الشفاء منه يقومان باستعمال

حركات الجسم الطبيعية استعمالاً قانونياً . فاذا كانت اعمال الانسان تجري على وتيرة واحدة بلا تغير او كانت محدودة او غير ملائمة في نوعها وصفتها تصاببت النسيج قبل الاجل المعتاد . واذا كانت عضلات الجسم لم تتناسق ولم تنم النمو الكافي ظهرت تلك التغيرات باكراً وكانت اكثر وضوحاً وكثيراً ما يعد الشيوخ طور الشيخوخة شراً يخاف او آخرة تبكى وتندب ولكن الفلسفة تناقض ذلك . ثم اننا نعرف اناساً كثيرين بلغوا طور الشيخوخة ولا تزال وجوههم تفيض بشراً وقلوبهم تطفح رضى وسروراً . فان الشيخوخة في الانسان تاج اكرام واحترام ويبدو ان يزين ذلك التاج او يشينه . اما المرأة التي تتقدم في السن فلها ان كانت من اللواتي ينظرن الى ظواهر الاشياء دون بواطنها عدت الشيخوخة مثل بئر ختم بابها فعماد الانسان لا يرى ما فيها فالت الى افعال جسمها ولباسها . فلتقاوم هذا الميل لانه ذنب الى الله وموابعه الحسان . فان كثيرات من النساء اللواتي بلغن الستين والثمانين بقين ملكات في المحافل التي كن يترددن عليها

والحسان بين النساء قلال واقل منهن اللواتي يستطعن المحافظة على ما قسم لهن من الملاحاة الى ما بعد الزمان الذي تذوي فيه نضارتهم عادة . ومن الحقائق الفسيولوجية المقررة ان الملاحاة يمكن ان تزداد لصاحبها ولكن لا بد من التدرع بالفطنة والحكمة لبلوغ ذلك . وقد يتفق ان الطبيعة تخص فرداً بكثير من مقومات الملاحاة ولكنه يسيء التصرف فيها . ورب سائل يسأل هل تزداد الملاحاة بالوسائط الصناعية وهل تمكن المحافظة عليها الى ما بعد سن الكهولة . والجواب نعم وتمكن زيادتها كثيراً حتى في الذين لم يكن لهم حظ وافر منها أيام الصبا والمحافظة عليها حتى الموت . وذلك يتم بالمواظبة والصبر واحتمال بعض الالام البدنية والالام بقوانين الصحة والطعام والراحة والنوم والاستحمام والاعتناء بالجلد والاسنان والشعر والظواهر الخارجية من ملابس وما أشبه . وقد يخجل لسلك منا انه يعرف الشيء الكافي عن هذه الامور ولكنه اذا رام البحث فيها مفصلاً رأى انه يجهل كثيراً منها

واول ما نوجه الخواطر اليه في هذا الشأن ان جمال القدر يتوقف على حسن اتصال العظام ببعضها ببعض ومرونة النسيج . ولا بد لحفظ موازنة الجسم من مرونة العضلات وسهولة حركة اربطتها وحركة الاوتار . وكلما تقدم الانسان في السن واخذت نتائج الامراض والملاذ تظهر عليه اشتد العناية على بعض الاعضاء الحيوية مثل الاوعية الدموية والاعصاب فاضطرب سير الدم ومجرى الاعصاب في الجسم حتى اذا جاوز سن الكهولة كان بعض اعضائه الحيوية معطلاً وكثير من انسجته فاقداً بضائته وغضاضته . فلا تعود العين والاذن والدماغ مثلاً تتناول ما يكفيها من الغذاء فيكف البصر او يكل وينبو السمع ويبلد الدهن

الرياضة البدنية

والرياضة البدنية خير الوسائط لاتقاء ذلك ولكن الناس مختلفون في نوع الرياضة التي يحتاجون اليها فما يصلح منها لزيد قد لا يصلح لبيكر . فانك اذا قلت لرجل طاعن في السن شوتت الايام والاسقام اعضاءه وحذبت ظهره ويست مفاصله ان ينتصب امامك ويرجع كتفيه الى الوراء ويرفع رأسه فانك انما تنادي غير سامع وتأمر غير طائع . ولا بد لك قبل ذلك أن تبين عيوب بنيانه الخصوصية وتصلح النسيج الضعيفة أو المنكمشة . والانكماش يصلح بالمط والذلك المتكررين . والمرونة تتأتى بتحريك أعضاء الجسم مثل الذراعين والكتفين والعنق والرجلين والظهر والحقوين وأعضاء البطن

وما يجب ذكره ان الرياضة لازمة غالباً لتطهير الدم وما يتبعه من تغيرات الخلايا ولا بقاء اعضاء الجسم سائرة سيرها الطبيعي ولنومه يوماً هنيئاً . ومن الممكن ان تسير تغذية الجسم سيراً طبيعياً في بعض الناس مدة طويلة وفي احوال معلومة وهم لا يروضون اجسامهم الا قليلاً . ولكن اهمال الرياضة خطر عظيم . ومن الناس من يقول ان اجهاد القوى العقلية كاف لدفع اعضاء الجسم الى اتمام وظائفها مثل الرياضة البدنية وهذا صحيح . فان بعضهم يكتب بالحديث المسائي والضحك وسماع الآلات الموسيقية وعليه فان صحة هذا البعض تقوم بالاختصار على الرياضة العقلية دون البدنية ولكن على شرط ان تكون احوال المعيشة صحية مطردة ووظائف الجسم منتظمة فلا تحمل فوق طوقها ولا يطرأ على الجسم خلل في تغذيته يتطرق الفساد به اليه

ولكن الرياضة المنتظمة مفيدة في الصغار والكبار لحفظ صحة العقل والجسد على أتمها . وكثيراً ما يعترض في سبيل الجسم عوارض توقع الخلل والاضطراب في نظام حركاته وتحولها عن مجراها الطبيعي . واول تلك العوارض عيوب خلقية في بناء الجسم يكون بها بعض اعضاءه اقوى من البعض الآخر فيستعب القوي منها الضعيف عند العمل معاً . وثانيها اللباس فكما اشتد ضغط الملابس لعضو من اعضاء الجسم تغير تركيبه وقل نموه . وهناك مؤثرات اخرى تؤثر في شكل الجسم وحركته مثل العادات والازياء واجهاد القوى او عدم اجهادها والصنائع والحرف خذ مثلاً للحرف التعدين فان المعدن (اي العامل في المناجم لاستخراج المعادن من الارض) يضطر ان يضطجع على الارض او ينحني الى الامام ساعات كثيرة وهو يعمل ويمجد قواه فيشوه ذلك شكل جسمه كثيراً . غير ان تحركه المستمر يمنع الاعضاء ان تفقد مرونتها سريعاً كما في الحرف التي لاتدعو الى حركة كثيرة

الطعام والملاحة

اما الطعام فلما كان تأثيره في الصحة عظيماً فان تأثيره في الملاحة اعظم . واول ما يجب الالتفات

اليه في هذا الصدد الاسنان فان على العناية بتنظيفها مدار الامر كله غالباً . ومن الغريب ان امراض الاسنان بين المتمدنين كثيرة مع شدة عنايتهم بأسنانهم وحرصهم على نظافتها . وكثير من هذه الامراض وخصوصاً امراض اللثة سبب سوء الصحة حتى بين الطبقة العالية من الناس واهم شيء في المحافظة على صحة اعضاء الهضم مقدار الطعام وكيفية تناوله لا نوعه وماهيته وخير قاعدة لاختيار الطعام ان يأكل الانسان مما حضر برضى منقاداً بالقابلية الطبيعية . ولا بد في اختيار نوع الطعام ومقداره من مراعاة حالات الجسم المختلفة من تعب وانفعال ورياضة وقعود وما اشبه . ولا يجوز ان يأكل الانسان لقمة واحدة زيد عما تشبهه نفسه الا في احوال مرضية خصوصية يأمر الطبيب بها . وتجب ايضاً مراعاة السن فان قليلاً من الطعام يكفي الكهل والشيخ لأن الطعام يؤكل في هذا السن لحفظ الحياة لا لبناء الجسم ما لم يطرأ على الجسم مرض طويل معي . يقتضي اصلاح ما فسد وبنيان ما تقوَّض . واول شرط في الطعام نظافته ثم بساطته . اما التأنيق في علاجه واستكثار الاقوات واستجداء المطابخ فن الأمور العرضية الثانوية بل الوخيمة العاقبة لأن الاكثار من البهارات والتوابل ومطيبات الطعام يعطل قوة الهضم ويفسد حاسة الذوق

ولنا كلمة في المشد (الكورست) فان كان الغرض من لبسه اظهار كسم الملابس حول الخصر جرياً على قواعد الزي الحديث فلا بأس به ولكن ان كان الغرض منه دعم الانسجة البطنية فلا حاجة الا اذا كان هناك عيب في بنائها . وان كان الغرض منه تحسين القد فالمرأة ذات البنية القوية والتركيب الحسن لا تحتاج الى وسائل صناعية لتحسين قدها والشاهد على ذلك ان البنت الجميلة القوام لا تلبس المشد اذ ترى انها ليست في حاجة اليه . وعليه فان اللواتي يصرن على لبسه يعترفن ضمناً ان قودهن مشوَّهة . وتشويه القد اما طبيعي واما اكتسابي فان كان الاول فليلبسن المشد اذا كان لا بد لهن من اتباع الازياء الحديثة وان كان الثاني فهو ناشئ عن عدم الاعتناء بهيئة الجسم في الجلوس والنهوض والانتقال او عن القعود او النهيم او عن هذه الثلاثة معاً . وهذا مما يمكن الشفاء منه بالعزم والثبات كما يمكن الشفاء من الامراض العادية

ثم ان النساء صنفان صنف له ظهور قصيرة وصنف له ظهور طويلة فالمرأة ذات الظهر الطويل بل والخصر الطويل او التي بين صدرها وجذعها فسحة واسعة لا يضر المشد بها منلما يضر بالمرأة ذات الظهر القصير لان معظم ضرره ناتج عن ضغطه لاجزاء الرئتين السفلى واطقتها عن عملها وذات الظهر الطويل لا يضغط المشد رئتيها لارتفاعهما عنه . والمرأة التي ظهرها قصير وخصرها طويل لا بأس اذا لبست مشدً واطماً ضيقاً . اما التي ظهرها قصير وخصرها قصير ايضاً وليكن فان المشد يضر برئتيها وكبدتها وكليتيها ومعدتها بضغطه لها فتبهط نحو البطن وينشأ عن ذلك اسقام وامراض كثيرة في هذه الاعضاء وفي اعضاء الولادة ايضاً

أسئلة وأجوبتها

[الأسئلة خاصة بحياة طائفة من الفتيات الانكليزيات ، تتعلق بنواح من حياة الحب والزواج ، ولكن الاجوبة تحتوي على احكام عامة ، وأقوال حكيمة في هذه الموضوعات ، لا تقتصر حكمها على الفتاة الانكليزية]

س : احبُّ احد الشبان حبًّا عظيماً . ولكن والدته تكرهني . وهو يطلب ان تعقد خطوبتنا . ولكنني احسُّ انه يجب عليّ ألاّ اخذع امه . فماذا أفعل ؟

ج : اظن انه خير لك ان تكوني صريحة معها . اذهبي اليها وحديثها واستطليعيها ما تأخذهُ عليك

س : مضى عليّ عشرون سنة . متزوجة من رجل احبُّه واحترمه . وقد كانت سنو زواجنا حافلة بالسعادة والرغد . ولكنه افتتن اخيراً بصبيبة ، في الخامسة والعشرين من عمرها . وقد بلغ من اندفاعها ، ان صرحت انها سوف تبدل ما تستطيع لتسلمني اياه . وهو يقول انه لا يزال يحبني . ولكنه عاجز عن مقاومتها . فأرجوك ان تشيرني عليّ بما افعل

س : ينتظر ان يعقد زواجنا بعد شهرين وبعد سنة ، يتوقع زوجي ان يذهب الى الصين ، ليعمل في احد فروع شركته ثلاث سنوات ثم يعود الى منصب حسن في انكلترا ، وهو يريدني ان اذهب معه ولكننا لا نعلم ، هل من المستحسن ان يكون لنا ولد ، عقب الزواج او ننتظر حتى نعود من الصين . كلانا في الثالثة والعشرين من العمر

ج : الافضل ان تنتظرا . فأنما لا تعلمان ما تكون عليه احوال الاقليم والمعيشة في البلدة الصينية التي تسقران فيها . وقد لا تلائم هذه الاحوال صحة الطفل . ولما كنما في مستقبل الشباب ، فامامكما الوقت الكافي للبدء في انشاء اسرة بعد عودكما

ج : هذا النوع من الفتنة معروف في الكهول او في من تخطى الكهولة منهم . وماهي المحاولة من ناحيتهم — تثير الاشفاق — لاسترداد شبح شبابهم . والراجع ان الفتنة لا تدوم . بل لعل الفتاة نفسها تكون السابقة الى التعب والانصراف عنها . وانما يشترط عليك ان تحتفظي برابطة جأشك ، امام زوجك وببسمه على تفرك . والغالب انها ليست فتاة ذات خلق متين ، والا لما فترقت هذا التصرف ، فدعيه يقابلها ماشاء ، وعندئذ لا بد ان يكشف له عن حقيقة امرها

مقام المرأة اليابانية الحديثة

في ميدان الأعمال

اجتازت اليابان في ما انقضى من القرن العشرين من مراحل التقدم ، ما لا تضاهيها فيه شعوب اخرى في قرون . فاكتملت البلاد من اقصائها الى اقصائها روح التقدم والنشاط فهب الجميع متناسين منازعاتهم الداخلية ، وتفرقوا في مختلف بقاع الارض يطلبون العلم والنور ثم عادوا الى بلادهم ، يشيعون في ارجائها النور الذي اقتبسوه مبددين الظلمات باعثن في مواطنهم الحياة ، وناقضين عن البلاد ، رداء الفتور والجمود . فلما تم لهم ذلك راحوا يشيدون المصانع ، وينشئون المتاجر ويننون دعائم عظمة بلادهم الاقتصادية حتى ذهلت البلاد التي تملقوا فيها اصول العلم ، للنصيب الذي احرزوه في ميدان الصناعة العظيم . وقد اشتركت المرأة اليابانية في كل ذلك فعاونت الرجل ونافسته فأذكت بمنافستها له عزيمته وأورت زناد تفكيره وارادته ، حتى صح القول بأن اليابان الحديثة قامت على اكتاف المرأة اليابانية النحيفة ، قيامها على اكتاف الرجل

فالمرأة اليابانية تتقلد عدداً كبيراً من اعمال الدولة ، ذلك ان كثيرات من اليابانيات يعملن امينات لسر رجال الدولة المسؤولين ، او كواتب على الآلات الكاتبة أو في بعض المناصب الكبيرة حيث لكل منصب تبعة عظيمة تلقى على عاتقي مديره

وقد غزت المرأة اليابانية المصالح التجارية المختلفة ، وكادت تستقل بها جميعها دون الرجال ، فاذا دخلت متجراً كبيراً من متاجر طوكيو ، واجتهدت حقيقة غير ملحوظة في عواصم البلاد الاوربية نفسها ، اذ ترى ان ٨٠ في المائة من الذين يشتغلون هناك ، فتيات لا فتيان ، هذه تستقبلك على الباب وتحدثك عن طلباتك بشئ اللغات ، واخرى ترشدك الى المكان الذي فيه حاجتك ، وأخرى تبيعك السلع ورابعة تحاسبك على ما ابتعت وهن في كل ذلك يعاملنك معاملة رزينة لبقة بحيث يجعلنك تشعر باحترام المتجر من جهة ، وبرغبتك في الشراء منه من جهة اخرى

اما الرجال فلا يتولون في المتاجر الا المناصب الفنية القليلة ، او الاعمال التي تقتضي قوة بدنية ، كالبوابين والفراشين

والعاملات في المصانع على اختلاف انواعها يتقاضين اجوراً اقل من اجور الرجال فيفضلن عليهم حين تحتاج المصانع الى زيادة عملها او الى سد نقص في صفوفهم وهن نشيطات ذكيات يجدن ادارة الآلات ويحذقن الاعمال الصناعية التي تقتضي قوة ملاحظة ومهارة يدوية وهذه حقيقة ملموسة تشهد بصحتها الصناعات اليابانية

ومنهن نساء يعملن مرشدات ، يرشدن رواد المكاتب الحكومية والمحال التجارية وغيرها

الى حيث يقصدون . وهذه الطائفة تفتق من الفتيات الجميلات وهن يرتدين ملابس جميلة محتشمة على الطراز الاوربي ، ويتقنن ادب السلوك ، واصول المعاملات ويجدن عدة لغات ومما هو جدير بالذكر ان دور الملاهي في اليابان توظف النساء مرشدات للجمهور الى المقاعد على الضد مما هو معروف في مصر . اما في اوربا فغالب كبير من دور الملاهي يعتمد على الفتيات في القيام بهذا العمل . وهؤلاء المرشدات اليابانيات يرتدين سراويلات من قبيل سراويلات اللباس الاوربي ولكنها اوسع ، وحاكتات قصيرة عليها ازرار من النحاس اللامع ، ويضعن على رؤوسهن قبعات من نوع « البيرييه » ويحتدين بأحذية من المطاط ، منعاً لاحداث الصوت عند السير بين المقاعد أو الاروقة ، وجميع ملابسهن مصنوعة من الحرير الفاخر الثمين وشركات السيارات الكبيرة الخاصة بالركاب (اوتوبيس) تستخدم عاملات يلبسن لباساً خاصاً لقرض تذاكر الركاب ، فيقمن بهذه المهمة خير قيام ويشرن الى سائق السيارة بالتحرك او بالوقوف كلما دعت الحاجة الى ذلك . اما في مركبات الترام ففريق منهن يتولى بيع سلع دقيقة من مخزن صغير في مؤخر المركبة كما يبعن الجمهور الصحف والمجلات . وهذا الفريق يختار من الجميلات الحاذقات اللأئي يحد الجمهور نفسه معهن امام الامر الواقع ، تناولك الجريدة او المجلة او السلعة ، وتصحها باقتسامة حلوة يصعب على الرجل صدها او تجاهلها ، ولذلك كانت مهنتهن رابحة دائماً والفتيات الصغيرات في كوريا ، يعوذن الصبر والجلد على مزاولة الاعمال من نعومة اظفارهن وأول ما تتعوده البنات ان تحمل جرار ماء الشرب من النهر الى المنازل مدة التمرين بمحاولة حمل الجرة بازان وانتظام

وقد انشئت شركات سينمائية في اليابان ، وأقبلت اليابانيات اقبالاً عظيماً على الانتظام في المدارس المؤهلة للظهور على الستار الفضي ، لتتعلمن الاوضاع الفنية ودرس الملامح والحركات اللازمة . وقد نبغت منهن كثيرات ولولا مسألة اللغة لأصبحت الافلام اليابانية تكتسح الاسواق ، كما نكتسحها بضائعها الاخرى . ومن اليابانيات راقصات ماهرات ، وشركات السينما تسخو على اخراج مشاهد استعراضية تسترعي النظر وتقوز بالاعجاب . واليابان يمكنها ان تبرز غيرها في هذا الميدان لرخص المنسوجات اليابانية اللازمة لمشاهدة الاستعراض

وفي طوكيو مدرسة جديدة لتعليم النساء الطيران تخرج منها عدد كبير من الطيارات الماهرات ، ولم تكتف المرأة اليابانية بغزوها جميع مرافق الحياة بل تحولت ايضاً الى منافسة الرجل في مظهر رجولته الاكبر فكثيرات من اليابانيات متطوعات في الصليب الاحمر ، وفي مصانع الاسلحة وفي مكاتب الجيش ، وهن يطالبن اليوم بقانون يجبر المرأة على الخدمة العسكرية كالرجل والمرأة اليابانية تضطلع بوجه عام ، بمهمة المنتج في المصانع ، أما الرجل فيتولى مهمة التصريف لبوزع البضاعة في جميع الاصقاع على جمهور المستهلكين

موت يحيى الحب

[في حياة كل امرأة حادثة تفوق سائر حوادث حياتها خطراً ، وأثراً في نفسها ، فإني هذه الحادثة في حياتك يا ليلى ؟ وفي حياتك يا نادية ؟ وفي حياتك انت يا سلمى ؟ إلا قصصها على قراء المجلة ، فيجدون فيها عبرة ، أو تسلية ، أو تفككة على الأقل ؟ هذا وقد شرعت إحدى المجلات النسائية الانكليزية تنشر في اعداد متتابعة منها ، قصص الحياة كما وقعت لصاحباتها ، بلا تعميق أو تعديل خلا تغيير الاسم الصحيح أو حذفه ، فرأيتنا ان نختار لقراء المقتطف منها ما تجلو قراءته ، أو تجل فائدته . ففي بعضها فوائد تستطيع نساؤنا ان تقتبسها ، وفي بعضها ماها تستطيع نساؤنا ان تجتنبها ، وفيها على الحاليين ، نواح من حياة المرأة الغربية ، يحسن بهن الاطلاع عليها]

قضت المصادفات الغريبة ، بأن يؤتى بطفل رالف الى المستشفى الذي كنت اشتغل مرضة فيه . ذلك ان سيارة اصطدمت بأخرى امام المستشفى ، فأصيب توني — ابن رالف — اصابة خطيرة ، فحمل الى المستشفى بين الموت والحياة . فوضع في غرفة صغيرة خاصة ، وعهد الي في العناية به ، فبقيت بضعة ساعات وأنا لا اعرف من هو . ولكنني عرفت ذلك ، اذ خرجت من غرفته فواجهت والده رالف ، وعلى وجهه الشاحب ، امارات الالم والريبة في امكان انقاذ طفله .

كنت قد رأيت رالف لآخر مرة ، قبل خمس سنوات ، لما واجهته في غرفة المحقق ، على اثر وفاة ابني «بوبي» بحادثة سيارة صدمته ، وكان رالف صاحب السيارة وسائقها . كانت تلك الليلة ماطرة ، فزلقت سيارة رالف عند انعطافها وصدمت ابني الذي كان واقفاً على الرصيف يتفرج على واجهة أحد المخازن فقتلته في الحال بين سمعي وبصري . وكان من المتعذر ان تلوم رالف خاصة في الاحوال التي وقعت فيها الحادثة . ولكنني كنت اعلم ان رالف يدمن المشروبات الروحية ، مما جعله في سوق السيارة منهوراً بعض التهؤور . اعلم ذلك لانه سار بي بعد الحادثة الى المستشفى فرأيت في عينيه بريقاً ، وفي يديه ارتجافاً ، وفي نفسه رائحة ، لا تخطئها

فكانت تلك الفاجعة نهاية صداقتي مع رالف او ما يصح ان يكون اكثر من صداقة . كان كلانا يحس بالوحدة الالمية في حياته . فقد كان هو رجلاً طلقته زوجته ، ولا أحد له في الدنيا الا ابنه «توني» . وكنت انا ارملة ولا احد لي في الدنيا الا ابني «بوبي» . فبال الي وملت اليه ، مع انه كان مشهوراً في حيّه بأنه يدمن الخمر ويميل الى الصخب . ولكنني أحسست انه أصبح كذلك لشعوره الشديد بألم الوحدة وانه اذا تغيرت احوال معيشته ، واتيح له من محبة ويعني به فلا بد ان يتغير ولكن مقتل ابني على يده كان ختام صداقتنا . فبعد مقتله بنحو اسبوع من الزمان ، تركت الحي الذي كنت اقطنه ، ولم ار رالف بعد ذلك . وها هو ذا الآن ، وقد عهد الي بتبريض ابنه الذي اصيب في حادثة تشبه الحادثة التي اصيب بها ابني . فأشفقت عليه اذ رأيته ، يمزقه الالم ، لان

الحادثة كانت قد هزت اعصابه فاصبح وهو على وشك ان يسقط إعياء . فبذلت ما في وسعي لتهديته اعصابه ، واكدت له ان لابنه املاً كبيراً في الشفاء

ولما سرت قليلاً مع رالف وانا احداثه برفق وحنان ، عطفاً عليه ، مررنا بالمرضة «جين» فاحسست بان عينيها تراقباني . كانت هذه الممرضة تمقتني ، وتصرح بذلك . كانت فتاة مديدة القامة ممتلئة الاعطاف تدفعها الشهوة ولا غرض لها في الحياة الا ان تتزوج . ولما كنت قد وطدت صلة الصداقة بيني وبين طبيب المستشفى ، ولما كان كثيرون من المرضى يدعونني الى التنزه معهم في اوقات فراغي ، بعد خروجهم من المستشفى ، كانت هذه الممرضة تلهب غيرة مني . فبذلت وسعي لتجاهل موقفها هذا ، بل وللاحتفاظ بظواهر الصداقة معها ولكن علي غير جدوى . فبعد ان مررنا امامها شعرت بداهة انها تفكر فينا فتقول في نفسها ، لو انني عيّنت محلها للعناية بذلك الطفل ، للقيت والده ، وعطفت عليه في مصابه بابنه ، ووثقت صلة الصداقة معه ، ولستحت لي فرصة قد تقضي الى زواجنا

كان الكفاح مع الموت في سبيل حياة الطفل كفاحاً عنيفاً ، ولكننا جئنا ثمرة الكفاح ، لما اعلن الطبيب بعد انقضاء عشرة ايام على الحادث ان الطفل قد جاز منطقة الخطر . فاخبرت رالف بذلك . فقبض على كلتا يدي ، وعيناه مغرورتان بالدموع وقال : ليباركك الله يا ماري . انني لا استطيع ان اقول اكثر من هذا ، يا عزيزتي . فعلمت حينئذ اننا لا نزال حبيبين رغما عن الفاجعة التي فقدت فيها ولدي وضربت بيننا حجاباً كثيفاً . فتركته وفي قاي انشودة الفرح ، وفي عروقي حرارة الغبطة في تلك الليلة مات توني متأثراً بسم احتوت عليه خطأ جرعة دواء وصفه له الطبيب

انني لا أعجز عن وصف الاضطراب الذي تلا وفاته والالم الذي كاد يمزقني . كنت انا قد جرعت دواء الذي ارسل الى حجرته من مستودع المستشفى الخاص . وكان قد كتب على الزجاجة اسم الدواء الصحيح ومقدار الجرعة . فليس ثمة خطأ في هذا . لمحاولنا في المستشفى ان نكتشف من خرج زجاجة الدواء من المستودع . وهنا واجهت حقيقة هالتي . ذلك ان مستودع الادوية كان في عهدة الممرضة «جين» وانها هي التي بعثت بزجاجة الدواء لتوني مع احد المستخدمين ولكنها نسيت امام المحكمة ، انني نزلت الى المستودع ، في غيابها وجهزت الدواء بنفسني

كان كلامها كذباً فاضحاً ، خطف نفسي بجراته وهوله ، ولكنني ما كنت املك حيلة ادفع بها هذا الكذب الصراح . فعشت الايام التالية ، يؤرقني الم الفاجعة ، ويحجم فوق صدري شبح الموت كانت الممرضة «جين» عند مقدي الى المستشفى ، قد تظاهرت بصداقتي ، فعلمت مني قصة الف ومقتل ابني «بوبي» . فلما دعيت للتحقيق في قضية وفاة «توني» ، لمحت للمحقق بأن وفاة توني لا تكون عرضاً على الاطلاق . وانه من العجيب ان يكون رالف قاتل ابني ، وان يموت ابن رالف وهو في عهدي في المستشفى . فلما سمع رالف كلماتها ، صاح بأن قولها «كذب» ولست

أدري ما حدث بعد ذلك ، لأنه أغمي عليّ ، ولما افقت من انغمائي ، وجدتني في إحدى حجرات المحكمة ، ورالف قربني يهديء من روعي ويخنو عليّ . وهو يقول «يا حبيبتني ، لا تهتمي ، ولا تهلمي ، فلا بدّ من ظهور الحقيقة » . عند ذلك انزاحت كل الحواجز بيننا فتعانقنا ولكن حبنا كان مهدداً ، بتهمة القتل العمد ، توجه الي ، فما استطعت ان انام ولا ان اتناول شيئاً من الطعام المقدم اليّ . وحاولت ان ارى الممرضة «جين» على حدة ، لواجهها بما ادعته عليّ كذباً ، ولكنها كانت ترفض مقابلتي ، لشدة خوفها . فلما اعيد فتح التحقيق في صباح تالي ، جاءني ورقة منها ، تطلب اليّ ان اوافيها على عجل الى غرفتها . فهرولت اليها ، وعند ما بلغت بابها رأيت الطبيب خارجاً فقال «لقد حاولت ان تسم نفسها . ولكنها نجت . وهي تريد ان تراك » فدخلت ووجدتها وقد جردت من تلك القساوة في نظرتها ، ملقاة على سريرها ، شاحبة تمير الاشفاق ، وفي عينيها كسفة الخجل

قالت : اتغفرين لي ؟ فاني ما كنت ادرك معنى ما اقول . انا الذي اخطأت في وضع اسم الدواء على زجاجة لا تحتوي عليه كنت اكرهك حاولت ان اموت مسكينة تلك الفتاة . طوقت عنقي بذراعيها وجعلت تلتحب ، فأحسست انها في اشد الحاجة حينئذ الى العطف والحنان

اما انا فتزوجت رالف بعيد ذلك ، ولنا الآن ولد ننعم بحبه . ففيه نحس ان روحي ولدنا قد امتزجتا - ولدنا اللذين فقدناهما في فاجعتين مؤلمتين ، فكان فقدانهما سبيلنا الى السعادة في ثالث من لحنا ودمنا نحن الاثنين

(١) طور الطفولة المبكرة

وضرورة انشاء مربى (Nursery)

مما لا شك فيه ان الناموس الطبيعي للعالم لا يتغير برغم تشابه الاشياء وتباينها ، وتغير الحوادث ولكن الطفل لا يعرفها كذلك ، ذلك بأنه لا يميزها حالاً ، حتى ولا يعرف نفسه من الاشياء المحيطة به كل شيء يظهر له في حالة همجية وخيال ضعيف ، ولكن وسط هذا الخلط وهذا الغموض ، هناك بعض ألفاظ وبعض اصوات كثيراً ما يعيدها الآباء دلالة على اشياء موجودة ، وتدرجياً ترتبط الاسماء بمسمياتها والالفاظ بمعانيها والحركات بما اريدت من اجله ، ثم تستقر ، هذه النتائج الاولى حتى تعرف الاشياء الدنيوية ، وتسهل هذه المعرفة فيما بعد ، ويبطء يعرف الطفل ان ما

(١) من يوم الميلاد الى السنة الثالثة وهو فصل للآنسة زينب الحكيم في كتاب الدكتور شخاشيري الذي عنوانه « تربية الطفل »

استجمعه عقله مختلف عن نفسه ، وأنه منفرد عنها . هذا وبتقدم الطفل في السن يعيد العمل الذي بعين وجود قوة التعليل فيه مهما ظهرت بسيطة مطلقة

لما كان من ضمن اغراض حياة الطفل الهامة ، القيام بالاعمال الدنيوية التي توضح الجهد الذاتي وبذلك تصقل نفسه ، ولما كانت جميع الاشياء الظاهرية التي تحيط بالطفل تضطره ان يحفظ طبيعتها ويميز رابطتها بعضها ببعض فقد امده الخالق بحواس متعددة ، وقوى عقلية مختلفة واستعداد فطري يمكنه من اظهار كوامن نفسه وتعرفه الاشياء الخارجية

ولما كان نمو الحواس مشفوعاً بنمو قوة ضبط الجسم والعضلات ، وقوة الضبط هذه بدورها تتوقف على حالة الطفل الصحية ، وعلى قيمة الاشياء التي تحيط به — وجب تنميتها بعناية ، ووجب ان تكون الاشياء التي تحيط بالطفل جاذبة له وموقظة فيه ما كمن . والا طالما كانت هذه الاشياء قريبة وثابتة فانها لا تلفت الطفل اليها ولا تسترعي انتباهه مطلقاً ، ولكنها اذا كانت متحركة او لامعة فانها تدعو الصغير الى الانتباه والمسك ، ولو كانت بعيدة عنه تدعوه للتقرب منها وبذلك تربي عنده قوة استعمال اعضائه للجلوس والنوم ، وللمسك والحمل وللمشي والجري ، وتربي قوة استعمال قواه العقلية للتفكير والتدبير

من هذا يمكننا القول ، ان حياة الصغير وجدت بعد المشاهدات الدقيقة ممتلئة بالحركات الجسمية والحسية والعضلية غير المقصودة للعين المجردة والمقصودة الى حد بعيد للعين المدققة ، فتجريك الطفل لليدين والرجلين والاصابع ، والشفاه واللسان ، والعينين والوجه ، انما تدل على اشياء فصدت منها طالما ان الطفل يولد وعنده احساسات وميول وغرائز ، الا اذا ظهرت هذه الحركات في غير موضعها اثناء اللعب او اشتغال الطفل بشيء معين مثلاً فكل هذه الحركات واشباهها من الحركات الجسمية المبكرة لا تعبر عن شيء عقلي خاص اذ ان ذلك يكون فيما بعد ، لهذا يلزم ملاحظة الطفل بدقة حتى يمكن توجيه هذه الحركات الى ما قصد منها والا شب الطفل على طباع حركية في غير موضعها وبالضرورة تكون لا معنى لها ، وخصوصاً حركات الوجه — ومعنى ذلك الفصل بين شعور وطرق التعبير الطبيعي التي ربما ادت الى الخداع في المستقبل والى التواء سبل التربية تبعاً

اما ما نشير به لمنع اشباه هذه العادات ، هو انه يلزم عدم ترك الاطفال مدة طويلة في اسرتهم ووجعهم دون وضع شيء خارجي يشغل نشاطهم ، والا تسبب ارتخاء الجسم وبلادة العقل ومن ثم فساد الاخلاق المبكر ، خصوصاً اذا قلد الطفل حركات الخدم الجاهلاء والآباء عصبي الحركات وما كثر هذه البيئات حوله واطرها عليه . وعلى الام او المربية ان تصرف وقتاً كبيراً مع طفلها للعناية به دون ان تجعله المحور الوحيد امام ناظرها ، تحمله من انفعالات نفسها كل لون تتلون به ، او تحصر على سلامته وراحته بشكل يأتي بنتائج عكس ما رغبت فيه من حرصها وبالغ عنايتها ، فانها ان جعلته طفلها الشاغل دون حكمة فانها تنشئه طفلاً قلقاً يراع فجأة لاقبل سبب وبذلك تضره بدل ان تنفعه

ولما كان يلزم كل طفل ان يلتفت بتجاربه الخاصة مبكراً وان يجد منفذاً صحيحاً لنشاطه الذاتي وجب وجود حجرة مربى Nursery في كل منزل اسرة تقصد ان تخرج رجالاً اصحاء للامة ، وهذه المربى ينبغي ان تحتوي على اكثر ما يمكن من انواع اللعب والوسائل التي تلائم الاطفال في مختلف اطوار نموهم بحيث يمكن اشغال حواسهم وعقولهم وتمرين اجسامهم في رفق وتدرج فاذا انتقل الصغير من هذا الطور « طور الطفولة المبكر » الى طور الطفولة الثاني او « الصبوة »

من ٣ - ٧ او ٨ فهناك مميزات توضح ذلك الانتقال ، فيسلم الطور الاول الى الثاني ، عند تغلب القدرة العقلية على القوة الحسية والجسمية والعضلية ، وعند ما تصبح احوال الحياة العقلية المختلفة في حالة قوية كائنة . فيبدأ الصبي تحصيل اللغة ، وبذلك يتبدى التمييز ، واستنباط الفروق لهذا الادراك الحسي القاصد ، فيحفظ الصبي كيف يستعمل الحقائق العملية التي تحيط به كوسائل لتحصيل الاغراض التي توغز بها اليه نفسيته الداخلية

من هذا نرى ان هذا الطور يتبدى معه التربية الفعالة التي يجب ألا تكون مباشرة بحيث توقف نمو الطفل الطبيعي (أعني ان تكون التربية مباشرة دون ظهور) وعقل الطفل في هذا الوقت يتطلب ملاحظة وعناية أكثر مما يتطلب الجسم ، وينفرد لهذه التربية الام والاب والعائلة التي لا يزال الطفل معهم بحالة ارتباط طبيعي متواصل

لذلك كان الشطر الاول من طور الصبوة (او الطفولة المتأخرة) مهماً جداً لان الصبي اول ما يتبدى ، يتبدى بفهم طبيعة بيئته التي هي الحياة الخارجية ، وسواء اظهرت له هذه الحياة في حالة نبيلة عالية او بالعكس او ظهرت له كمجرد وسيلة لنيل مطامع النفس او كشيء زيه او العكس ، فان فهمه لها على اي صورة مهم دون ريب ومن الواجب ان يكون كل ما يسمعه ويراه ويقلده ظاهراً صحيحاً منظماً بقدر ما يمكنه وان يتعود تحمل المسؤوليات طالما يمكنه ابداء رغباته وتقدير العواقب ، خصوصاً وانه في هذا الطور يلاحظ على الطفل كثرة التكلم فيما يعنيه ، وهو يتابع ذلك اثناء اللعب وهذا دليل على انه لا يفرق بين نفسه وبين الكلام (اي انه هو المتكلم نفسه) ولا يميز بين الاسماء ومسمياتها ، فاللعب والكلام هما العنصران اللذان يعيش بينهما الصبي الآن ، ولذلك يظن ان كل شيء حوله ممتع بنفس عيشته — يظن ان دميته . ولعبه ، والحصى والازهار ، والحيوان افراداً وجماعات ، يمكنها السمع واللمس والتكلم ، فيحكي لها الحكايات ويطلبها بالمثل ، ويخدمها ويطلبها بأن تخدمه . مثلاً يغسل الطفل ثياب دميته ويحفظها ويلبسها غيرها ويطلبها بعمل ذلك له مستقبلاً عند ما تكبر . وها هو ذا ابن شقيقتي « فريد » عمره ٧ سنوات موجود بنحجرتة الخاصة قريباً من حجرتي اسمعه يداعب دبه الكبير ، ويقدم له الطعام واليك حديثه معه : — « كل يا فر فر الرز » — « ما تعز بنيش احسن اخليك تأكل لوحذك مش معانا على السفرة » — « ما عندناش اولاد وحشين مايكلوش

الرز» الى غير ذلك . بربك تصور (الدب المسمى فرفر) موضوعاً على مخدة ، ومستند الظهر الى الحائط ومطالباً جدياً بالأكل بيده اليمنى ، والطفل « فريد » لا يتنازل عن تناوله الطعام ، ثم بعد وقت ليس بقصير اسمعه يشكر الدب لأنه اكل الارز (كما يتصور بخياله) ويغسل له يديه ، ويضعه في سريره لينام . وغير ذلك كثير جداً مما يدور بينه وبين مختلف لعبه

فالواجب على الوالدين والعائلة اذن ان يعتبروا اللعب الطفل ولعبه وعلاقته الطبيعية بوالديه وعلاقته بما يحيط به ، من اهم الوسائل الفعالة في نموه وتكوين حياته التي يجب جعلها ممتلئة وغزيرة بقدر الامكان وعليهم تنمية قواه الغريزية وتنبيهها كل عضو من اعضاءه الجسمية وقواه العقلية بصحة ، ومراعاة تقوية شعوره الاجتماعي وتدريبه على معرفة الواجب

ولما كان اللعب هو احسن الطرق الموصلة لذلك ، لأنه حياة الطفل الطبيعية من المبدأ ، وجب مراعاة انتظام اوقاته وترتيب وسائله وفق ما يطابق اطوار نموه ويناسبها . وان تراعى الاحوال الصحية فيتحرك الطفل بكل حرية واناقة ويعبر عن نفسه بطلاقة ولباقة ، وان يلعب بنظام كي ينمو بلا عائق جسمي او عقلي او خلقي ، وان توجه عناية كبيرة الى آداب اللعب وحدوده

فاذا عجزنا عن تكييف الطفل وارشاده بما يناسب مواقفه المختلفة ، فلنترك القيادة له فيظهر كوا من نفسه ، وبهذا نستطيع ارشاده ومساعدته وتوجيهه الوجهة الصالحة وهذا ما يجدر اتباعه من المبدأ وهنا نجد ثانياً الحاجة ماسة الى انشاء مربى في بيوتنا لاطفالنا وافساح اماكن خاصة بهم في حدائقنا لاسيما وانهم قبل ان ينتظموا في المدرسة يقلدون اعمال من بالمنزل من شبان وكهول ، ومحال منعهم من ذلك وتلافي ما يتبعه من نتائج ، ما لم يكن في منازلنا المربي الذي يستطيعون فيه اشغال حواسهم وتشغيل قواهم جميعاً ، وليست مسألة انشاء مربى بالمنزل بالأمر المعضل ، ولا بالمشروع الذي يتطلب نفقات لا تقدر عليها كما نتوهم . فليس ضرورياً ان نشترى كل شيء يجب ان يوجد فيه ، وانما يمكننا امداد الطفل بكثير من الاشياء المستغنى عنها في المنزل ، كبكرات الخيط بعد استعمال ما عليها وعلب السجائر والكبريت وقصاصات الاقمشة وعلب المشتريات ، وجانب من القش وفروع الشجر وكثير من انواع الحشرات النافعة (كدود القز والنحل الكرنولي) والصفدع والنباتات الممكن انباتها بحجرة المربي ، ومقدار من الرمل والحصى ، ونماذج للفواكه الى غير ذلك مما يتوقف نجاح استعماله والانتفاع به على حسن الترتيب وتنظيم اوقات استعماله وهذا الى جانب اللعب من دعى وقطارات وسيارات وسلال وعربات وطائرات الخ الخ . فاذا راعينا حالة الطفل الصحية وفق ما أوضح الدكتور شخصيري في كتابه وصرنا عليها بنظام الى جانب ما ننشده من سبل تربية الطفل بيقظة ونظام على اساس علم النفس والتربية ساعدنا الطفل والبيت والمدرسة التي سيذهب اليها مساعدة كبيرة ، وحققتنا امنية طالما تمنيناها ، وهي اخراج اطفال اصحاء مثقفين ، يسرون في طريقهم ليكونوا رجال غد يعرفون الواجب عليهم نحو انفسهم وبلادهم فيسعدون امتهم ويعززون اوطانهم

امثال لافونتين بالعربية

شرع الاب الوقور نقولا ابو هنا المخلصي في نقل امثال الشاعر الفرنسي المشهور لافونتين ،
 نظماً ، الى العربية ، وعلق على النقل شروحاتاً وتفسيرات تاريخية ولغوية وميثولوجية ، حتى تم
 فائدتها . وقد جاءتنا السكراسة الاولى من هذه المجموعة ، فاذا ما اشتملت عليه يدل على ان الاب
 المحترم قد اجاد النقل والتعليق . والى القارئ القصيدة الاولى وهي تنطوي على مثل «الصرار
 (الجدجد) والنملة»

قد قضى الصرار صيفاً وهو لاه يتغنى
 فأنى فصل شتاءٍ مزهرٍ فاستكنا
 ليس في مأواه شيء شاغل ضرساً وسناً
 فنحنا جارته النملة يشكو الجوع مضى
 قال : « يا جارة عطفاً وارحي قلب المعنى
 اقرضيني بعض زادٍ وابسطي للجود يميني
 فتريني قبل آب حينما اثري وأغني
 موفياً مالك أصلاً ورباً كيلاً ووزناً
 قسماً أوفي فأبقي قسمي عندك رهناً »
 انما النملة تأبى قرضها للقوت ضناً
 فأجابت : « كيف قضيت مدى الصيف ؟ أفـدنا »
 قال : « اني كنت اشدو وأغني مطمئناً
 انشد الذاهب والآب ما قد طاب لحنا
 افلا يعجب هذا الـ عمل المولاة حسناً ؟ »
 فأجابت : « نعم هذا الـ فن في الاعمال فنا !
 إن تكن غنيت قدماً فارقص الآن مهناً

وقد حذفنا التعليق والشرح لان هذا الباب لا يتسع لهما جميعاً . وعندنا ان اعتماد هذه الامثال
 في دروس الاحداث ، يفيد فائدتين اما الاولى تخلقية لان حكم لافونتين غنية عن التعريف ، وأما
 الثانية فأدبية لغوية ، تؤخذ من حسن السبك في الترجمة ، وحسن الشرح في الحواشي

بَابُ الْمُرْسَلَةِ وَالْمُنَاطَةِ

الحروف الشمسية والحروف القمرية

سيدي محرر المقتطف الاغر هداانا الله بعلمه
تحية وبعد قسم الغويون حروف الهجاء الى قرية وشمسية وقالوا ان القمرية هي التي تظهر معها
لام ال التعريف والشمسية هي التي تختفي معها هذه اللام ثم عددوا الحروف القمرية والحروف
الشمسية وفرضوا على الدارسين استظهارها . . . ولم اجد في كل ما وقع تحت يدي من كتب الصرف
القديم والحديثة تعليلاً لهذا التقسيم او لماذا يجب اظهار اللام مع حروف وإخفاؤها مع اخرى حتى
كشف لي ذلك « على زعمي » منذ نحو عشر سنوات وانا ادرس بعض المبتدئين في هذا المهجر
السحيق فلقنته تلاميذي بكل اختصار هكذا

ان الحروف بدلا من تسميتها شمسية وقرية كان ينبغي ان تسمى لسانية وغير لسانية وانه لما كانت
اللام حرفاً لسانياً اسقطوها قبل الكلمات التي تبدأ بحرف لساني تلافياً لمشقة التلفظ بحرفين لسانيين متتابعين
وبناء على هذه القاعدة البسيطة يكون حرف الجيم اقرب الى الشمسي منه الى القمري اي هو حرف
لساني لصعوبة التلفظ به مع اللام وقد ادرك العامة في الشام هذا بالسليقة فقالوا « اجبيل » لا الجبل كما
نفسنا في كتب الصرف خطأ . اما المصريون فجميعهم اقرب الى الكاف والغين منها الى الشين ولذلك
تدخل عندهم في عداد الحروف غير اللسانية . لقد عرضت هذا التعليل على بعض لغويينا هنا وفي
قدمتهم الاستاذ قربان فاستصوبوه . فهل لسائر علمائنا الافاضل في الاقطار العربية ان يتلطفوا بنفيه
وابتائه كما عودونا العناية بكل جليل ودقيق في لساننا الشريف ولا سيما في بدء نهضتنا هذه المبشرة
لخير العظيم ان شاء الله ؟ ! ولكم جميعاً الفضل والشكر سيدي

رشيد سليم خوري
[الشاعر القروي]

سان باولو برازيل

ذكريات وتصويبات

حضرة الاديب فؤاد افندي صروف المحترم
ورد في المثل المأثور الفرنسي « صديق الي صديق صديقي » يضارعه في اللغة العربية « حبيب
لي قلبي حبيب حبيبي »

ربما لا تعلم مكانة الصداقة بين عمك المغفور له الخالد بذكره يعقوب صروف وبين تلميذه كاتب
هذه الأسطر — أحببته . منذ كنت يافعاً ألتقي العلم عليه في مدرسة الاميركان العليا بطرابلس (لبنان)

High School of Tripoli وكانت زاهرة تحت ادارته في سني ١٨٧٢ — ١٨٧٤

ولما انتقل المرحوم عمك الى التدريس في كلية بيروت (جامعة الاميركان) ثم انشأ مع رفيقه
وصديقه الحميم الدكتور فارس نمر (ورفيقهما النشيط الاديب المرحوم شاهين مكاربوس) مجلة
المقتطف سنة ١٨٧٦ كنت بالغاً ١٧ عاماً فامتلاً قلبي حبوراً ونظمت مع حداثته عمري قصيدة
تعبر عن شعوري وسروري وارسلتها الى استاذي وقد وجدت نسختها مبعثرة بين اوراقى القديمة التي
انا مهتم بجمعها لطبع منها كتاباً على حدة وعن قريب أنجز هذا المجموع من القصائد والمقالات
وحبذا لو مرت بأسكندرية وأستتي بزيارة فترى بينها كتاباً من المرحوم عمك ارسله الي بعد
شفائي من العملية الجراحية الكبرى التي اجريت لي في باريس سنة ١٩٢٦ وكانت كما وصفتها انت
في المقتطف « سلسلة عجائب جراحية » وكان عمك متغيباً في عزبته — ما أرق شعوره وأصدق
احساسه وقد ذكر لي بكتابه انه شاخ والتي عليك حمل المقتطف . وربما تروم ان تقرأ القصيدة الآنف
ذكرها فأذيل كتابي هذا بأبيات تستنتج منها ان المقتطف كان رفيقي منذ ظهوره حتى سنة ١٩٣٠
لما أسدل على نظري غشاء « الكاتاركت » ومنعت عن القراءة ولبثت فاقداً هذه اللذة مدة عامين الى
ان أنعم المولى علي برد جزء من بصري عقيب عملية جراحية في سويسرا سنة ١٩٣٢
والآن صار بإمكانني العود الى قراءة المقتطف والعود احمد فأرجو ارساله لي ابتداء من الجزء الاول
من المجلد الخامس والثمانين وهكذا احفظ مقالة الصحافي الاديب نقولا افندي شكري المطبوعة في الجزء
الثاني من هذا المجلد — وحبذا لو اطلعني حضرة الكاتب على مقالته قبل نشرها حتى كنت ارجوه
ان يحدف منها ما نظره من اوصافي بتلסקوب عين الرضى فبالغ في الثناء فوق ما انا اهل له ثم كنت
اصحح بعض اغلوطات في تاريخ حياتي . اولاً لم اكن متزوجاً لما سافرت سفرتي الاولى سائحاً سنة ١٨٨٩
ثانياً المعرض اقيم بالسنة المذكورة وليس في سنة ١٨٩٠ ثالثاً في سميت كتاب سياحتي « سفر السفر الى معرض
الحضر » وليس السمر الى السفر » وقد نفدت طبعته الاولى رابعاً انني بالغ من العمر ٧٥ عاماً وليس سبعين
واليك بعض ابيات القصيدة التي ارسلتها الى عمك لما لاح بدر « المقتطف » في شهر يونيو سنة ١٨٧٦

من كل فن مقتطف	مجموع علم قد صدر
من روضه فاح الشذى	من عرفه الطيب انتشر
آراؤه ورواءها	أشهى فكاهات السمر
لما تبدى نورها	أيقنت ان الليل مر
من جال في ارجائه	نظر الكواكب والقمر (١)
يعقوب ذاك الفذ من	عشق العلوم من الصغر
انبا نا كيف بحارنا	بتبحر تلك المطر (٢)
ومنها :	ورفيقه من مرصد
اسماه اهله فارساً	صدقوا غدا بطل الحضر

اجتزى بما ذكر — كتابي هذا مرسل اليك خاص بك ، لكن اذا رغبت في نشره بالمقتطف
فأنت حر بذلك واهديك تحياتي الصادقة

ديمتري خلاط

(١) اشارة الى مقالة بالعدد الاول بقلم الدكتور فارس نمر (٢) اشارة الى مقالة بذات العدد بقلم الدكتور يعقوب صرف

مكتبة المقتطف

في علم النفس والتربية

١ — الطرق العملية لدراسة الحياة العقلية

تأليف نظله الحكيم ومحمد مظهر سعيد

يجمع هذا الكتاب بين دفتيه طائفة من التجارب النفسية التي ترمي الى قياس بعض النواحي العقلية كالذاكرة وسرعة الحفظ والنسيان الى آخره . يجمع هذه التجارب كما يجمع الانسان بعض الدار من غير ان يبين شيئاً عنها ، لا بل من دون ان يسأل نفسه ما هذه وما تلك . او ما تقع هذه وما فائدة تلك . واليك مثلاً مما ورد في صفحة ٣٥ من الكتاب تحت عنوان «الصور الذهنية»

يطالب الى الموضوع Subject ان يضع امامه كتاباً مقفلاً ، وينظر اليه بضع ثوان ، ثم يغمض عينيه ويحاول ان يستحضر كل التفاصيل التي يذكرها عن هذا الكتاب ، ويدون هذه التفاصيل بحسب ما يخطر على باله . ويجب ان يستحضر كل التفاصيل التي وجهها اليه المؤلفان في كتابهما ، وانتهينا من الموضوع . ثم نبدأنا بذكرنا بسبيل موضوع آخر . من دون ان يدري القارئ العادي ماذا يراد منه وماذا يريد هو من هذه التجارب ولماذا يتعب نفسه فيها اصلاً

والواقع او على ما يظهر لنا ان القصد من الكتاب ان يستعمله المعلمون لجمع الحقائق الخاصة به ، في ان الغرض منه استقرائي احصائي

نحن نعرف المؤلفين معرفة جيدة ، ونعرف مكانهما العالي بين اساتذة علم النفس في هذا البلد ، كنا نتوقع منهما ان يقدمنا لنا دراسة تفصيلية لهذه الاختبارات مع بعض الامثلة التي تسهل لنا فهم هذا الموضوع ، فالاستاذ مظهر سعيد كف هذه الدراسة وله الاستعداد والمقدرة على الاضطلاع بهذا الامر — لا بل نلن انه من القلائل في هذا البلد الذين يستطيعون ان يكتبوا في هذا الموضوع عن لغة ومعرفة تامتين

وللاستاذين عذرهما فان هذا هو الكتاب الاول ، وهو بطبيعة الحال انما وضع تمهيداً لما سيتلوهما من بعدهما ان يلاحظا هذا الامر في كتابهما التالي ، وهو ان الجمهور مقبل على علم النفس ، لم تُستَح الفرصة الكافية ولا الكتب الكافية لهذا النوع من الثقافة فهو يريد ان يلم بالمبادئ الاولى التي ينبغي عليها امثال هذه الاختبارات ، وبعبارة اخرى يريد دراسة تمهيدية لاختبارات الذكاء وجميع اختبارات العقلية ، لماذا نستعمل هذا الاختبار او ذاك ، وماذا ينتج من اجرائه وكيف نستطيع ان نحكم

على قيمة نتائجها وما هي دلالة هذه النتائج. بعد هذا كله يصح ان نحاول اجراء هذه الاختبارات على انفسنا اظن هذا الكتاب قد وضع لطلبة الاستاذين او لهم ولطائفة من المدرسين ، فاذا كان هذا هو الواقع فمن الواجب على الطلبة ان يدرسوه وعلى المعلمين الذين يهمهم الموضوع ان يجربوا التجارب ويجربوا الاختبارات ويدونوا نتائجها ويبعثوا بها الى المؤلفين لتكون نواة لكتابهما المقبل يلخصان فيه النتائج الاحصائية

٢ - الجزء الثالث من علم النفس

تأليف محمد عطية الابرashi وحامد عبد القادر

هذا كتاب من خيرة الكتب في علم النفس في اللغة العربية يجمع ما يمكن جمعه بين دفتي كتاب واحد ، لا بل اظن انه يجمع اكثر مما ينبغي ان يجمع ، فعلم النفس علم واسع جداً ، وما كتب فيه لا يمكن تلخيصه مع حفظ قيمته ، فلا بد من ان يضر التلخيص فيه بمن يريد ان يطلع على شيء من هذا العلم الحديث

فاذا كان الغرض من وضع هذا الكتاب هو الامام السريع بأبواب السيكلوجيا وموضوعاتها ، الماماً لا يسمن ولا يغني من جوع ، المام حصر لا المام تفصيل فقد حقق هذا الكتاب الغرض من تأليفه على خير وجه وعرج على كل شيء ينسب للسيكلوجيا ، واقتطف من كل شجرة ثمرة ومن هذه الوجهة اظن ان هذا الكتاب من خير ما وضع في لغتنا في علم النفس ، ويصح ان يعد من الكتب القلائل التي وضعت في اللغة العربية

ولكني كنت افضل شخصياً ان لا يحاول المؤلفان الاطاعة بالموضوع من جميع جهاته ، ذلك لان هذه المحاولة في رأيي كثيرة على استاذين اثنين ، وكثيرة ايضاً على كتابين او ثلاثة ، الا اذا كان الغرض التعرّيج على المواضع والاماع اليها الماعة سريعة . كنا نفضل ان لا يحاول الاستاذان ، هذا ، وانما كنا نريد منهما ان يقصرا جهودهما على بعض موضوعات السيكلوجية ، ويدرساها دراسة تفصيلية مستطيلة نلم بها من جميع النواحي ، مع الافاضة والشرح وضرب الامثال مما يقع تحت حس القارئ العادي في منزله وديوانه وفي الطرقات العامة . وليس يخفى بالطبع ان السيكلوجية هي محاولة الكشف عن الدوافع النفسية للتصرفات المادية ، وهذه بالطبع دراسة يقوم بها كل انسان من يوم الى يوم بغض النظر عن مقدار حظه من الثقافة ، اما وان الاستاذين قد حاولوا جمع شوارد هذا العلم بين دفتي كتاب فقد اضطرنا بحكم ذلك ان يقتصرنا في كثير من الاحيان عن الشرح المستطيل بوضع تعريف لبعض النواحي النفسية ، والتعريف في جملة او جملتين بموضوع من موضوعات هذا العلم خطر كبير يجب ان نتجنبه بعد ان وصلنا الى هذه الدرجة من الثقافة

الحق اني معجب بهذا الكتاب واظن انه من واجب جميع المشتغلين بالتربية ان يقرأوه .

خصوصاً أولئك الذين لا تتاح لهم دراسة هذا العلم في إحدى اللغات الأجنبية . ولكنني أرجو المؤلفين أن يزيدا التفصيل حتى وإن تناولوا موضوعاً محدوداً من السيكولوجية فقط

٣ - في التربية

تأليف الدكتور علي عبد الواحد وافي

هذه رسالة قيمة للدكتور علي عبد الواحد وافي وضعها للدكتوراه ، وهي كجميع ما يكتب للفوز بالدرجات العلمية ، دراسة أكاديمية لا موضع فيها للامور العملية ، او بالحري ثاني المسائل العملية فيها في المحل الثاني ، ولا يعاب المؤلف في هذا لأن الغرض الاصلي من الرسائل العلمية هو اشعار مراجع الجامعات بأن الفرد قد حصل على قسط لا بأس به من العلم يتناسب مع الدرجة التي يسعى إليها ، بغض النظر عن أثر هذا في الحياة العادية للأفراد والجماعات

والرسالة نفيسة حقاً فذة في بابها لا أذكر ان احداً تناول موضوعها قبل الآن في اللغة العربية ، الفصل الاول فيها بحث قيم بديع في اللعب يجب ان لا يفوت المشتغلين بالتربية بحال من الاحوال ، وكنت اتمني ان المؤلف قصر كتابه على هذا الباب مع الاطالة في الشرح والتفصيل بحيث يرينا أثر اللعب في حياة الفرد الخلقية والاجتماعية ، وكيف ان اللعب يكون للأفراد ويكون الأمم ، كنت أريد ان هذا البحث يدور حول الاخلاق والاجتماع

وانا لا أوم الدكتور في شيء وقعت فيه انا ، وكنت أود لو لم اقع فيه ولكن ظروفنا التي نحن فيها تتطلب من امثال الدكتور ان يتقدم للجماهير برسائله العلمية أولاً ، ويجب على كل حال ان يتلوها برسالة عملية نستشير بها في حياتنا الاجتماعية الراهنة

وبخنة في ماهية اللعب ، والدوافع النفسية والبدنية له ، جمع كثيراً من الآراء والمذاهب المنوعة ثم اعطى لكل رأي قيمته وقدره ، وعقب على هذا برأيه الخاص ، وعقب على هذا كله باظهار الفرق بين اللعب والعمل ، ورأيه في هذا الفرق يتقارب من رأي قنديل في احد كتبه ، ويستند الى كثير من علماء التربية ، وان كنت شخصياً لا ارى هذا الرأي من الوجهة النظرية وان كنا متفقين عملياً ، فاللعب والعمل من الوجهة النظرية لا يمكن التفريق بينهما بحال من الاحوال ، فهو في الواقع تفريق بين الغايات والوسائل ، وهذه في رأينا لا يمكن التفريق بينها من الوجهة النظرية

والكتاب ينتهي بقائمة كبيرة من المراجع التي لا يمكن ان تستغني عنها رسالة علمية ، ولكن هذه القائمة ينقصها ما كتب في اللغة العربية ، وكان من المستحسن ان يذكرها المؤلف او يشير الى انه اطلع عليها الحق انه كتاب يجب على كل المشتغلين بالتربية وعلم النفس ان يدرسوه بامعان وتدقيق

يعقوب فام

الثورة العربية الكبرى

تأليف امين سعيد — نشرته مطبعة عيسى البابي الحلبي — ثلاثة مجلدات صفحاتها ١٤٠٠

ان من اجل الكتب التي ازدانت بها خزائن التاريخ السياسي في اللغة العربية في الفترة الاخيرة كتاب « الثورة العربية الكبرى » للاستاذ امين سعيد . ولو قدر للمستتر (روبرت جرايفز) ان يقرأه ويرى الاخبار الواردة فيه والوثائق المسجلة بين طياته لاسترجع ما فرط منه من القول عن ان تاريخ (الكولونل لورنس) للثورة العربية لا يشق العرب غباره ولا يأتون بمثله^(١)

والواقع ان هذا السفر النفيس الذي أحفنا به كاتبنا العربي هو مرجع خصب للمستبشرين من اهل الاجيال القادمة وموسوعة في الموضوعات التي تناووها لا يمكن الاستغناء عنه بوجه من الوجوه . وقد ضم بين دفتيه من اخبار النهضة القومية العربية منذ فجرها عقب الانقلاب العثماني في سنة ١٩٠٨ الى اليوم ما لا يترك زيادة لمستزيد فاستعرض فيه الوقائع والحوادث ما ظهر منها بالصورة المكشوفة وما بطن وراء ستار الدسائس على طريقة حرية بالتدبر والاعجاب . فهناك وصف مستفيض للجسميات العربية التي تألفت من بعد ما كشر الاتحاديون الترك عن نابهم وباشروا خطتهم المخوفة بالمهاك من تريك العرب والقضاء على قوميتهم وثقافتهم تحت برقع من الاخاء الديني ثم جاءت الحرب العامة فأخذ السفاحون الطورانيون اعلانها فرصة للقضاء على النابيين من رجالنا فنصبوا المشاقق لافذاذ منا لو بقوا في قيد الحياة لتعذر على المستعمر الاوربي ان يدنس ارض الوطن المقدس بقدميه وساروا بمظالمهم ومغارمهم يجلونها بدعاية من الدين كاذبة حتى ارغموا العرب على امثاق الحسام . ومن اقدر الهنات التي يزل بها زعيم هؤلاء الطغاة احمد جمال باشا ما ابرزه كتاب « الثورة العربية الكبرى » من الوثائق السرية التي نشرها البولشفيك في اواخر الحرب العامة وفيها ادانته بالخيانة الوطنية العظمى ضد الترك والخلافة العثمانية وذلك بمحاولته الانحياز الى جانب الروس والانكليز والفرنسيين لتأليف سلطنة مجلس على عرشها وتكون خلفه من بعده ولكن من سوء حظه ان الحلفاء انفسهم ردوه ردًّا منكراً

اعلن الشيخ الوقور حفيد من اسس مجد العرب الثورة العربية في سنة ١٩١٦ وما زال النصر حليفها في حلها وترحالها حتى دخل فيصل بن الحسين دمشق في اواخر سنة ١٩١٨ من بعد ما لاقى العرب الاهوال في سبيل حريتهم فتأسست حكومة وطنية في عاصمة الامويين ترعاها الآمال وتحف بها الاماني ولكن الجنرال غورو ممثل الفتح العسكري الاوربي والبسطة الاستعمارية الغربية اكتسحها في شهر يوليو سنة ١٩٢٠ فداس تلك الوعود والعهود الشفهية والخطية التي قدمها الحلفاء للعرب وآخرها تصريح نوفمبر سنة ١٩١٨

وصف الاستاذ امين سعيد الحكومة الوطنية السورية واعمالها وصفاً دقيقاً ثم ذكر العراق

(١) ظهر هذا الكتاب بالانكليزية لأول مرة سنة ١٩٢٧ واسمه « لورانس والمجازفة العربية » وطبع غير مرة

وانتفاضه على البريطانيين والادارة العسكرية الاجنبية في بلاد الرافدين ومبايعته الملك فيصل ثم أشار الى اماره شرق الاردن والامير عبد الله وعرج على فلسطين وغليلانها والانتخابات ومقاطعتها والجهود التي صرفت للخلاص من كابوس الاستعمار المزدوج حتى انتهى الى الثورة السورية الكبرى وخوارق الاعمال التي ظهرت فيها مما يعيد الى الخاطر ذكريات عصر القروسية في الجاهلية فكانت هذه الاخبار عن الثورات التي نشبت في البلدان العربية المسلحة عن الدولة العثمانية حجراً في فم المتخربين الذين حاولوا ان يقدحوا في وطنية العرب ويقللوا من شغفهم بالحرية والاستقلال

والكتاب كله نفع ولكن في عقيدتي ان انفع ما فيه وصف نهضتنا القومية في مهداها وكيف صادمنا فتيان الاتحاديين عقيب الانقلاب العثماني ولم نستكن لهم والمظالم والمغارم التي حلت بالبلاد على ايديهم وذكر قوافل الشهداء التي ذهبت الى سدود المشاق في سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ والاقوال التي قالوها قبل ان تعلق الجبال في رقابهم مما كان له كله ابلغ الاثر في انتباه وعينا القومي وفي الحق انني لا اعد شيئاً مستغرباً في جميع ما ذكره كتاب « الثورة العربية الكبرى » من اعمال البطولة الخالدة التي قام بها العرب لمحاربة الاستعمار وذلك لان نيات المستعمرين الغربيين واغراضهم المادية واضحة وبديهية الى درجة ان الذين كانوا يعدونهم قبل الحرب العامة منقذين اصبحوا بعد حين يعدون وجودهم نكبة على البلاد

ولكن ان تعجب أيها القارئ لشيء فاعجب ان يرى رجالا العرب بفكرهم الثاقب ونظرم البعيد دسائس الاتحاديين الترك وما كانوا يضررونه للعرب من شر ويحاولونه من تترك فيهم في وجوههم على قلوبهم غير هيايين تلك الدعايات الدينية الباطلة التي اثاروها ولا مكترئين لتلك الخلافة المروقة الموهبة التي احاطوها بأنواع الدبدبة والطنطنة ليحاربوا بها رجالنا ويسحقوهم من غير ان يعتقدوا بها، وحسبنا ان يكون ابناء جلدتهم والذين انقذوا تركيا من الدمار هم الذين قوضوا اركانها وقضوا على معالمها

وهذا السفر النفيس وان وصف الثورة العربية خير وصف وبرر رجالها والقائمين بها خير تبرير الا أنه لم يحجم عن ان يشير الى الخونة والمأجورين الذين اندسوا بينهم شأن سائر النهضات القومية الوطنية المقدسة التي لا تخلو من عباد المنافع وارباب المصالح الذاتية الحقيرة

وعلى كل حال فهذا الخبر الطويل الحافل بأدق الملاحظات عن الثورات التي هبت في العالم العربي لانتفاذه من برائن الاستعمار على انواعه هو التراث الثمين الذي سيفتخر به الابناء والاحفاد كما ينتخر الأمير كيون اليوم بأعمال واشنطن وزملائه الامجاد وويل ثم ويل للامة التي تطمح ان تكون في مصاف الامم الحية وهي تبخل على حريتها بالهجة والدينار لأن الذي يطلب عظيماً يجب ان يخاطر بالعظام

وان الفراغ الذي ملأه الاستاذ امين سعيد في تاريخ تدرجنا السياسي الحديث فراغ عظيم

طالما شعرنا بوجوده لسببين اثنين (الاول) لان النشء الحديث من ابنائنا على ما فيه من وطنية تغلي كالمراجل لا يعرف الا النزر اليسير من اعمال الذين اسسوا له الوطنية العربية المتهبة فهو في حاجة الى مصادر يستوثق منها كمصادر (الثورة العربية الكبرى) و (الثاني) لان بعض الاقطار الشرقية بقيت في حيرة وارتباك بين ما سمعت بأذنها من الدعايات المأجورة التي انتشرت على العرب من جهة وما رأت بعينها من اعمال البطولة الخالدة التي قاموا بها لمصارعة الاستعمار الغربي من جهة اخرى فهي والحالة هذه في حاجة الى من يدها على اخبار النهضة العربية في مهبها والغايات النبيلة التي ذهب الى المشانق من اجلها شهداؤنا الغر الميامين ليكون ثمة تطابق بين السمع والبصر وهذا ما فعله كتاب (الثورة العربية الكبرى) وأقام الدليل عليه بالحجج الدامغة والاخبار الممتعة الدكتور عبد الرحمن شهبندر

تاريخ الوزارات العراقية

صدر الجزء الثاني من تاريخ الوزارات العراقية بقلم الباحث المحقق السيد عبد الرزاق الحسيني الكاتب العراقي المشهور . وهو في ٢٤٠ صفحة بالقطع المتوسط وقد طبع طبعاً متقناً على ورق جيد صقيل في مطبعة العرفان بصيدا

وهذا الجزء متمم للجزء الاول وقد صدر في السنة الماضية ووصفه المقتطف ويتضمن تاريخ العراق السياسي في الفترة الممتدة من قيام الوزارة العسكرية الثانية في اول نوفمبر سنة ١٩٢٦ حتى استقالة وزارة ناجي باشا السويدي في شهر مارس سنة ١٩٣٠ مع ملحق يحتوي على صك الانتداب البريطاني للعراق والدستور العراقي الصادر يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩٢٥ . والكتاب دائرة معارف في السياسة العراقية لا يستغني عنه كاتب ولا باحث فقد ضم في جزئيه الكبيرين تاريخ العراق السياسي من قيام دولته في سنة ١٩٢١ حتى سنة ١٩٣٠ . وانا لارجو ان يوفق حضرة مؤلفه الى اخراج الجزء الثالث جامعاً لتاريخ العراق السياسي في الفترة الجديدة من سنة ١٩٣٠ حتى الآن فهو خير من يضطلع بهذه المهمة وافضل من يتصدى لها

ولقد اتبع المؤلف طريقة طريفة في تبويب مؤلفه الثمين فهو بعد ان يثبت نص المرسوم الصادر بتأليف الوزارة يذكر العوامل التي ادت الى تبوؤها الحكم ثم ينشر برنامجها ويتبعه برسوم اعضائها الشمسية كل واحد على حدة ثم يورد تاريخها ويسرد الاعمال التي عملتها والعقود التي عقدتها ان كان هنالك عقود، والمشروعات التي شرعت بها، والقوانين التي سنتها والانظمة التي نظمتها وبالاجمال فهو لا يدع شاردة ولا واردة من تاريخها السياسي والاداري الا اثبتها ودونها فنثني على حضرة مؤلفه الذي اختط خطة جديدة في كتابة التاريخ السياسي باللغة العربية راجين له التوفيق في اصدار الجزء الثالث وآملين لكتابته من الرواج والاقبال ما يستحقه

الألحان الضائعة

نظم حسن كامل الصيرفي — طبع بمطبعة التعاون بمصر — صفحاته ١٠٤

شعر هذا الديوان أكثره مما سبق نشره على صفحات المقتطف من أوائل عام ١٩٣٩ تقريباً وقد كانت مجلة العصور قبل ذلك بعام ، أول ميدان ظهر فيه نشاط هذا الشاعر في نشأته الأولى . لذلك لا نظن أحداً من قراء المقتطف يجهل لون هذا الشعر أو فن هذا الشاعر

حسن كامل الصيرفي في ديوانه الألحان الضائعة شاعر وادع النفس ، رقيق القلب ، متزن العقل ثم هو بعد ذلك رشيق الأسلوب ، واضح البيان أحياناً ، قوي الخيال يصدر في شاعريته عن أفكار تلابس معظمها الروعة الفنية فتجد المعاني المبتكرة كفاءها من اللفظ المختار ويظهر ان الموسيقى التي تتجاوب بها قصائد الديوان مستمدة من نفس شاعرها فهي هادية وادعة ، قد تستدعي الانتباه أحياناً وقد تمر على اذن القارئ كما يمر الحلم بالعيون الواسنة

ظهر هذا الديوان في عام حفل بظهور الدواوين الشعرية وأخصها (الملاح التائه) لعلي محمود طه و (وراء الغمام) لابرهم ناجي فأثارا من الضجة في مصر والعالم العربي مما لم يكن ليدور في خلدنا فدل ذلك على يقظة الروح الفني ونحفز النزعات الادبية في الشرق العربي وان المادة عادت لاتشغل الناس كل الشغل عن متعة الروح . لهذا حمدنا حسن كامل الصيرفي اظهار ديوانه في العام نفسه بجانب الدواوين الاخرى ليتاح لنا ان نسمي هذا العام بعام الشعر

أظهر السمات في شاعرية الصيرفي هي التصوير — والتصوف — والطبيعة — والعاطفة أحياناً . فأما شعره التصويري فتتجلى لك براعته في قصيدي « حياتي » و « موت عزرائيل » وغيرها . أما سمة التصوف فتتجلى لك في بعض قصائد « الشاعر » ومقطعات « اغاني الربيع » وغيرها . اما الطبيعة فله فيها قصائد « جفاء الطبيعة » و « موت البلبل » و « الشجرة العارية » . واما العاطفة فتبدو في قصائده « دعي » و « تحت ضوء القمر » وغيرها . والصيرفي في اكثر قصائده ذو نزعة تجديدية فهو يميل دائماً الى التحرر من القسافية والى بعض الاخيلة الغامضة التي يسمونها بالفرنسية mance والتي يمكن ان تعتبرها في بعض الاحايين رمزية وهو في حبه لانطلاقه من وثاق القافية يقارب الروح الغالبة بين شعراء المهجر . كما انه يتلاقى في بعض قصائده الاخيرة مع بعض الشعراء المصريين

وقد جرت مناقشة على صفحات المقتطف من عهد قريب ، بين الشاعر وأحد النقّاد ، أخذ بها على الشاعر خروجه في بعض أبياته عن أحكام العروض . واننا لندرجو من صاحب الألحان الضائعة ان يستمر عدته من هذه الناحية ، وان يعنى بالاستزادة من ثروته اللفظية ، مبالغة منه في إفراغ ظلال المعاني في قوالها الأصيل . وليس هذا عليه بعسير

(٠٠٠)

(٥٠)

مجلة ٨٥

جزء ٣

تربية الطفل - اسرار المراهقة

تأليف الدكتور شخاشيري

مضى على الدكتور شخاشيري نحو عقدين من السنين وهو لا يألو جهداً ولا يدخر وسعاً في كتابة المقالات والقاء الخطب وتأليف الكتب، في موضوع صحة الاطفال والاحداث، وما يجب على الوالدات والوالدين حيالهم من العناية والارشاد، لانه يدرك ككل طبيب يهتم بالناحية الاجتماعية من عمله ان صحة الامة الجسدية فالعقلية رأسها في معترك الحياة. فاذا فرطت فيه لم تغنها عنه ثروة مطمورة في الارض او هابطة من السماء

وقد اصدر في خلال الصيف الماضي كتابين نقيسين احدهما تربية الطفل (طبعته مطبعة عيسى البابي الحلبي) والثاني الطبعة الثانية لكتاب اسرار المراهقة في الفتى، (اخرجتها المطبعة العصرية لصاحبها الياس انطون الياس). وكلا الكتابين مما لا تستغني عنه أسرة شرقية، تطمح الى تنشئة ابنائها على احدث الاساليب الصحية واحكم القواعد

فالكتاب الاول (تربية الطفل) يشتمل على فصول، اجراها المؤلف حديثاً بين طبيب وام او بين طبيب وأب، وعالج فيها بأسهل اسلوب استحمام الطفل وتنظيف اعضائه وملابسه وحجرتة وزهته ووزنه واسنانه، وغذائه في ادوار طفولته المختلفة. وفي القسم الرابع من هذا الكتاب مباحث او احاديث تتعلق بصحة الطفل والامراض التي يتعرض لها. والقسم الخامس يشتمل على المحاضرة النفيسة التي القاها في المجمع المصري للثقافة العلمية وعنوانها التأمين على صحة الطفل، وهي مما يصح ان يكون دستوراً للعناية بالطفل الشرقي. والدكتور شخاشيري يكتب بقلم الطبيب والوالد الخبير الذي انشأ أسرة يفتخر بصحة ابنائها وخلقهم. فكتابته هذا يصح ان يكون مرشداً للأسرة الشرقية في العناية باطفالها

اما الكتاب الثاني (اسرار المراهقة في الفتى) فيتناول ناحية اخرى من صحة العائلة، نعتي حياة الاحداث اذا تفتح غرائزهم عن تلك الاسرار التي لها صلة باخلاف النسل وبقاء الجنس. فلاحداث في هذه الفترة من حياتهم يتعرضون لاضطرابات نفسية وعصبية، او لامراض وبيلة، يمكن اجتنابها اذا ادرك الوالدان اسرار هذا الدور من حياة ابنائهما، والسبل الصالحة لارشادها الى مواطن الصحة الجسدية والسلامة النفسية والعقلية. والكتاب كما يقول المؤلف: «صحي علمي اجتماعي، يشمل سلسلة من المحاورات بين اب طبيب وابنه، تبحث في شؤون دور البلوغ، ومكانة اعضاء التناسل، وكيفية الاحتفاظ بها سليمة ونصائح قيمة عليها تتوقف صحة الابدان ونضارة العمران»

وقد ضم المؤلف الى الكتاب الفصلين اللذين نشرناهما هذه السنة في المقتطف بعنوان « العلم والحياة الجنسية » والمحاضرة التي القاها في جامعة القاهرة الاميركية بعنوان « دور المراهقة وتبعية الوالدين » (وقد نشرناها في المقتطف عددي يونيو ويوليو ١٩٣٣). ومما تحسن الاشارة اليه ان الدكتور

استفتى بعض قادة الفكر والتربية في مصر ، عقب محاضراته ، في موضوع التربية الجنسية ، فجاءته ردود حكيمة من الدكتور شاهين باشا والدكتور طه حسين والسيدة انصاف منصور فهمي وسلامه موسى وعبد القادر حمزه والدكتور زكي مبارك فنشر فيما يلي جواب الدكتور طه حسين قال :

أوافق كل الموافقة ان تكون التربية الجنسية شيئاً تعترف به الاسرة في البيت والدولة في المدرسة في غير حرج ولا نفاق ، فهي كغيرها من انواع التربية الجسدية والعقلية ضرورة من ضرورات الحياة . وربما كان الشر الناشئ عن اهلها اعظم جداً من الشر الذي ينشأ عن اهل غيرها من اساليب التربية فهو يمس صحة الجسم وصحة العقل وصحة الخلق جميعاً ويجعل النفاق والفساد اصلين من أصول الحياة الاجتماعية

المحاضرة والقلوية

في نظرية الشوارد Ions

دفع اليّ رئيس تحرير المقتطف نسخة من هذا الكتاب النفيس - تأليف العالم محمد صلاح الدين الكواكي الدكتور في الصيدلة والكيمياء ، والاستاذ المساعد في مخبر الكيمياء في المعهد الطبي العربي في دمشق - لكي اطالعُه واكتب عنه للمقتطف . ولكن الكتاب لا يطالع مطالعة بل يجب ان يُدرس درساً بانعام نظر لان مباحثه علمية بحتة في موضوع من اهم موضوعات العلم الحديث يرتكز عليه علم كيمياء الحياة Biochemistry وعلم الكيمياء المرضية Patho-Chemistry ايضاً . فصدور هذا الكتاب بلغتنا العربية يضيف قدراً كبيراً من الثروة العلمية اليها كسائر مؤلفات هذا العالم المنتج في حين ان العربية فقيرة جداً جداً بالعلوم الحديثة

وقد قرأت جانباً من هذا الكتاب القيم وادركت ما فيه من دقة البحث وعمقه وما للمؤلف من سعة المعرفة العلمية والاضطلاع بفروع العلم الحديث وشعرت بما عاناه في خلال تصنيفه في اختيار الالفاظ العربية الممكنة للاصطلاحات العلمية

الكتاب مدرسي محض والبحث فيه عويص جداً فيتعذر على الطالب ان يحصل ما فيه من معرفة بلا استاذ يشرح له البحث أثر البحث ، اللهم الا اذا كان الطالب ملماً بشيء من اطراف الموضوع من قبل . واظن ان غرض الدكتور الكواكي ان يكون هذا الكتاب متناً بين ايدي تلامذته يرجعون اليه للذكرى بعد ان يشبع اذهانهم بشروحه في محاضراته لهم . وكنت اتنى ان يكون الغرض منه اعم بحيث يستفيد منه الطالب الهاوي غير المتلمذ ايضاً . ولذلك تمنيت ان يكون قسم « المعلومات النظرية » الذي استهل به الكتاب مطولاً نحو ضعفيه ولا سيما في اوائله اي ان تشرح فيه النظريات الاساسية التي تمهد البحث للدارس الهاوي ، كشرح معنى المحوضة والقلوية ومعنى اختبارهما وشرح التأين Ionisation الكهربائي شرحاً وافياً ، وشرح المراد بالتعادل

والتكاثف ، والتبسط في شرح التحلل او التفكك الكهربائي Electrolysis الى غير ذلك من الامور التي تظهر خارجة عن موضوع الكتاب ولكنها بالحقيقة اساسية له وبدونها لا يفهم . ولزيادة تسهيل التناول على القارئ كان حسناً ان يضاف الى الكتاب معجم صغير في بضع صفحات تفسر فيه الاصطلاحات العلمية تفسيراً فنياً ملححاً بالمرادفات لها في احدى اللغات الافرنجية لكي يعود القارئ الى هذا المعجم كلما تكررت لفظة امامه اذا كان قد نسي المراد منها

ولعل الدكتور الكواكي شرح تلك المعلومات النظرية في مؤلفاته الاخرى شرحاً كافياً فاجتزأ بما شرحه هناك عن التطويل في هذا الكتاب . ولكنه لو اعاد في المقدمة الشروح التمهيدية اللازمة لكان الكتاب اتم فائدة للقارئ الذي لا تسمح له احواله بالرجوع الى المطولات والمتون . وقد استدرك المؤلفون الافرنج هذا الامر اذ ترى مؤلفاتهم العلمية تتقدم للقراء بمقدمات تمهيدية خارجة عن الموضوع تسهلاً لفهم الموضوع نفسه . فؤلف الكيمياء مثلاً يمهّد بفصل طويل عن بعض المواضيع الفيزيائية اللازمة لابحاثه . ومؤلف الفلك يمهّد بفصل او فصول عن الكهرباء والنور والحرارة لكي يسهل للقارئ فهم ما يراد منها في معرض مباحثه الفلكية على ان الدكتور الكواكي يقدم لطلاب العلم العرب لؤلؤة نفيسة جداً ، ولكنه نسي ان يقدم معها العلبة التي تودع فيها . او لعل العلبة في احد مؤلفاته الاخرى . فلا ادري . ليت اشار اليها . بيد ان اللؤلؤة لامعة في كل حال . اعتقد ان القارئ يقدر بما تقدم القيمة الغالية لهذا الكتاب فيشكر معي المؤلف عظيم الشكر

نقولاً الحداد

الدليل العام للقطر المصري والخارج

سنة ١٩٣٥ — يصدره اميل مكاربوس — صفحاته ١٩٨٢ من حجم اربعات — طبع بمطبعة المقطم بمصر

لقد اصبح اصدار دليل جامع كهذا الدليل عملاً شاقاً بقدر ما هو عمل مفيد ، فجمع الحقائق والاسماء والعناوين وارقام التليفونات من قطر كالقطر المصري سكانه خمسة عشر مليوناً ثم تبويبها وترتيبها ووضع فهرس لها واخراجها في مجلد يضم الفى صفحة كبيرة عمل دونه خراط القتاد ولكنه عمل مفيد لان موظفي الحكومة على اختلاف اعمالهم والتجار والاطباء والصحافيين يحتاجون اشد الحاجة اليه . ماذا تطلب ؟ عنوان فلان في مكتبه او بيته ورقم تلفونه في كليهما ؟ لك ما تريد . افتح باب الصحف ان كنت تطلب صحافياً او باب التجار ان كنت تطلب تاجراً او باب الاطباء والصيدالة ان كنت تطلب طبيباً او صيدلياً تر الاسم والعنوان ورقم التليفون . فوزارات الحكومة كلها مبوبة تبويباً متقناً وفيها اسماء الموظفين جميعهم واعمالهم وأماكن سكنهم والمديريات كذلك وقد صدر دليل هذا العام حافلاً بكل ما تقدم من المعلومات مبوبة احسن تبويب حتى يسهل تناولها والبحث عنها . وهو يحتوي على طائفة كبيرة من الصور ومقدمة طويلة في تاريخ مصر القديم والحديث . فنهى منشئه ومخرجه بهذا العمل الجليل ونتمنى لدليله ذيوماً هو جدير به

مجلة الدهور

إذا صحَّ القول بأن « الصحافة مرآة للامة » في سورية اليوم ظاهرة صحافية جديدة لا بدَّ من الإشارة إليها لأنها تدل على تطور اجتماعي خليق بالدراسة والمتابعة . كانت الصحافة في سورية وما ربح أكثرها الى اليوم يعالج السياسة المحلية بالمسكنات والمخدرات فما فكر رجالها قط ولا عنوا بمعرفة العلة التي اوجبت المرض السياسي الذي كاد يتأصل ويزمن في جسم المجتمع السوري ليس لي الآن ان المحم تلميحاً الى الناحية السياسية لارتباطها بما أسمىته في الصحافة السورية تطوراً في الاجتماع ، ولولا الاضطراب الى الاكتفاء بالتلميح والاستغناء عن التوضيح لكننت وازنت بين اعمال الصحافة واعمال رجال السياسة ، وظهرت مدى الارتباط الواقع بينهما ، ومعيار التطور الذي يحدده هذا الارتباط الذي به تعرف الامة من مرآة صحافتها ، ولكن ليس الآن مجال هذا البحث انما غرضنا ان نشير الى التطور الاجتماعي في سورية لانه آت عن طريق شقته الصحافة جديداً وعبدة بحيث اصبحت جادة سلطانية توصل الى المحجة التي ينشدها الشباب المتطلعون الى غيرهم ، الحريصون على سعادتهم بأن تكون مكفولة فيه

أما الظاهرة الصحفية الجديدة التي أحدثت التطور الاجتماعي الملموس في سورية فهي اولاً في إنشاء مجلة الدهور بثوبها الحالي وثانياً في جعل هذه المجلة ميداناً يتبارى فيه جماعة من أدباء الشباب نسوا « بجماعة التحرر الفكري » وثالثاً في نهج هؤلاء الشباب نهجاً يختلف عن تفكير الشيوخ الذين ألفوا معالجة الادواء السياسية والاجتماعية بالمسكنات والمخدرات وحسبان هذه المعالجة الفاسدة حكمة واصالة رأي

من يتصفح مجلة الدهور التي يصدرها في بيروت « جماعة التحرير الفكري » وعلى رأسهم الأستاذ سليم خياطة يجد ان هؤلاء الشباب يرمون حقيقة الى تحرير الفكر قبل تطلعهم الى التحرر من ربة المحتلين ، ويدعون الى الاخذ بالنظم الاجتماعية الحديثة واعتناق تعاليمها لانها — في نظرهم — قطع وأمضى من اسلحة النار والحديد الذي ألف الاقوياء الممولون قتال الضعفاء والمستضعفين بها . وينادون بالمدينة الانسانية التي تجعل العالم بأسره وطناً للانسان المتمدين المتحضر ، ويهيئون بالناس الى الافلاخ بله التمرد على النظم الاجتماعية التي وضعت في الاصل على أسس من الفساد والفوضى ، يجارون في وجوه الرجعيين والمحافظين لانهم دما الخضوع للأمر الواقع

هذه لمحة من طرائف رسالة « جماعة التحرير الفكري » تقرأها صريحة في هذه المجلة الراقية التي لا يقتصر كتابها الافاضل على التأليف وحده بل يعتمدون على الترجمة عن جهابذة الكتاب العالمين والاقتباس من ناضج افكارهم ورائع انتاجهم العقلي ، وبذلك يجعلون مرآة امهم ويعملون من مجلة الدهور رجع صدي نفسها الطامحة الى التحرير الفكري والاجتماعي والسياسي

حبیب الزحلاوي

الفجر

حالة نصف شهرية غرضها خدمة الآداب والفنون والثقافة العامة تصدر بالخرطوم — السودان — في ٥ :
صفحة تقريباً من القطع المتوسط ١٦ × ٢٥ سم منشؤها ومحررها عرفات محمد عبد الله ثمن العدد
قرشان صاغ واشتراتها السنوي عن مصر والسودان ٥٠ قرشاً صاغاً

هذه المجلة المفيدة يصدرها ويتولى تحريرها في القطر الشقيق فريق من ابناء الشباب الحر الطامح الى مجد الوطن واسعاذه عن طريق نشر الثقافة العامة بين المواطنين والسير في الطريق الذي سلكته الامم الشرقية الحاضرة من حيث يقظة الروح الادبي والاخذ باسباب الادب الجديد والمحدث من الفنون الرفيعة

ولقد تصفحنا الى الآن عشرة اعداد من هذه المجلة فراقنا كثيراً حقولها — على قلة صفحاتها — بالشائق الطريف من الموضوعات العصرية فأخر اعدادها مثلاً فيه مقال ممتع عن الفردوسي على ذكر عيده الالني لمحرر المجلة . ثم مقال نفيس عن الحياة السودانية المقبلة ومثلها العليا للأديب الشاعر محمد احمد محجوب ثم خواطر متداعية للكاتب البار محمد عشري الصديق ومقالات غيرها في علم الكلام وحفيد الملك من شؤون الادب وبحث طبي للدكتور محمد زكي مصطفى عن حمى التيفود وبعض القصص الوطني وباب المكتبة كما انها لم تخل من باب للشعر العصري الذي ينشره الشاعر المهندس يوسف مصطفى التني

ويسرنا عناية هذه المجلة بالحركة الادبية في مصر ولها في بعض المؤلفات الاخيرة آراء حكيمة سديدة فنرحب بها ونتمنى لها الذبوع والانتشار

طريقة منسي

جريدة فرنسية نصف شهرية تعليمية أدبية فكاهاية جامعة عامة يصدرها الأستاذ احمد ابو الخضر منسي دخلت في عامها الثالث وهي فكرة مبتكرة لتعليم اللغة الفرنسية من غير معلم سواء للمبتدئين او المتقدمين فيها . مفيدة للتعليم والمطالعة لجميع الناطقين بالضاد وخاصة طلبة المدارس الثانوية على اختلاف درجة معرفتهم باللغة الفرنسية بما حوت من ضروب المختارات من الجرائد والمجلات وكتب الادب الفرنسية مترجمة ترجمة حرفية

رحلات الصيف

رحلتان قام بهما الاستاذ عمر الركباني الاولى الى باريس والثانية الى فاس وقد وصف فيهما المؤلف ما شاهده من الجبال والأنجاد والمروج والغابات وما عملته يد الانسان من القصور والمساح والمتاحف ووصف مدينة فاس ومتاحفها وحماتها المعدنية وجمعياتها الخيرية — طبعت في مطبعة الاتحاد بتونس

بَابُ الْإِجْتِازِ الْعَلَمِيِّ

الطيران العجيب

من لندن الى ملبورن

لاصلاح خلل او نحو ذلك وهناك معدات لتسجيل هذه الوقائع وحسابها وقد علم القراء مما طالعوا في التلغرافات ان الفوز في هذه المباراة كتب للطيارين سكوت وبلاك بطيارة انكليزية من طراز « كومت » . وتبعتهما الطائرة الهولندية متأخرة عنهما في الوصول عشر ساعات . ومن الطف ما حدث ان ادارة الطيران الهولندية كتبت الى وكيلها في ملبورن بأن يهدي الى الطيارين الانكليزيين عند وصولهما اكليلًا من الغار كتب عليه « علامة الاعجاب العظيم والاقدام والمثابرة » وهو روح الرياضة الحقيقي ممثّل هنا خير تمثيل واضطرت إيمي موليسون (جونسون) وزوجها الى الكف عن الطيران بعدما بلغا الهند وكان انصارهما يرجون لهما الفوز بعدما تقدّما جميع المتبارين في الوصول الى بغداد وكراشي وغني عن البيان ان ما صنعه سكوت وبلاك لا يمكن ان يصنعه سائر الطيارين وان هذه السرعة تذكر المرء ببساط الريح كما قالت والدّة سكوت ولكن الفوز بها يشير الى الاحتمالات العظيمة في المستقبل القريب فقد يصير في الامكان انشاء خط جوي بين بريطانيا و استراليا مثلاً تكون محطاته هذه التي ذكرنا فتطير طائرة من انكلترا

لما اجتاز بلريو الطيار الفرنسي بحر المانش الضيق بطائرته من شاطئ فرنسا الى شاطئ انكلترا سنة ١٩٠٩ عمّ الاعجاب الدنيا كلها واشتهر اسم الطيار وقبض جائزة مالية قدرها عشرة آلاف جنيه واليوم وبعد انقضاء ربع قرن يطير طياران من انكلترا الى استراليا فيقطعان عشرة آلاف ميل في يومين وخمس يوم (مدة الطيران بين المدهول وبورت داروين باستراليا) هي مسافة يستغرق قطعها بالبواخر شهراً او اكثر وقد قسم طريق الطيران في هذه المباراة العظيمة الى مراحل اولها بين ملدهول بانكلترا وبغداد عاصمة العراق وطول هذه المرحلة ٢٥٣٠ ميلاً . والثانية من بغداد الى اله آباد في شمال الهند وطولها ٢٣٠٠ ميل . والثالثة من اله آباد الى سنغافورة وطولها ٢٢١٠ اميال . والرابعة من سنغافورة الى بورت داروين في شمال استراليا وطولها ٢٠٨٤ ميلاً منها نحو ٥٠٠ ميل فوق بحر تيمور الفاصل بين جزر آسيا وآرة استراليا وهو بحر تكثر فيه القرشان . والخامسة وهي في استراليا بين بورت داروين وملبورن وطولها ٢١٧٦ ميلاً وبين هذه المحطات الرئيسية محطات ثانوية يوز للطيارين النزول فيها اما لاختد الوقود او

الى بغداد وتكون في انتظارها هناك طائرة اخرى مستعدة لنقل ركبها وبريدها في الحال والطيران بهم وكذلك في اله آباد وسنغافورة فيقطع الراكب والبريد ما بين شمال اوربا وقارة استراليا في ثلاثة ايام وهو ما يشبه تحقيق الاحلام

العنصر الحادي والتسعون

يطلق الالمان على العنصر الحادي والتسعين اسم بروتكتينيوم Protactinium. واما علماء الانكليز فيطلقون عليه اسم بروتو اكتينيوم Proto-actinium. وهو من العناصر المشعة كالراديوم. وذرتة تتفجر تفجراً عنيفاً كتفجر ذرة الراديوم ولكنها اطول من ذرة الراديوم عمراً. فذرة الراديوم تستمر متصلة الاشعاع نحو ٢٥٠٠ سنة ثم تحمد بتحولها الى احد نظائر isotopes الرصاص. وأما ذرة البروتكتينيوم فتعمر خمسين الفاً من السنين. ومقامه في الجدول الدوري بين عنصر الثوريوم وعنصر الاورانيوم وقد تنبأ مندليف بوجوده من ستين سنة، وظل وجوده موضع ريب الى ان اثبتت طائفة من علماء الالمان والانكليز، ان نوعاً خاصاً من أشعة او دقائق الفا، صادرة من عنصر جديد لا بد ان يكون العنصر الحادي والتسعين. وقد جاء في «رسالة العلم» الاسبوعية ان الدكتور ارستيد فون غروس أحد علماء قسم الكيمياء في جامعة شيكاغو خطب امام الجمعية الكيميائية الاميركية باسطقاً طريقته في استفراد هذا العنصر النادر. ويظهر ان طائفة من علماء الالمان في معهد القيصر ولهم بيرلين استفردوا كذلك عنصر البروتكتينيوم من مقادير كبيرة من

نفاية ركاز الراديوم المستخرج من مناجم جواكستال بتشكوسلوفاكيا، يقدر وزنها بنحو خمسة اطنان ونصف طن. وتقول جريدة نايتشر ان المركب الكيميائي الذي استحضره العلماء الالمان هو (بروتكتينيوم - بوتاسيوم - كلوريد) وان هذا المركب يحتوي على نصف غرام من العنصر الصنف (راجع مقتطف فبراير ١٩٣٠ صفحة ١٥٢ - ١٣٥)

أم في السابعة من عمرها

في انباء ولاية تنيسي الاميركية ان فتاة في الحادية عشرة من عمرها حملت وولدت طفلاً. ولكنها مع ذلك ليست اصغر أم عرفت في تقارير الاطباء. والراجح ان أصغر أم عرفت هي فتاة مسلمة من سكان دهلي عاصمة الهند، التي ولدت طفلاً كامل النمو وهي في السابعة من عمرها. قالت الدكتورة كين Keane في مقالة عنها نشرتها في «الجورنال الطبي الهندي» انه أتى بهذه الفتاة الى مستشفى فكتوريا زانانا بدلهي، وهي تشكو شيئاً في معدتها، وقال أبوها ان عمرها سبع سنوات، فلما روجع عمرها في كشف المواليد تحقق قول أبيها. وبعد الفحص ثبت ان كل ما تشكوه هو الحمل وانها على وشك ان تلد. فعملت لها عملية (قيصرية: اي لاستخراج الطفل من الرحم بشق البطن) فأخرج الطفل حياً تام النمو وكان وزنه اربعة ارطال وثلاث اوقيات. وبعد ما خفّ الذعر الذي استولى عليها في الايام الاولى التي عقت العملية، استطاعت ان ترضع طفلها تسعة اشهر، فزاد وزن الطفل في خلالها نحو سبعة ارطال فأصبح وزنه نحو ١١ رطلاً. اما

ثم هي تمتد الى ما وراء اللون الأحمر. واما النجوم
الحمر ، فأكثر اشعاعها تحت الأحمر ، اي في
منطقة اشعة الحرارة . فاذا شبهنا النجم الازرق
المبيض بأتون شديد الحماوة كان النجم الأحمر
اقرب ما يكون الى موقد يوشك ان يخمد

ارخبيل من العوالم الجزرية

اطلق علماء الفلك لفظ « العوالم الجزرية »
Island Universes على السدم اللولبية المنثورة
في رحاب الكون خارج مجرتنا لان كلا منها
اشبه شيء بجزيرة كبيرة في محيط مترامي
الاطراف . وقد صرح الدكتور كاربنتر مدير
مرصد ستيفارت بجامعة اريزونا الاميركية
في رسالة تلاها على الجمعية الفلكية الاميركية
من عهد قريب ، انه كشف عن ارخبيل من
هذه الجزر ، اي انه كشف مجموعة من السدم
اللولبية ، تشبه عنقوداً من النجوم Cluster او
ارخبيلاً من الجزر في البحر

وارخبيل الدكتور كاربنتر ، مؤلف فيما
يرجح من ٢٥٠ سديماً ، كل منها يماثل المجرة
وقطر بعضها يبلغ عشرة آلاف سنة من سني
الضوء . ومع ان هذه السدم قريبة بعضها من
بعض ، بالقياس الى المسافات الشاسعة التي تفصل
بين السدم اللولبية ، الا ان متوسط المسافة
بينها لا يقل عن ١٦٠ الف سنة ضوئية .
وعند الدكتور كاربنتر انه متى اعيد تصوير
هذا الارخبيل الكوني بتلسكوب اكبر من
تلسكوبه ، تبيّن ان عدد الجزر التي فيه قد
يرتقي الى ٥٠٠ جزيرة

الفتيات التي يحملن ويلدن وهن في العاشرة من
اعمارهن ، فلسن نوادر في الهند

قياس حرارة النجوم

استنبط الدكتور جول ستينز احد علماء
جامعة وسنكنسن خلية كهرونية شديدة
الاحساس ، تمكن الباحث من ان يقيس بها
مختلف انواع الاشعاع او الضوء التي تشع من
احد النجوم . فبدأ بها الدكتور أثبت مستسر
المعهد السمثسوني الاميركي بحثه في قياس نور
النجوم . ذلك أنه اخذ ضوء احد النجوم
وقسمه اقساماً هي الالوان المؤلف منها اي
حله الى طيفه فاستطاع كذلك ان يقيس بهذه
الخلية قوة الاشعة فوق البنفسجية فيه ، وقوة
الاشعة البنفسجية ، فالاشعة الزرق الى الاشعة
الحمر الى التي تحت الاحمر . فلما انتهى من
قياسه على هذا النمط ، كان في امكانه ان يعرف
اي جانب من نور النجم مما تمكن رؤيته ،
واي جانب منه مما لا تمكن رؤيته

فضوء احد النجوم الزرق الكبيرة ، اثبت
حله ان حرارته تفوق حرارة شمسنا ثلاثة اضعاف
بيد ان معظم قوته من الاشعة فوق البنفسجية
وهذه الاشعة مما يسهل امتصاصه في خلال
اختراقه لطبقات الهواء العليا حيث يكثر الاوزون
اما النور المنطلق من النجوم البيض فيخترق
جو الارض ويمتد جانب من طاقتها الى منطقة
الاشعة التي تحت الأحمر . ولكن الطاقة التي
تطلقها شمس صفراء من قبيل شمسنا ، وخاصة
بالمنطقة الممتدة من الاصفر الى الاخضر في الطيف

جائزة نوبل الطبية

جاء في الانباء البرقية في اواخر اكتوبر ان جائزة نوبل الطبية عن سنة ١٩٣٤ منحت لجماعة الاطباء الاميركيين الذين اكتشفوا طريقة علاج الانيميا الخبيثة بالكبد وما تبع الكبد من استعمال خلاصته ثم مسحوق معدة الخنزير الجففة ، وهم الدكتور مينو Minot ومرفي Murphy وهوبل Whipple

القرم والمقرم

يخلط بعض الكتاب بين طرازين من الناس لانهما يتشابهان في صغر الجثة ، وبوجه خاص عند الترجمة من اللغة الانكليزية . ففي هذه اللغة لفظان هما Dwarf و Pigmy و يترجمان عادة بالقرم مع ان في اللغة الانكليزية فرقا كبيرا بين معنى اللفظين . فاللفظ الاول Pigmy - وترجمته الصحيحة قرم - يدل على قبيلة من الناس صغار الجثث ولكن في جثثهم تناسبا بين الاعضاء . واما اللفظ الثاني Dwarf فيدل على فرد صغير الجثة في قبيلة او طائفة من الناس ، جثث رجالها ونسائها سوية في طولها وعرضها ووزنها . واللفظ العربي الذي يدل على هذا هو لفظ المقرم وتعرفه في محيط المحيط «الصبي الذي لم يشب» . واغرب من الخلط اللفظي بين الكلمتين الخلط العامي . ذلك انك لا تجد قبيلة من قبائل الاقزام تدنو في صغر جثثها من جثث المقرمين المشهورين في التاريخ . فليس بين المقرمين المشهورين من زاد ارتفاع قامته على ٣٦ بوصة (ثلاث اقدام انكليزية او ياردة انكليزية) وكثير منهم كان لا

يبلغ ثلاثين بوصة . فالقرم قد يكون ابن اي سلالة من السلالات . حالة ان قبائل الاقزام نادرة الآن والراجح في رأي العلماء انها بقايا القبائل التي نفرت الى الجنوب من آسيا الوسطى لما اشتد جفافها وقد عرف الاقزام من قديم الزمان فاللورخ هيرودوتوس وغيره من الكتاب الاقدمين يشيرون الى قبائل الاقزام في افريقية . وقد رسمهم المصريون الاقدمون على جدران المقابر المصرية من نحو اربعة آلاف سنة . وعلماء الانسان يفرقون بين ضربين من قبائل الاقزام ، فثمة القبائل الافريقية وثمة القبائل الاسيوية . وينطوي تحت الفريق الثاني اقزام جزيرة اندمان وشبه جزيرة ملايا . والراجح ان الفريقين نتجا من اصل عام يقيم في جنوب آسيا فلما افترقا مكانا وزمانا اختلفت صفاتها . فقبائل الفريق الثاني ، تتشابه في بعض الصفات سواء اكان مسكنهم في الفيلبين ام في غيرها احصاءات التلفونات في العالم

نشرت مجلة «المخاطبات الكهربائية» في عدد يوليو الماضي احصاءات لآلات التلفون المستعملة في مختلف البلدان فاذا ٥٣ في المائة منها مستعمل في الولايات المتحدة الاميركية في يناير ١٩٣٣ ، و ٤ في المائة في كندا ، و ٩ في المائة في المانيا و ٦ في المائة في بريطانيا العظمى و ٤ في المائة في فرنسا و ١٤ في المائة في سائر بلدان اوربا و ٩ في المائة في سائر بلدان العالم . اما من حيث احصاء التلفونات المستعملة في المدن ، فمدينة سان فرانسيسكو تتقدم جميع مدن العالم ، حيث يوجد ما متوسطه ٣٦٥٠ تلفون لكل مائة من

محمود كان محباً للعلم والادب توجه اليه لتتيمم مقصده واتصل بالعنصري والفرخي والعسجدي الذين كانوا من اوائل الشعراء في عصره وخواص شعراء السلطان فبعد ما رآه وعلم بمقصده وهو تتميم الشاهنامه هيباً له محلاً خاصاً وتكفل بمؤنته وعين له خدماً وزين بيته بصور الأبطال والملوك الايرانيين والاسلحة المتنوعة للحرب حسب طلبه حتى أتم الشاهنامه وعلى ما يظهر كان نظره من صلة السلطان محمود بالشاهنامه تجهيز بنته وسد خزان طوس وان تكون مدداً له في شيخوخته ووعد ان يكافئه بستين الف دينار ولكنه عملاً بمشورة بعض المغرضين بدل الدينار بالدرهم والذهب بالفضة فغضب من ذلك الفردوسي وقسم الاموال بين حامي وبائع شراب وحامل الدراهم ثم هجا السلطان محمود هجاء شديداً متضمناً التحذير من الايذاء والاغترار بالدنيا ثم ترك الغزاة وهرب الى الهرات وقيل رجع الى طوس ويقال ان الشاه محمود ندم على ما فعل بنصيحة ناصر لك احد الحكام في ذلك الوقت حيث بعث اليه خطاباً محتويًا على الوعد والنصيحة وعدم وفاء الدنيا وبقاء الذكر الحسن ويذكره بتعب ثلاثين سنة للفردوسي وآماله في ذلك واسباب اخرى وندم السلطان محمود وامر بستين الف دينار للفردوسي ولكن حينما كانت الدنانير تدخل باب بيته كانوا يخرجون جنازة الفردوسي من باب آخر وكم في هذه الحياة من عجائب ومدهشات وكأنما اراد الله بذلك ان يكون كل اجره معنوياً لا مادياً واخروياً لا دنيوياً مرتضى الحسيني الفاضلي الايراني

السكان وتليها وشنطن العاصمة حيث المتوسط ٢٣٣ لكل مائة من السكان، ثم استوكهلم عاصمة السويد (٣١ و ٨)

اما لندن فتوسط عدد تلفوناتها لكل مائة من السكان ٨٦٨ وباريس ١٥ وبرلين ١١٤١. ولا يعني هذا ان عدد التلفونات المستعملة في هذه العواصم يقل عن العدد المستعمل في سان فرانسيسكو او وشنطن وانما يقتصر على النسبة بين التلفونات وعدد السكان. ومن غريب ما اشتملت عليه هذه الاحصاءات ان سكان تشكو سلوفاكيا والولايات المتحدة الاميركية وزيلندا الجديدة يفوقون سائر سكان العالم في استعمال التلفونات. فتوسط المحادثات التلفونية في تشكو سلوفاكيا سنة ١٩٣٢ لكل فرد من السكان كان ٢٢٤٦٥ محادثة اما في زيلندا الجديدة فبلغ ٢٠٥٦٩ واما في الولايات المتحدة الاميركية فبلغ ٢٠٤٦٦

الفردوسي وشاهنامهته

تابع المنشور على الصفحة ٢٨٠

الفردوسي ولد في قرية بار اوشاداب او رزان من توابع طوس في سنة ١٣٢٣ او سنة ١٣٢٤ وكنيته ابو القاسم ولقبه الفردوسي وهو مشهور بهما واختلف في اسمه واسم ابيه ف قيل اسمه حسن او احمد او منصور واسم ابيه علي واسحق او احمد. وكذلك اختلف في تاريخ حياته واحواله اختلافاً كبيراً

اشتغل بالعلم والأدب ولا سيما باللغة العربية والهلوية فأراد تتميم الشاهنامه التي بدأها الدقيقي ونظم منها الف بيت والظاهر انه شرع في ذلك في عهد السامانيين ونظراً لان السلطان

الجزء الثالث من المجلد الخامس والثمانين

صفحة	
٢٦٥	العمل وطول العمر
٢٧٢	مراحل الحياة عبر الزمان : للسرجيمز جينز
٢٧٧	الفردوسي وشاهنامته : لمرتضى الحسيني الفاضلي الايراني (مصورة)
٢٨١	التطفل في الاحياء : للامير مصطفى الشهابي
٢٨٣	الحيوان في عصر الآلة
٢٨٧	القضاء في السودان : لخليل الخوري
٢٩١	فناء المادة بتشعع الطاقة : لنقولا الحداد
٢٩٦	داعي الحياة (قصيدة) لسيد قطب
٢٩٧	وراء كمامة الغاز
٣٠١	تأسيس القاهرة : للكاتبين كرسويل وترجمة سيد محمد رجب (مصورة)
٣٠٨	لباب النسبية مبسطاً : لحنا خباز
٣١٤	حمق دماء التعقيم
٣١٨	التعريف بالكندي : لمحمد متولي
٣٢٧	قدم القطن بوادي النيل : للدكتور حسن كمال
٣٢٩	معجزات الاغذية الكيميائية : لعوض جندي
٣٣٥	سير الزمان : المانيا بعد غليوم : بارتو وپوانكاره (مصورة) : نفسية شعب اليابان
٣٥٣	حديقة المقتطف : جنة العاملين : لرابندرانات طاغور . القاريء يناجي شعره : لرتشرد لاغالين (نقلهما محمود محمد شاكر) . الى طائر صдах : لشلي (نقلها نظاماً علي محمود طه) . ندامة بعد الموت : لبودلير . نشيد الى الشرق : للآنسة مي (ترجمة جورج نيقولاوس)
٣٦١	ملكة المرأة : القوة والجمال . أسئلة وأجوبة . مقام المرأة اليابانية الحديثة . موت يحيي الحب . طور الطفولة المبكرة . الاحداث وحكم لافونتين
٣٧٧	باب المراسلة والمناظرة * الحروف الشمسية والحروف القمرية : لرشيد سليم خوري : ذكريات وتصويبات
٣٧٩	لديمثري خلاط مكتبة المقتطف * الطرق العملية لدراسة الحياة العقلية . الجزء الثالث من علم النفس . في التربية . الثورة العربية الكبرى . تاريخ الوزارات العراقية . الاخوان الضائعة . تربية الطفل - اسرار المراهقة . الحموضة والقلوية . الدليل العام للقطر المصري . مجلة الدهور . الفجر . طريقة منسي . رحلات الصف
٣٩١	باب الاخبار العلمية * وفيه ٨ نبد